# الإرهاب

# (بين خائف ومخيف)

أ.د عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس/ كلية الآداب

2018م

## المحتويات

المقدِّمة ............ 7

الإرهاب ............ 9

الإرهاب لغة: ............ 10

الإرهاب اصطلاحًا: ............ 11

الحكمة من الإرهاب: ............ 12

أوَّلًا: توثيق العلاقة: ............ 15

ثانيًا: تحقيق الموجب: ............ 17

ثالثًا: تحقيق التوازن: ............ 20

ربعا: يطرد الخوف: ............ 23

الخوف ............ 27

الخوف معيار التوازن: ............ 37

الخوف نقطة الانطلاق الموجبة: ............ 41

الإرهاب بين خائف ومخيف ............ 42

الإرهاب: ............ 43

بين: ............ 44

خائف: ............ 45

المخيف: ............ 45

تعاقب الخوف والألم: ............ 56

التلازم والتناوب بين الخوف والألم: ........................ 57
الإرهاب دلالة المفهوم:.......................... 61
الإرهاب نسيجُ وحدهِ.............................. 66
التطرُّف: ................................................ 78
الخوف: .................................................. 85
الفزع:.................................................. 100
العدوان: .............................................. 106
معطيات الإرهاب: ................................... 110
القوَّة: .................................................. 113
العُدّة: .................................................. 117
الإنسان: ............................................... 120
المجالات الغائية لاتجاهات الإرهاب ............................ 124
أوَّلًا: مجال الإرهاب الاجتماعي: ......................... 124
ثانيا: مجال الإرهاب السياسي:............................ 127
ثالثًا: مجال الإرهاب الاقتصادي:.......................... 130
اتجاهات الإرهاب ..................................... 132
أوَّلًا: الاتجاه الوقائي بالإرهاب: ............................ 132
ثانيًا: الاتجاه العلاجي بالإرهاب:........................... 138
ثالثاُ الاتجاه الغائي بالإرهاب:............................. 146

أبعاد الإرهاب: ........................................ 150
أوَّلًا: البعد السياسي: ........................................ 151
البعد الإنساني: ........................................ 160
الإرهاب على المستوى الإنساني. ........................................ 164
البعد النَّفسي للإرهاب: ........................................ 168
البعد الاقتصادي: ........................................ 176
فوائد الإرهاب على المستوى الاقتصادي: ........................................ 179
المنتهيات الغائيَّة للإرهاب ........................................ 181
أوَّلًا: التوافق: ........................................ 182
ثانيًا: الانسجام: ........................................ 187
ثالثًا: الطمأنينة: ........................................ 191
رابعًا: الرّضا: ........................................ 194
خامسًا: الاحترام: ........................................ 197
مفهوم الإرهاب في مرضاة الله تعالى: ........................................ 201
المنطلقات الفكريَّة للإرهاب: ........................................ 219
التهيّؤ ........................................ 220
مكوِّنات التهيّؤ: ........................................ 224
تهيّؤ مادّي عقلي: ........................................ 225
تهيّؤ مادّي نفسي: ........................................ 228

تهيّؤ ماديّ نفسي عقلي: .............................. 230
تهيّؤ ماديّ نفسي عقلي روحي: .......................... 233
معيارية التهيّؤ: ................................. 236
معطيات التهيّؤ: .................................. 239
التهيّؤ في مواجهة التهيّؤ: ............................ 240
تهيّؤ الخائف للرّفض: ............................... 248
الإرادةُ ....................................... 251
الإرادة تحدّي الصّعب: .............................. 257
مُدعِمات الإرادة: ................................. 262
سلامة القصد: ................................... 262
وضوح القيمة: ................................... 262
وضوح الهدف: ................................... 262
سلامة الغاية: ................................... 262
معرفة الصلاحيات: ................................ 263
. معرفة الاختصاصات: .............................. 263
التبيُّن عن وعي: .................................. 263
بلوغ الإدراك: .................................. 264
إعداد العُدّة..................................... 268
إعداد العُدّة يُرهب المخِيفين ويقضي على الخوف: .............. 277

الاستعداد ........................................ 283
أنواع الاستعداد ........................................ 284
1 . الاستعداد الذهني: ........................................ 285
2 . الاستعداد النَّفسي: ........................................ 286
3 . الاستعداد البدني: ........................................ 288
الاستعداد تنوُّع: ........................................ 289
التأهّبُ ........................................ 293
المتأهّب على الدّراية: ........................................ 303
المتأهّب والقلق: ........................................ 304
التأهب استبصار: ........................................ 306
صدر للمؤلّف ........................................ 312
المؤلّفات........................................ 313
المؤلّف في سطور ........................................ 326

## المقدِّمة

مع أنَّ الإرهاب يعدُّ من أكبر الاشكاليَّات في هذا العصر، فإنَّه من حيث المفهوم فلا اتفاق على تعريفه موضوعيًّا؛ فهو في اللغة العربيَّة والقرآن الكريم، ليس كما هو عليه مفهومًا في اللغات الجنبيَّة.

فمن حيث المفهوم في اللغة العربيَّة والقرآن الكريم لم يلتصق به سلوكًا سالبًّا للحريَّة والإرادة، فهو لا يزيد عن كونه إعداد عُدّة لإرهاب من يحاول الاعتداء والعدوان ظلمًا.

أي: إنَّ الإرهاب لا يتعلّق بالسُّلوك بقدر ما يتعلَّق بالوسيلة والعدّة التي ترهب الأعداء بغاية أن يقفوا عند حدّهم ولا يتمدّدون على حساب الغير.

فالإرهاب في هذا العصر جريمة ورعب مشين لأخلاق الإنسان، بل ولكلّ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، والذين يقدمون عليه ظَلَمة معتدون يقتّلون الأبرياء دون مخافة الله تعالى، وكيف لهم بذلك والله جلَّ جلاله يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[1]، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[2].

إذن:

الذين يتخذوا من الدين شعارًا لتسويق أفعالهم الإرهابيَّة فالدّين منهم براء، بل لا علاقة لهم به؛ ذلك لأنَّ الدين يدعو إلى الهداية وبالتي هي أحسن،

---

[1] البقرة 256.

[2] يونس 99.

كما يدعو إلى الصلح والصّفح والعفو والتسامح، وترك القصاص عدالة بين النَّاس.

وعليه:

أقدّم مؤلّفنا: (الإرهاب بين خائفٍ ومخيف)، وهو يحمل في محتواه ومضمونه مفهوم الإرهاب ومراميه الموضوعيَّة؛ إذ لا تحيّز لثقافة العصر التي تدين مفهوم الإرهاب المخالف لمفهومه، ولا تعصّب لمفهومه الذي أصبح مصطلحًا معيبًا؛ ولكن تبيان الحقائق بحثًا ودراسة واجبًا على أعناق البحَّاث.

والحمد لله ربِّ العالمين


أ.د. عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس/ كلية الآداب


2018م

# الإرهاب

الإرهاب مفهومًا: أفعال تُظهر القوَّة المتحدِّية لقوَّة الغير سواء قبل الغير أم لم يقبل، أي: قبول التحدّي مع قبول دفع الثّمن؛ من أجل الجلوس على طاولة الاعتراف والتقدير والتفاوض من أجل حقوق تمارس، ووجبات تؤدّى، ومسؤوليات تحمل.

أمَّا اصطلاحًا: فقد البسوه لباس الرّعب من خلال ارتكاب أفعال التقتيل ظلمًا وعدوانًا، ولهذا فالرّعب شيء، والإرهاب شيء آخر. الرُّعب: فعل يقدم عليه مجرم متحدٍّ للفضائل الخيِّرة، والقيم الحميدة، والقانون المنظّم للسُّلوك والفعل، ويترك على النَّفس أثرٍ مؤلما؛ يجعل الإنسان مضطربًا وفاقد للسيطرة وضبط النَّفس.

وهناك من البسه ثياب العنف، في الوقت الذي لم يكن العنف ارهابًا؛ ذلك لأنَّ العنف: فعل عقابي مبالغ فيه، إذ يتجاوز حدود المعَاملة الإنسانيَّة قيمة وأخلاقًا.

ولقد ضرب كثير من الذين تناولوا مصطلح الإرهاب فيه خبط عشواء كحاطب ليل، غير أنَّنا لا ننكر أنّ البعض قارب صواب المصطلح ومفهومه وقليل ما هم.

إنَّ الباحثين والبحوث التي تناولت مصطلح الإرهاب بالدراسة، لم تخرج بنتيجة واحدة، ولم تتفق على مفهوم محدّد، ليس قصورًا في الباحثين ولا طعنا بهم، ذلك أنّ كثير منهم علماء أجلاء وباحثين قديرين، غير أنَّ تعدّد معَاني الإرهاب لغةً في المعجمات، جعل البعض يعالج بعضًا من هذه المعَاني؛ فاختلفت المفاهيم وافترقت الدلالات؛ لأنّ كثيرًا من هذه الدّراسات انصبّ اهتمامها على ما جاء في المعجمات من معَاني الإرهاب، ولم ينصبّ على

اللفظ نفسه، ونحن لا ندّعي أنّنا نصحح ما أوردته تلك المعَاجم التي أفنى أصحابها أعمارهم من أجل أن يخرجوها لنا، غير أنّ المعنى المعجمي وُضع لتقريب دلالة مفهوم اللفظ وليس هو كما هو.

ومن هنا؛ انصبّ اهتمام كثير من الدّراسات والبحوث على معنى الإرهاب، وليس على دلالة المفهوم للّفظ، إضافة إلى مجاراة ما أقحم على الإرهاب من معَانٍ دخيلة فرضها التأثير والتأثّر من تلاقح الثقافات ووسائل الإعلام.

**الإرهاب لغة:**

جاء في المحيط في اللغة "رَهِبْتُ الشَّيْءَ رُهْبا ورَهَبا ورَهْبا ورَهْبَةً: أي: خِفْتَه، وأَرْهَبْتُ فلانا، والرَّهباءُ: اسْمٌ من الرَّهب، والإِرْهَابُ: الرَّدُّ، أرْهِبْ عنكَ الإبلَ: أي رُدَّها، والرَّهبانُ: الرَّهبة، والرَّهبوْتُ مِثْلُه، ويقولون: رُهْبَاكَ خَيْرٌ من رُغْبَاك"[3]

وجاء في تاج العروس: "والرَّهبى اسْمٌ مِنَ الرَّهب تقولُ الرَّهبى مِنَ اللهِ والرَّغْبَى إِلَيْهِ وأَرْهَبَهُ واسْتَرْهَبَه: أَخَافَهُ وفَزَّعَهُ واسْتَرْهَبَهُ: اسْتَدْعَى رَهْبَتَهُ حَتَّى رَهِبَهُ النَّاس وبذلك فُسِّرَ قولُه عَزَّ وجَلَّ "واسْتَرْهَبُوهُمْ وجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ" أَيْ أَرْهَبُوهُمْ وتَرَهَّبَهُ غَيْرُه إذا تَوَعَّدَهُ"[4].

لقد أجمعت هذه المعَاجم على اختلاف أزمنتها على أنّ الرَّهب هو الخوف والفزع والرّعب، علمًا أنّ الخوف غير الفزع، والفزع ليس رعبًا، وعليه: فالرعب ليس إرهابًا، ولكن هذه المعَاني وُضعت من أجل تقريب المفهوم وليس

[3] المحيط، ج 1، ص 307.

[4] – تاج العروس، ج1، ص544،

كي يحلّ البديل محلّ الأصل، وسنفرد مباحث للخوف والعنف والفزع مبيّنين مفارقتها للإرهاب وأنّها ليست هي كما يظنّ البعض.

وأمّا ما افترقت فيه هذه المعَاجم ممّا جاء من معَانٍ أخرى فهي كثيرة مثل: الدقة والخفّة، والرهابة التي تعطي الدلالة المكانية لعظمة الشيء، أو لضعفه وهذا من النقائض، وهو دليل على أنّ كلّ باحث يعوّل على معنى من المعَاني التي ورد ذكرها في هذه المعجمات، يريد أن يصل من خلاله إلى نتيجة تطابق المفهوم الذي قصده والرأي الذي تبنّاه.

**الإرهاب اصطلاحًا:**

لا يوجد في اللغة العربيَّة تعريف اصطلاحي للإرهاب متّفق عليه على غرار بعض الألفاظ الاصطلاحيَّة التي أصّلتها اللغة العربيَّة التي تهمّ مجتمعها وعرّفت في مفهومها على أنّها مصطلحات لها تعريفاتها المجمع عليها كالبغي والظُّلم والطغيان والعدوان والخيانة والغدر والقتل والسّرقة والحرابة؛ ذلك أنّ الإرهاب نفسه لم يتمّ تداوله اصطلاحًا في لغتنا وثقافتنا إلَّا في العقدين الماضيين نتيجة ظروف معروفة جاءت بضغوط خارجيَّة واتجاهات سياسيَّة غربية، آثرت إقحام اللفظ اصطلاحًا وفق مفهوم غربي بما له من دلالات في اللغات اللاتينية؛ ولذا كان تعريفه اصطلاحًا وفق مفاهيمهم: "في اتفاقيّة لاهاي 1907 المادة (22) نصّت على أنَّ: الضرب بالقنابل من الجو يعتبر عملًا غير مشروع إن كان يهدف إلى إرهاب السكّان، في عام 1934 اتخذت عصبة الأمم قرارًا بتشكيل لجنة خبراء لدراسة ظاهرة الإرهاب، أوَّل قرار اتخذته الأمم المتحدة مختصًّا بمحاربة الإرهاب كان القرار رقم "2197" بتاريخ 1972/12/18. ونصّ القرار على إجراءات منع الإرهاب الدّولي ودراسة أسباب وأشكال الإرهاب. في سبتمبر 1992 أدرج موضوع "الإرهاب" رسميًّا

في جدول أعمال الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة؛ بهدف وضع تعريف محدّد للإرهاب"[5].

ومن هنا كانت الجامعة العربيَّة مضطرة لأنّ تحدّد مفهوم المصطلح سياسيًّا؛ ذلك أنّ جزءً كبيرًا من الأراضي العربيَّة يرزح تحت وطأة الاحتلال؛ إذ جاء تعريفه متأخرًا ويندرج تحت المفهوم السياسي أكثر من أيّ مفهوم آخر، ضمن الاتفاقيَّة العربيَّة لمكافحة الإرهاب التي وقّعت في القاهرة في يوم 1988/4/22 حيث نصّ التعريف للإرهاب على أنّه: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيّا كانت بواعثه، أو أغراضه ويقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي، أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرُّعب بين النَّاس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك العامَّة، أو الخاصّة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنيَّة للخطر"[6].

وخصّصت الاتفاقيَّة العربيَّة فقرة منفصلة لتوضيح أنَّ حالات الكفاح بمختلف الوسائل ضدّ الاحتلال الأجنبي لا تعدّ جريمة وفقًا لمبادئ القانون الدّولي.

### الحكمة من الإرهاب:

إنّ جميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية بيّنت الأسس والمنطلقات من الأوامر والنواهي والمباحات التي تضبط العلاقات الإنسانيَّة بين البشر، بصرف النظر عن الدين أو اللون أو العرق؛ فهذه الشرائع أمرت بأشياء ونهت عن أشياء وسكتت عن أشياء، وليس ذلك من باب الصدفة أو العبث أو الانتقاء، وإنّما هو دليل على حكمة الشارع في تفصيل التشريع، وتوزيع أبوابه

[5] – الحضارة الإسلامية، ج7، ص172.

[6] – الحضارة الإسلامية، ج7، ص172.

وتعدّد مناحيه، فإن لم تدرك الحكمة من نصّ التشريع، فسوف تدرك من التطبيق والممارسة، والبعض يقف على تلك الحكمة بالبداهة وإن كان البعض الآخر عنها غافلون.

فالحكمة من تحريم ما حُرّم، إمّا أنّه يشكّل خطرًا أو أنّه يجلب ضررا.

والحكمة من مشروعيّة الأخذ بما وجب، أنّه يؤدّي منفعة أو يدفع خطرًا أو يمنع ضررا.

والحكمة من المباحات التي ليس الأخذ بها واجبًا ولا تركها محرّمًا، لأنّه لا يترتّب على الأخذ بها ضرر ولا على تركها ضرر، فإن انتفع الآخذ بها، لا يضرّ ذلك من تركها، ويترتّب على ذلك أن المباح غلبت منفعته على ضرره، فلا يثاب آخذه ولا يأثم تاركه.

ولما خرج الإرهاب من المباح ولم يدخل في التحريم، لم يبقَ له إلا بابا واحدا وهو الوجوب، ولذا فقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتهيؤ والإعداد والاستعداد والتأهّب وصولًا إلى مرحلة الإرهاب، ولما لم يكن الإرهاب من المحرّمات، ولما خرج من الإباحة لم يعد فيه تخيير، ولذا دخل في باب الوجوب، بحيث أصبحت القضيَّة من الأوامر، والأخذ بها من اللوازم.

وأمّا الأخذ بما نُهي عنه فإنُه يؤدّي إلى خلل يترتّب عليه مضارّ كثيرة، وترك ما وجب الأخذ به يترتّب عليه ضرر أكبر، ومن هنا تظهر الحكمة من تشريع الإرهاب وجوبا في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[7].

[7] – الأنفال 60

فمن المسائل التي يجب أن يُنظر إليها من زاوية الحكمة، التي من أجلها نؤيّد الإرهاب ونحض على الأخذ به، أنّ الله سبحانه وتعالى جعله الحدّ الفيصل في التوازن بين البشر كي لا يكون قوم مستضعفون في الأرض فيتخطفهم النَّاس مصداقًا لقوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاس فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[8]. وبين التسلط والعدوانية والظُّلم التي تتمتّع بقوّة طاغية منفلتة من الفضائل والقيم تحملها على العدوان والسيطرة، فتأخذ من هذا حقّه وتدفعه لمن ليس له بهِ حقّ، ولذلك قيّد الله تعالى قوّة الإرهاب بشرط قتال من يقاتلك وعدم العدوان على الآخرين مصداقًا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[9]. فكان هذا قيد للإرهاب بشرط دفع العدوان لا بمباشرته، لأنّ الإرهاب هيبة من القوّة والاعتزاز والمنعة التي تحقّق الاعتراف والاعتبار والتقدير من الآخر، والثقة والأمن والطمأنينة للذات، ولا أحد ينكر أنَّ الإرهاب قوّة، ومن الحكمة أن يكون الفرد أو المجتمع على هذا الجانب من القوّة، وخروج هذه القوّة من الإرهاب إلى حيّز آخر، يصبح له تسمية أخرى ومصطلح آخر، لأنّ الذي لم يرهب من الإرهاب؛ فقد تجاوز حدّه بالتمادي والعدوان، لذا وجب الخروج من الإرهاب إلى فعل هو أشدّ من الإرهاب كي يردع المعتدي، وهنا ينتهي مصطلح الإرهاب ويتلاشى مفهومه وتغيب دلالته ويفارق معناه، ويدخل فعل آخر بأدوات أخرى لردع الآخرين. فكان النهي عن الاعتداء هو أمر بالبقاء في حالة الإرهاب التي تحافظ على التوازن بين الأفراد أو بين المجتمعات، فما كان الإرهاب ليخرج عن حالته إلى حالة أخرى، إلاّ لمدافعة الذين يبدؤون بالعدوان، وهنا ملاحظة دقيقة في مشروعية الإرهاب للجميع، ذلك أنّ الآية

---

[8] – الأنفال 26

[9] – البقرة 190

أمرت قتال من يقاتل على وجه الخصوص، وبذلك خرج من القتال وعدم جواز قتاله من كان يتمتّع بصفة الإرهاب؛ فمن كان متهيئا ومستعدّا ومتأهبا دخل الحيّز الإرهابي بما يمتلكه من أدوات القتال من العدّة والعدد والعتاد والمقاتلين الذين تمرّنوا على القتال وتمرّسوا فيه، فالذي كان هكذا حاله لا يمكن أن يوصف بالمقاتل، وإنّما يوصف بالإرهاب لامتلاكه وسائله وأدواته ولذا أُقرّت شرعيته وامتنع قتاله.

وتتجلّى الحكمة من الإرهاب أنّه عمل مشروع لأنّه يعمل على:

. توثيق العلاقة.

. تحقيق الموجب.

. تحقيق التوازن.

. طرد الخوف.

أوَّلًا: **توثيق العلاقة:**

إنّ الإرهاب بمفهومه الحقيقي هو امتلاك القوَّة وأسبابها الماديَّة والمعنويَّة والفكريَّة والثقافيَّة من حيث التهيؤ والاستعداد والإعداد وصولًا إلى التأهّب، والوصول إلى التأهّب في الحالة الإرهابيَّة، يعني إرهاب الآخر الذي يعني في مفهومنا ومفهوم المصطلح حقيقة لا افتراءً، أن توصل رسالة للآخر يدرك من خلالها القوَّة والعزة والمنعة التي تمنعه من الاعتداء عليك، وفي الوقت نفسه تحافظ على اتزانك في عدم العدوان عليه، ومن خلال هذا الإدراك يُكنّ الآخر لمن يمتلك وسائل الإرهاب وأدواته، التقدير والاحترام والاعتراف والاعتبار، بحيث أصبح في نفس الآخر من المهابة للمُرْهِب ما يمنعه من العدوان عليه والعدول عن النوايا السيئة إلى الدخول في حوار يفضي إلى التفاهم من أجل مصلحة الطَّرفين، وهذا الحوار الذي قام على الإرهاب المتوازن إن كان من

طرفين أو من أطراف متعدّدة، أو أنّه إرهاب متّزن إن كان من طرف واحد تجاه أطراف أخرى، ومن هنا يكون الحوار منصبّا على ضرورة توظيف الجهود الاقتصاديَّة والثقافيَّة والرياضية والعلمية والبحثية والمؤسسات الأكاديمية خدمة للموجب، بحيث تنخرط جميع مكونات المجتمع بما تتمتّع من قدرات ومهارات في الإفادة من الطرف الآخر رغبة في كسب الودّ وإظهار النوايا الحسنة التي تدفع إلى التعاون الذي يفضي إلى تحسين العلاقات وتوثيقها، مما يؤدّي إلى الاستقرار الذي قام على التعاون وتبادل الخبرات والمصالح والمنافع المشتركة، بحيث تتوثق العلاقة التي تؤدّي إلى التطوّر والنموّ بدافع إرهابي.

وهذا الدّور يطلب من أهل الاختصاص في جميع المجالات أو معظمها أن تبني الآراء الإيجابيَّة وتسعى إلى ترسيخ القناعات واتخاذ القرارات والمواقف التي توضّح حقيقة مفهوم الإرهاب، وخاصّة من قِبَل المخلصين والواعين لحقيقة قضيَّة الإرهاب على محمله الموجب، ومن هنا يكون لأهل الاختصاصات في السياسة والاقتصاد والعلوم وعلماء الاجتماع دور كبير في تحقيق الاستقرار السياسي، والنمو الاقتصادي، والنهوض الفكري والعلمي وإظهار عقد اجتماعي يرتقي بالإنسان إلى مستوى المصطلح، من خلال تقريب وجهات النظر وصولًا لقواسم مشتركة تكسب الطَّرفين أو الأطراف استقرارا سياسيًّا واطمئنانا ونموا اقتصاديا وتطوّرا علميا وثقافيًّا بعلاقات وثيقة.

إنَّ الحكمة من قضيَّة الإرهاب، هو المحافظة على الإنسان والرُّقي به إلى إنسانيته، ولا يكاد يخلو مجال من المجلات الإنسانيَّة التي يسودها الاستقرار والتفاهم إلاّ وللإرهاب فيه نصيب إن لم يكن له النصيب الأوفى، إلاّ أنّ التركيز غالبا ما ينصبّ على الأدوار السياسيَّة أو الاقتصاديَّة أو العلمية، أو عليها مجتمعة، علما أنّ هناك إغفالا سهوا أو جهلا لدور الإرهاب الاجتماعي الذي تقوم بموجبه الأدوار السياسيَّة والاقتصاديَّة والعلمية والثقافيَّة والصحيّة، بحيث

لا يكاد يفارقها، ولا يكاد يوجد جانب من جوانب الحياة في المجتمع إلّا ولها صلة بالقضيَّة الإرهابيَّة من قريب أو بعيد، بل ربّما نرى أنَّ الإرهاب عمل اجتماعي، ودوافعه غالبا ما تكون اجتماعيَّة وأهدافه اجتماعيَّة.

ويمكن لأيٍّ أحد أن يقف على الآثار الاجتماعيَّة المترتّبة على الإرهاب، علما أنّ الإرهاب عرف اجتماعي يعمل به المجتمع من حيث لا يدري، ومن هذه الآثار دوره في تعزيز علاقات النَّاس بما تربطهم من روابط في حياتهم الاجتماعيَّة من ترسيخ فضائل وتعزيز قيم واحترام الآخر ومعرفة الذات، وهذا موقف من الإرهاب يساعد على تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وعدم شيوع روح التذمر والتمرّد في المجتمع، وذلك نوع من المساواة بين أفراده، وهو يمكّن كلّ ذي حقٍّ من الحصول على حقّه من المتطلبات الأساسية في الحياة من العيش والأمن والحرية، ويتحقّق ذلك من خلال النظام الإرهابي الذي لا يدركه كثيرون، وربّما يقول قائل إنّما يتحقّق ذلك بقوَّة القانون، ونحن لا ننكر هذا، غير أنّ الذي نقوله: إنّ القانون قوَّة إرهابيَّة لها من الهيبة والاحترام ما يمنع النَّاس من التطاول عليها، ولذلك يتعايشون مع القانون دون خوف، لأنّ القانون يأخذ صفة إرهابيَّة لدى جميع الأفراد، وكلّ أحد يرهب القانون، ولا نجد أحد يخشى من القانون أو يخافه.

### ثانيًا: تحقيق الموجب:

لقد نظر العالم إلى الإرهاب نظرة سالبة لا تعبّر عن الحقيقة بقدر ما تعبّر عن قصد الافتراء والتضليل من أجل مآرب، ذلك أنّ الذي سوّق هذا المفهوم للمصطلح وانحرف به عن حقيقته مفهومه ودلالة معناه، أراد أن يتنصّل من جرائمه باستحداث مفهوم جديد لمصطلح قديم كي تكون أفعالهم وممارساتهم خارج الإدانة إذا ما قيست إلى المصطلح.

من المعلوم لنا وللآخرين أنّ أيّة قضيَّة لا تُخلق في فراغ ولا تأتي من فراغ، بل تستند إلى معطيات وحسابات دقيقة رجاء نتائج تحقّق أهدافا مخططا لها سواء على صعيد المخططين أم من خُطط لهم ودُفعوا إلى الالتزام بالمخطط.

وعندما يأتي هذا التخطيط من خارج المجتمع تكون التصوّرات فيه بعيدة كلّ البعد عن تماسّها مع حقائقه ووقائعه، ذلك أنّ إعادة تشكيل المصطلح وفق رؤية غريبة من لغة غريبة نتاج مجتمع غريب؛ فإنّه لا يمنح القناعة المتوخاة.

وبعبارة أخرى إذا استطعنا أن نضع أيدينا على جملة من المتغيّرات الثقافيَّة لمفاهيم بعض المصطلحات من ستينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا من الوقائع التي شهدها التَّاريخ في هذا السياق مع إضافة المؤثرات الوافدة من الثقافة والإعلام، تتضح لنا هذه الظاهرة جليّة وينكشف الغرض منها.

وإذا استطعنا أن نحصر نتائج تغيير مفهوم مصطلح الإرهاب التي تمخّضت عن الافتراء عليه بتغييب موجبه واستبدال ذلك بأشياء سالبة انعكست على العقيدة والتَّاريخ ورسم توجهات المستقبل، فإننا سنعطي القضيَّة المزيد من مسوّغات إثبات الحقائق التي نحن بصددها في إعادة تبييض ما سوّده الآخرون من صفحات الإرهاب، وذلك بالعودة به إلى عمقه التَّاريخي وننطلق به من واقع يُعدّ واحدا من الفرص الأساسية في اختبار الأفكار والعقائد والتصوّرات، وفي امتحان المحاولات التي تسعى إلى تشكيل مستقبلنا، لا نقول على هديها، وإنّما على ضلالتها.

إنَّ البُعد التَّاريخي والعمق الفكري لأيّ مصطلح سيظل مطلبًا لاختبار مصداقيّة الادّعاء جنبا إلى جنب مع البعد التصوّري المستقبلي، ومدى ما يملكه من شمولية وتماسك وقدرة على الاستمرار بموازاة المطالب الإنسانيَّة التي يحققها الإرهاب في الاتزان والتوازن.

إنَّ العودة بالمصطلح إلى حقيقة معناه ودلالة مفهومه، تضعنا على جادة ما نريده من الإرهاب وما يريده منّا، وليس وفق منطلقات خاطئة متعمّدة حينا، ورغبة في إرضاء الآخرين أحيانا، بحيث تتوسع الهوة بيننا وبين ما نصبو إليه حتى تكون النتيجة في معظم الأحيان تعميق الخلاف بين طرفي القضيَّة لعدم العودة إلى الأصول أو القبول بها، ذلك أنّ العودة إلى الأصول تؤدّي إلى تأثير فاعل وعالٍ يلتقي فيه البعد التصوّري مع الواقع العملي، ممّا يعني بناء التصوّر المستقبلي القائم على إرث حضاري وامتداد فكري ينبع من الفضائل الثابتة التي أقرّتها الشريعة وقبلها العقل، ومن يعتقد أنّ العودة بالمصطلح إلى أصل حقيقته يُحدث في تركيبه تغييرا معيّنا فهو واهم، والذي نقوله: إنّه يعبّر في نهاية الأمر ليس عن الرَّغبة في إعادة صياغة المصطلح وفق منظورنا ومقولاتنا فحسب، وإنّما وفق حقيقة الإرهاب المعبّرة عن قدرته على تحقيق التوازن وإيجاد الأمن والطمأنينة لجميع الأطراف.

إنّ لفظة الإرهاب منذ أنّ عرفته اللغة العربيَّة وكان أحد مفرداتها في تشكّله الأوَّلي وعبر عصور مضت، لم يكن له سوى الوجه المشرق، إلاّ أنّ الانحراف بمفهومه ومعناه أوصل البعض إلى الاعتقاد بأنّ الإرهاب يحمل كلّ ما وُجّه إليه من تهم نجزم بأنّها باطلة؛ فكانت تلك التهم سلاحًا يحمل أكثر من حدّين مسلط علينا:

أ ـ استبدال المفهوم الحميد للمصطلح بمعًاني القتل والإجرام والعدوان.

ب ـ وصف من يأخذ بأسباب القوَّة في الإرهاب المشروع بما تمّ استبداله من معًانٍ تحت مسمى الإرهاب.

ج ـ الذي يمارس الاحتلال والقتل والعدوان ليس إرهابيًّا.

إنّ هذا التلقي للمصطلح بهذا المعنى والقبول به في الاستعمال اللغوي للدلالة التي أُريدت له واستخدمت فيه يطعن في أمّة بكاملها من وجوه:

1. العقيدة التي أقرّت إيجابيَّة المصطلح.

2. العقليَّة التي قبلت استبدال مفهوم المصطلح.

3. اللغة التي تسمح للغات أخرى بتغيير مفاهيمها.

فما هو موقف أمّة ولغة استخدمت بعض مفردات ألفاظها في الجوانب الإيجابيَّة وأسّست عليها حضارة كونها تنبع من الفضائل والقيم السَّامية على مدار قرون مضت، ثمّ تعود وتشتم هذه الألفاظ وتنكرها على نفسها سهوًا أو عمدًا.

**ثالثًا: تحقيق التوازن:**

إنّ الإرهاب بمعناه الحقيقي وامتلاك أدواته ووسائله يحقّق التوازن بين الأفراد والمجتمعات والتجمعًات، بحيث يجعل التجمعًات الإنسانيَّة ترتقي إلى إنسانيتها في معرفة الحقوق والواجبات وتحمّل المسؤوليَّات على جميع الأصعدة في المجالات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة في الاتجاهات المادية والمعنوية والرُّحيَّة

إنّ أيّ مجتمع أو تجمّع بحاجة ماسَّة إلى من يساعده على تحقيق التوازن دون خوف في حياته العامَّة على جميع الأصعدة، وهذا التوازن لا يتحقّق إلا بضوابط وروادع تمنع الأفراد أو المجتمعات عن الانحراف والتطرُّف والميل عن القصد والاعتدال، والإرهاب يحقّق هذا التوازن بما يمتلك من وسائل القوَّة الرادعة التي تتمثّل في أشياء كثيرة مادية ومعنوية وروحية يحملها الإرهاب، ولذا فإنّ الإرهاب يأخذ اتجاهات عدّة منها:

آ . الإرهاب المادي:

ويتمثّل هذا النوع من الإرهاب الذي يحقّق التوازن في القوّة المادية وأسبابها العلمية من الرجال والسّلاح والعدَّة والعتاد والأموال التي تسخّر في تطوير الجانب العلمي خدمة للجانب العملي، فيمتنع العدوان الخارجي وتفضّ الخصومات الداخلية، ولذا يكون هذا الجانب الإرهابي محافظا على التوازن من باب تأمين الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي يترتّب عليه استقرارا اقتصاديا وأمنيّا

ب . الإرهاب المعنوي:

إنّ الإرهاب المعنوي من الأهميَّة بمكان في تحقيق التوازن لتعدّد مصادره وكثرة معطياته التي تتمثّل في جوانب منها:

1 . انعكاسات الإرهاب المادي؛ ممّا لاشكّ فيه أنّ الإرهاب المادي بما يحمل من معطيات، يخلق نوعا من الإرهاب المعنوي لما يقع من هيبته في نفوس الآخرين، ممّا يجعل العقل الإنساني متّزنا في تفكيره، و متوازنا في كلّ ما يقدم عليه من تصرّفات، وهذا الاتّزان في الفكر والتوازن في التصرّف ناتج عن مصادر إرهابيَّة مادية، مصدرها الهيبة التي تحملها معطيات الإرهاب الموجبة التي حدّدت الحقوق وبيّنت الواجبات فنتج عنها تحقيق التوازن

2 . القوانين والأنظمة معطيات إرهابيَّة تجعل المجتمعات متماسكة تُحترم فيها الشرائع والقوانين والأنظمة، وبهذا الاحترام الإرهابي للجانب المعنوي للإرهاب يجعل المجتمع متينا ومتماسكا لقرب أفراده من بعضها البعض في التفاهم والمعَاملات والبيع والشراء وما إلى ذلك، على العكس من المجتمعات التي لا يتمتّع القانون فيها بقوّة إرهابيَّة، ونقصد بذلك تفشّي الرشوة والفساد والمجاملات على حساب الحقّ مما يفقد القوانين والأنظمة إرهابيتها المعنوية،

بحيث يندفع أفراد المجتمع إلى التسيّب والتمرّد، لأنّ القانون إذا فقد إرهابيّته أصبح فاقدا لمشروعيّته، ومن الصّعب تطبيق قوانين وأنظمة فاقدة لصفتها الإرهابيَّة، ومن ثَمَّ يصبح من الصّعب التوفيق بين أفراد المجتمع.

فالمجتمع المتماسك هو المجتمع الذي يندفع فيه أفراده بقوَّة أنظمته وقوانينه الإرهابيَّة نحو تكييف النَّفس مع الآخرين اندفاعًا ذاتيا، ولا يجدون صعوبة في تطبيق الأنظمة على أنفسهم، بل يندفعون نحو التطبيق والقبول طواعية وامتثالا لما لهذا القانون من صفة إرهابيَّة لا تدخل في مجال الإخافة.

3 . الأخلاق قوَّة إرهابيَّة تفرض نفسها على الآخرين من خلال الاحترام والتقدير والاعتراف والاعتبار، ولتوضيح ذلك يمكن أن نعوّل على جوانب الفداء والتضحية والاستشهاد، فهذه المعطيات هي معطيات أخلاقيَّة تدفع بالمرء عند الضرورة إلى أن يجود بنفسه من أجل قضيَّة يؤمن بها، ولما كان هذا حالها؛ فإنّ هذه الأخلاق على درجة عالية من الإرهاب التي تحافظ على سلامة المجتمع الذي يحمل هذه القيم الأخلاقيَّة ويكون أمنه بمنأى عن التهديد والعدوان، وكذلك الكرم والشجاعة والإقدام هي صفات أخلاقيَّة عالية تحمل معطيات إرهابيَّة تمنع السرقة والظُّلم والعدوان، وأيّ فرد يكون على درجة من هذه الأخلاق، فقد حمى نفسه بمعطياتها الإرهابيَّة التي لا يمكن لأحد إلاّ أن يثني عليها ويقدّرها.

4 . إنَّ الجانب الروحي الإيماني من أهم ما يجب أن يتمتّع به الإنسان لما يحمل من معطيات إرهابيَّة ذاتية وموضوعيَّة، لاسيما أنّه يدخل فيه الإيمان والعقيدة، حيث يمثّل الإيمان والعقيدة وامتداداتهما اليقينية والأخلاقيَّة نقطة الارتكاز في الحفاظ على التوازن بين الروح والمادة على مستوى الذات وانطلاقا منها إلى الآخر.

هذه الروادع الرُّحيَّة الإرهابيَّة تقف موانع وحواجز أمام جموح النَّفس وطموحاتها غير المشروعة، وتردعها عن شهواتها لما يحمل الجانب الروحي المتّصل بالإيمان والعقيدة من مفاهيم الخير والشرّ، والحلال والحرام، والحقّ والباطل، والعدل والظُّلم، والثواب والعقاب.

إنّ هذه المعطيات التي يحملها الجانب الروحي الإيماني، هي أدوات إرهابيَّة إصلاحية، تصلح الذات وترتقي بها نحو الفضائل، وإصلاح الذات على مستوى الأفراد يصلح المجتمع بإرهابٍ روحيٍّ ينعكس على جميع مرافق الحياة والمجتمع، فترتفع بهما من الواقع الأدنى المتمثّل في المجال الحسي المادي، إلى واقع أسمى تكون المادة فيه قائمة على خدمة الروح ومسخّرة لها، ممّا يؤمّن توازنا لدى ملكات الإنسان وطاقاته على المستوى الجسدي والعقلي والروحي، فإذا تمّ التوازن بين أضلاع هذا المثلث، يستطيع الإنسان أن يقوم بمهمته على أكمل وجه في خلافة الأرض وإعمارها انطلاقا من القيم الإرهابيَّة التي تحملها معطيات الجانب الروحي، وبما تؤثّر فيه على النَّفس والعقل؛ ولذا فإنَّ إرهاب الجانب الروحي يتحقّق بتحقيقه الكيان الأسمى للإنسان بوضعه على جادة التوازن في العمل والسُّلوك والتصرّف بينه وبين ذاته، وبينه وبين الآخرين، وبين حياته وفيما بعد الموت، ذلك أنّ الإرهاب الذي يتمتّع به الجانب الروحي يوازن بين المادي والمعنوي، فيهذّب الطباع، ويطهّر القلب، ويرتقي بالأخلاق إلى أن يرتقي بالإنسان فكريا وعقليا ونفسيًّا، ممّا يجعله على جانب كبير من الرَّهبة في قلوب الآخرين.

**رابعًا: يطرد الخوف:**

لا زال كثير من المثقفين والمفكرين يعتقدون أنّ الإرهاب هو الخوف، أو أنّ الخوف هو إرهاب، ودرجوا على ذلك منذ زمن ليس باليسير إمّا جهلا

وإمّا انصياعا لواقع فرض نفسه عليهم لأسباب لا يستطيعون مقاومتها أو الخروج عليها.

فهل يصحّ أن نسمي الراهب خائفًا أو نسمي المرهب مخيفًا؟

لو كان الأمر كذلك لاستغنينا بأحد اللفظين عن الآخر واكتفينا بأحد المفهومين الذي يؤدّيه أحدهما.

إنّ الإرهاب على النقيض من الخوف وإن كان الأمن نقيضًا آخر للخوف، لكنّ الفرق بين الإرهاب والخوف والأمن هو بمعًادلة بسيطة كما نبيّنه:

. الأمن والخوف لا يقومان في ذات واحدة.

. المخيف آمن والمخاف غير آمن.

. الخوف والأمن يقوم كلّ منهما في ذات مغايرة.

. الإرهاب والخوف لا يقومان في ذات واحدة.

. الإرهاب أمام الخوف آمن.

. الخوف أمام الإرهاب غير آمن.

. الإرهاب والأمن يقومان في ذات واحدة.

وعلى هذا يكون الإرهاب طاردا للخوف ومدعاة للأمن لأنّه يجتمع معه في نفس الذات، ولذا فالإرهاب يخلّص الإنسان من الخوف، والحكمة منه أنّه يؤدّي إلى القضاء على الخوف وليس هو المخيف؛ فهو طارد له ومزيل لمعطياته، ذلك أنّ الإرهاب تقوى به الإرادة ويتّخذ به القرار ويحدث به التقييم والتقويم والإصلاح.

وحتى يطمئن المتلقي على أنّ الإرهاب عمل موجب يحمل حكمة عظيمة لا ترقى إليها مصطلحات كثيرة تحمل الصفات الإيجابيّة ممّا اختُزن في أذهان كثير من المفكرين والمثقفين والباحثين، نقف على قوله تعالى بما وصف به نبيّه زكريا صلى الله عليه وسلم بعد أن نادى زكريا ربّه، قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[10].

فرهبة زكريا صلى الله عليه وسلّم، رهبة فرح وطمأنينة وتقدير من زكريا صلّى الله عليه وسلّم لعظمة الخالق عزّ وجلّ؛ فهذه الرَّهبة لم تقذف الخوف في قلبه، وإنّما زادته إيمانا ومحبة وطمأنينة، كانت نتيجتها أن أصلح الله له زوجه ووهب له يحي صلى الله عليه وسلّم.

وعليه: فإنّ الإرهاب في أساسه قائم على مبادئ موجبة لتحقيق أهداف موجبة، ولما كان زكريا صلى الله عليه وسلّم صادقا في دعوته رغبا ورهبا، ظهرت على يديه الحكمة من الإرهاب.

وتتجلى حكمة الإرهاب وإيجابيّته في قوله تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}[11]. فالخطاب موجّه للمؤمنين بأنّهم أشدّ رهبة من الله، وهذه الرَّهبة رفعهم الله بها، وأمّا الذين لا يفقهون معنى الرَّهبة من الله تعالى؛ فقد وقع في صدورهم الخوف من الذين يرهبون، غير أنّ هناك فرق دقيق لا بدَّ من توضيحه بين من يقع الرَّهب في صدره وبين من يقع عليه، بحيث تكون العلاقة متداخلة إيجابيا بين الخالق والمخلوق، وبين المخلوقين فيما بينهم، فقد جاءت معطيات الإرهاب من الله سبحانه وتعالى،

---

[10] - الأنبياء 89- 90

[11] - الحشر 13

واستقرّت في نفوس المؤمنين، ثمّ استشعرها الذين لا يفقهون فوقع عليهم الرَّهب الكامن في صدور المؤمنين؛ فكانت العلاقة أنّ:

. معطيات الرَّهب في هذه الآية من الله تعالى.

. الرَّهب الذي وقع في صدور المؤمنين كان من الله تعالى مدعاة للطمأنينة.

. الرَّهب الذي وقع على الذين لا يفقهون كانت معطياته من الرَّهب الذي وقع في صدور الذين آمنوا.

. الرَّهب الذي وقع على الذين لا يفقهون كان مدعاة للخشية التي ولّدت في نفوسهم الاعتراف والتقدير للمؤمنين.

ولذا؛ فالفرق كبير بين من يقع الإرهاب في صدره وبين من يقع عليه الإرهاب؛ فالذي يقع الإرهاب في صدره يكون ذلك مدعاة للطاعة والتقرُّب مع الاعتراف والتقدير رغبا ورهبا، وأمّا الذي يقع عليه الإرهاب؛ فيكون لك منه الاعتراف مع التحسّب.

ومن خلال ما وقفنا عليه نجد أن الإرهاب يحمل حكمة عظيمة لا تدرك إلاّ بالتأمل الدقيق لسياقات النظم وعلاقات الألفاظ ودلالات معّانيها، حيث أنّ الإرهاب فعل موجب والأخذ به واجب والعمل به مشروع.

## الخوف

الخوف توقّع حذري قبل وقوع الفعل؛ فهو يستوجب اتقاء ما سيقع، وقد يُحدث أمرا غير مُرضيا، أو أنَّه يُحقّق ألما، والخوف هو ما ليس بجُبنٍ، فالجبن لا يكون ساكنا إلّا في نفس من يعرف الحقيقة تجاه ما يجب ولا يقدم عليه، والخوف لا يكون إلّا في دائرة المتوقّع من أجل الإقدام على، أو الانتهاء عن، دون تأخّر ولا جبن.

ولذا فالخوف استشعار للمستقبل واستطلاع لِما قد يَحلّ به وقد يؤثّر تأثيرا سالبًا على الفرد أو الجماعة أو المجتمع وما يمتلكون، وحتّى لا يحدث تُبْذل الجهود من قِبل مستشعريه وقاية منه أو استبدالا له، أو استغناء عنه في دائرة الممكن.

ومع أنَّ معظم معلومات العامة من النَّاس عن الخوف هي معلومات عن سالبٍ، إلّا أنَّ حقيقة أمره لا تربطه بسالبٍ؛ فالعامة على سبيل المثال يخافون من الظلمة، ولكن هل يوجد شيء من مكوّنات الظلمة يخيف؟

بالتأكيد الظلمة لا تُخيف، ولكن ما قد يفاجئك وأنت في زمن الظلمة قد يُلحق بِكَ ألما أو ضررا، ولهذا ينبغي أنْ تكون عند الظلمة حذِرا متيقّظا، وإن لم تكن كذلك فقد تفاجأ بما هو غير متوقّع، وعندها قد تحدث الخسارة، ولكن بفضل الله علينا خلق الخوف في أنفسنا وجعله قابلا للاستشعار العقلي ليتّخذ الإنسان حذره ممّا يُخيف.

وعليه: فالخوف الذي هو من خلق الله فينا خلقا، هو دائما موجب، ولذا لا حُجّة للبعض الذين يرون أنّ الإنسان قد خُلق على السلبية في مقابل قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[12]؟

ولأنَّ الخوف موجب فكلّ عاقلٍ منّا يخاف المرض ولا يخاف الموت، ذلك لأنّ للمرض دواء؛ فكلّنا نسعى إلى بلوغه والعمل من أجل الحصول عليه؛ فتجرى التطعيمات الوقائيَّة للناس عن المرض استباقا، خوفا من حدوثه، أمّا الموت فلا دواء له، ولهذا لا أحد يفكّر في علاج الموت.

ولأنّ الخوف يصنع المستقبل؛ فكلّنا نسعى لتوفير الماء قبل أن يلمَّ بنا العطش، ولأنّنا نجوع؛ فنسعى لتأمين غذائنا قبل أن تلمّ بنا أزمة الغذاء وألم الجوع، ولأنّنا نخاف من الوِحدة، فنسعى جميعا من أجل تحسين علاقاتنا الاجتماعيَّة مع الآخرين أبوة وأخوة وعمومة وقرابة وجيران كرام كي لا يلمّ بنا ما يخيف، وحينها نتمكّن من بلوغ السكينة.

ولأنّنا نعرف ما تتركه السرقة من ألم؛ فنسعى للتأمين على ما نمتلكه قبل أنْ تحدث السرقة، ولذا فمن لم يكن خائفا فطنا سيدفع ثمن غفلته ألما.

وهكذا بأسباب الخوف من الجهل تسعى النَّاس لنيل التعليم، ولذلك دائما من لا يخاف على مستقبله لا يسعى لتأمينه، ومن لم يرسم الاستراتيجيات والخطط لمستقبل أفضل، لن يجد لنفسه مكانة يتبوّؤها بين النَّاس، ولن يكون له مستقبلا مفضّلا ولا مقدّرا، بل قد يجد نفسه على الرصيف جالسا على قارعة الطريق متسوِّلا، أو سجينا بين الجدران بأسباب فقدانه مشبعات الحاجة.

---

[12] التين 4.

ولأنّ الخوف نعمة من نعم الله علينا؛ فكلّ عاقل ليس له بدٌّ إلّا أنْ يُفكّر في كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه ما يخيف.

وعليه: فالعاقل دائما يسعى لتأمين مستقبله من الكوارث. وهكذا كلّ من يخاف من العدوان يسعى لإعداد العُدَّة قبل أن يحدث العدوان، وذلك لأجل إرهاب العدو ووضع حدّ له يقف عنده.

ولمتسائل أن يسأل:

الخوف من أجل ماذا؟

نقول:

من أجل السلامة، ولذا فمن يحرص على الإقدام على ما يخيف من أجل التخلّص منه أو تجنّبه بما يحقّق السكينة والأمن، سلم. وإلّا لماذا الآباء هم يخافون على أبنائهم؟

بطبيعة الحال خوف الآباء على أبنائهم هو من باب الحرص عليهم وتحقيق السلامة لهم. ولذلك فمن خاف سلم، ومن لم يخف ألقى نفسه في التهلكة.

وعليه فالعلاقة قويّة بين الخوف والتدبُّر، وبينه وبين التفكّر، والتذكّر، أي لماذا الإنسان العاقل ينبغي عليه أن يتدبّر أمره، ويتذكر ماضيه، ويفكّر في مستقبله؟

نقول:

يتدبّر حاله في الزمن الآن من أجل أن يستمدّ القوّة التي بها يتمكّن من التذكّر والتفكّر، ويتذكّر الماضي لكي يتدبّر حاضره عن بيّنة، ويعرف ما

يجب أن يَقدِم عليه في مستقبله، أمّا التفكّر فلا يكون إلّا في كلّ ما من شأنه أن يحفّزه على صناعة المستقبل.

وكما أنّ هناك علاقة موجبة بين الخوف والتدبّر والتفكّر والتذكّر؛ فكذلك هناك علاقة سالبة بين الخوف والوهم؛ فالوهم مجرد افتراضات لا علاقة لها بالواقّع (تخيّل ليس إلّا)، أمّا الخوف فلا وجود له إلّا مع واقع، ولهذا فالفرق كبير بين متخيلات الوهم وبين ما يكشفه الخوف حقيقة. فالآباء في كثيرٍ من الأحيان يرسمون صور وهميّة في أذهان أبنائهم عن المجهول بالنسبة لهم بغرض السيطرة عليهم وجعلهم تابعين؛ فالغول الذي ليس له صورة لعدم وجوده حقيقة، صورته لم تمحَ من أذهان الكثيرين من أبناء العالم المتخلّف.

ولأنّ للخوف علاقة وثيقة مع المستقبل؛ فالنَّاس تخاف من مفاجِئات الزلازل؛ فتسعى في البحث لأجل أن تتمكّن من المعرفة العلمية التي تكشف مؤشرات الزلازل قبل وقوعها تفاديا لِما قد تحدثه من كوارث، ولذا فالمهندسون وخاصة المعماريون هم دائما يبحثون عن كيفية إيجاد تصميم معماري يُسهم في تفادي الهزات الأرضية أو الحدّ ممّا تؤدّي إليه من أضرار.

ولأنّ الخوف فطري؛ فكلّ المخلوقات الحيوانية حالها كحال الإنسان تخاف فطرةً لا تعلّما؛ فالخروف بدون شكّ يخاف الذئب، والذئب يخاف الكلب، والكلب يخاف صاحبه ولا يخاف أعداءه، وهكذا الدجاج يخاف الثعالب، والثعالب تخاف الصيادين، ولكن دون تدبّر؛ فكلّ سلوك حيواني يكون الحسم فيه أثناء المواجهة للأقوى، ممّا يجعل للمفاجئة مكانة في إلحاق المغالبة بين حيوانا وآخر.

والفرق بين الخوف على المستوى العاقل والمستوى الحيواني هو أنَّ الإنسان يخاف فيتدبّر أمره مسبقا من أجل أن يتفادى المخاطر المقدّرة تقديرا بحسبان؛ فالمسلم يعلم أنّ أمامه مستقبل بين (سكينة وألم) وله أن يختار إرادة

(جنّةً أم نارا) ولهذا فالمؤمن في حياته الدنيا يتّقي الشرور ويبتعد عن ارتكاب المظالم خوفا من النار وحبّا في الجنّة، ولهذا فهو يُصلّي ويُزكّي ويصوم ويتّبع أمر الله ونهيه، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسعى للإصلاح في الأرض وإعمارها وفلاحها، أمّا غيره من بني جنسه (الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم)؛ فهم غافلون، ولهذا لم يعملوا على صناعة مستقبلهم وهم في الحياة الدنيا، ولذا فالخوف تفادٍ للفعل المؤلم سواء أكان هذا الفعل في الحياة الدنيا أم أنّه عندما يكون مترتّبا عقابا في الحياة الآخرة على ما لم يُفعل في الحياة الدنيا أو أنّه فُعل عن غير طاعة لما يجب أن يُفعل إرادة.

ولأنّ الخوف يُجنّب الألم؛ فالواعون دائما يتجنّبون لحظة الغضب بحكمة وتدبّر، بغرض إضاعة الفرصة على الغاضب وإعادته لرشده، ولذا فإنْ لم يتمّ تفادي الغضب لحظته تحدث المواجهة المؤلمة؛ فتتأزّم الأمور ويتصدّع البناء الأسري أو العشائري أو أيّ بناء اجتماعي وإنساني على مستوى الأفراد والجماعات وحتى الدول.

وهكذا العالم المتقدّم دائمًا يَقدم على كلِّ شيء يمكن أن يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل؛ فبالنسبة له كلّ شيء بحسابه؛ ولذا كلّ يوم نلاحظ أسعار النفط والذهب والفضة والعملات وأسعار الأسهم وما شابهها اقتصاديا تتغيّر وتتبدّل قيمها أحيانًا بتعديل رؤية في سياسة منظّمة الأوبك أو تصريح من رئيسها أو تصريح من أيّ رئيس له أثر فعّال على الساحة العالمية، أو إذا وقعت كارثة طبيعية أو غير طبيعية من حروب أو حتّى تهديدات باردة ترتفع بأسبابها أحيانا جميع الأسعار عقاريّة ومالية وذهبية ونفطية وفضيّة وغيرها، وكلّ ذلك بأسباب الخوف التي تجعل الكلّ يأخذ حذره الذي به يتمكّن من تأمين مستقبله.

وعليه: النَّاس جميعًا يخافون في ظروف متشابهة أو ظروف مختلفة، ولذا فالخوف انفعال طبيعي مرتبط بالفطرة، وثمّة مخاوف تكون وهميّة لدى البعض إذا تكرّرت بانتظام في غياب مخاطر حقيقية، وتكون هذه المخاوف ما بعد الفطرة في بعض الحالات، وهي مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بتجربة مخيفة نتج عنها رعب؛ فالذي يخاف من حيوان معيّن أو من أكثر من حيوان قد يكون هذا الخوف تأصّل في نفسه بعد أن تعرّض أو عرف وراء من تعرّض لهجوم من حيوان معين، وهكذا لو وقع طفل في حفرة؛ فهو يخاف أيّ حفرة مشابهة، ممّا يجعله أكثر حذرا في مستقبله من أجل السلامة، وهذا النوع من الخوف هو خوف زائد على الفطرة، لأنّه ناتج عن تجربة سبّبت أذى نفسيا كبيرا أو ألما جسديّا، جعلت صاحب هذه التجربة يخاف الأشياء التي مرّت به وسبّبت له ألما أو أذى نفسيّا أو جسديّا؛ فأصبح هذا الخوف نوعا من المرض الذي يجب علاجه، أمّا الخوف الطبيعي فهو خوف فطري لدى جميع البشر، وهو صفة من صفاتهم اللازمة، والذي لا يخاف يكون مريضا وجب علاجه أيضا.

الخوف هو صفة للخائف مثله مثل أيّ صفات أخرى يمكن أن يتّصف بها الإنسان، وطالما أنّ الخائف موصوف بما يمكن أن يتّصف من صفات ومن ضمنها الخوف؛ فإنّ الصفة التي اتّصف بها ـ أيّة صفة ـ إمّا أن تكون صفة عارضة تزول بزوال مسببها، كاصفرار الوجه الذي يسببه المرض مثلا، أو أنّها صفة لازمة خلقية كلون البشرة والشعر والأعين، أو فطرية غريزية من الصفات الإنسانيَّة التي تنقسم إلى مادية وإلى نفسيَّة روحية، فالمادية كالشعور بالجوع والعطش التي تزول بزوال مسببًاتها بعد الأكل والشرب وإن تكرّرت بانتهاء مشبعاتها ويكون المنبّه عليها داخلي يشغل حيزا ماديا معيّنا، وأمّا النفسيَّة الرُّحيَّة التي لا تنفكّ عن الجسد ولا يعرف موطنها فيه، كالشجاعة والجبن، والكرم والبخل، والخوف والأمن، تسكن في الحيّز الإنساني فطرة غريزيّة لا

يعرف موطنها، وتفترق عن الصفات المادية بأنّها تستثار وتهدأ بمثيرات خارجية وهي ملازمة في الحالين:

. حالة الاستثارة.

. حالة الهدوء.

فالكرم صفة مثل صفة الخوف، ذلك أنّ الذي يتّصف بها يكون كريما، ولا تظهر فيه صفة الكرم إلاّ بمثيرين اثنين:

الأول: من يقوم الكريم بإكرامه.

. الثاني: ما يقدّمه لمن يكرمه.

فإذا تلاشى كِلَا هذين المثيرين لهذه الصفة أو أحدهما، فإنّ صفة الكرم تهدأ في نفسه ولا تتلاشى، وذلك إمّا لأنّه لم يجد من يكرمه، أو أنّه لا يجد شيئًا يُكرم به، وبهذا تبقى الصفة قائمة في النفس لحين استحضار مثيراتها ودوافعها من الأسباب.

والخوف أقرب ما يكون إلى صفة الكرم؛ فهو ليس من الصفات المكتسبة، إذ لو كان الخوف مكتسبا لَعمِلنا جاهدين على إيجاد نقائض أسبابها بطريقة الكسب، وتخلّصنا منه إلى النهاية.

وعليه: فالخوف صفة لازمة للخائف ولغيره، وذلك أنّ الخائف تكون صفة الخوف لديه لازمة ظاهرة، وأمّا غير الخائف؛ فإنّ صفة الخوف لديه لازمة باطنة، وهذا يعني أنّ الخوف جزء من تكوين الإنسان النفسي كونه فطريا غريزيا، ومعلوم أنّ الصفات الفطرية التي ترتبط بالجانب النفسي لها علاقة مباشرة في حياة الإنسان؛ فإن أحسن الإنسان استخدامها، أدّت وظيفتها

الإيجابية التي وجدت من أجلها، وإن كان غير ذلك؛ فلا بدّ أن تكون النتائج عكسيّة.

ولما كان الخوف صفة فطرية لازمة؛ فلا بدّ أن تتناسب هذه الصفة مع مراحل الإنسان الحياتية وتنمو مع نمّوه بما يناسب التحذير من المخاطر التي تحدق به في كلِّ مرحلة من مراحل حياته، إذ لولا الخوف الفطري لهلك كثير من النَّاس وخاصة الأطفال الذين لم يصلوا إلى مرحلة التمييز العقلي، وهنا تظهر صفة الخوف نعمة ممّا أنعم الله تعالى بها على خلقه، ولذلك يكون الخوف عندهم نوعا من الحواجز التي تردعهم عن المخاطر في تلافيهم إيّاها، وكلّما كبر الإنسان كبر خوفه بنموّي عقله خوفا تحسبيّا، لا بمعنى الجبن والتخاذل، وإنّما بمعنى تقدير المخاطر التي تؤدّي إلى ضرر، ومعرفة المكاسب التي تؤدّي إلى النفع، وعليه فخوف الإنسان خوفان:

1 . خوف من أن يدركه شيء.

2 . وخوف من أن يفوته شيء.

فكلّ إنسان يشغله حيّز من الخوف منذ ولادته، حيث يكمن هذا الخوف في نفسه وإن كان آمنا، كما يشغل النفس حيّز آخر من الأمن والآمان، ويدور صراع النفس مع الخوف إمّا من أجل الحصول على الأمان أو المحافظة عليه حال وجوده، ومن هنا يجب أن يكون الخوف والأمن متوازيان لدى النفس الإنسانيَّة، أو بعبارة أدق يجب أن يكونا متعادلين، بحيث لا تستغني عن الخوف ولا تكتفي به، كما أنّها لا تستغني عن الأمان ولا تكتفي به، ووجود الخوف الفطري المصاحب للأمان في النفس الإنسانيَّة لا بمعنى الاصطحاب وإنّما بمعنى الكمون، يعطي الإنسان فسحة للتفتيش عن الأسباب التي تهدِّيء مخاوفه حال الاستثارة من خلال إيجاد المنافذ الأمنية والاطمئنان إليها عندما تطغى على المخاوف، ولذا نرى أنّ الأمان يمنح فرصة أكبر

للوقوف على مصادر الخوف، لأنّه يمنح العقل انطلاقة التفكير بما يجب وما لا يجب، ومن هنا يكون الأمان مستثيرًا للخوف في اللاوعي؛ فعندما يقف الإنسان من خلال اللاوعي على مصادر الخوف ومخاطر تلك المصادر؛ فيعود إلى وعيه ويبحث عن مثبتات الأمان من خلال خوفه، ولذلك فالنفس المطمئنة هي التي تتعادل لديها كفتي الأمن والخوف، الأمر الذي يمنحها الاتزان من خلال التوازن بين الجانبين؛ فإذا طغى الأمن على الخوف كان ذلك مدعاة للإفراط في الثقة بالذات، وهنا مكمن الخطر، وإن طغى الخوف على الأمن أدّى ذلك إلى الانسحاب المفضي إلى الجبن، ولذلك لا بدَّ لأيّ إنسان أن يمتلك قسطا من الخوف يوازي أمنه ويحافظ عليه، ذلك أنّ هذا القسط من الخوف الذي يعتري الإنسان، يكون نواة تبلور السكينة والأمن والطمأنينة ومصدر لها، فإذا تنكّر الإنسان لخوفه، انطلقت نفسه على هواها، وهذا الانطلاق يؤدّي إلى الانزلاق الذي لا يمكن التخلص منه إلاّ بالعودة إلى الخوف استشرافا للمستقبل الآمن من أجل التخلّص من القلق والاضطراب، فإذا كان البعض يرى أنّ أزمة الإنسان في الوقت الراهن في عصرنا هي الخوف، فإننا نرى أنّ عدم الخوف هو أزمة أكبر لما يُحدث من مخاطر، فلو كان الخوف قائما في النفس لوجب أن يكون هذا الخوف دافعا للحصول على الأمن والسكينة والطمأنينة من وسائلها الأمنية بأسبابها الخوفية؛ فإن تغلّب الخوف على الإنسان ولم يكن خوفًا متوازنا يرافقه جانب أمني، يتحوّل هذا الإنسان إلى جبان فقد اتزانه وقدرته على مواكبة الحياة، وبهذه الحال يكون قد وصل إلى مرحلة الخوف من الخوف، والذي يحلّ المشكلة برمّتها هو حسن التعامل مع الخوف ضمن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا وجب على الإنسان أن يواجه خوفه مواجهة عقلية انطلاقا من واقع يستشرف المستقبل بحيث يكون الخوف دافعا للبحث عن منافذ الأمن ومسببًا للطمأنينة من خلال نظرة استشرافية للمخاطر التي يمكن أن يأتي بها الخوف مستقبلا، وبهذه النظرة في

طريقة التعامل مع المخاوف، يكون قد سخّر خوفه خدمة لمستقبله إن علم أنّ الخوف صفة لم يتّصف بها إلاّ من أجل الانطلاق نحو الأفضل.

فالخوف هو ذلك المحفّز الإيجابي للعاقل الذي يدفعه إلى التحصّن ضدّ الشرور باستدعاء مفردات الخيرات في البحث عنها وتأمين سبلها ومسببًاتها خوفا من سيطرة مفردات الشرّ التي تحمل الألم والضرر والأذى، وما يترتّب عليها من حزن وقهر وحرمان، تؤدّي إلى حسرة ولوعة وخسران.

ولما كان الخوف ملازما للإنسان غريزة وفطرة، فإنّه لم يكن قبله، ولم يأتِ بعده، مما يعنى أنّ صفة الخوف هي شعور يختصّ بالمستقبل؛ فيبدأ الإنسان من خلال خوفه بتحصين نفسه ضدّ المخاطر التي يدرك أنّها تؤدّي إلى الضرر أو الأذى وأحيانا تصل إلى درجة الهلاك، ومن هنا يبدأ الفرد في تحصين الذات ضدّ أشياء يخشاها بداية أثارت مخاوفه؛ فيتحصّن ضدّ الجهل والفقر والمرض والعدو، وضدّ العطش والجوع والحرّ والبرد، وأشياء أخرى تثير مخاوف الإنسان أكثر من أن تحصى، ولو لم يكن هناك خوف من هذه الأشياء لما سعى الإنسان لتأمين مضاداتها التي تقف حائلة في وجه ما يثيره الخوف وما ينتاب الإنسان من هذه الإثارة، وبذلك يكون الخوف مدعاة لتأمين العلم والمال والدواء والقوَّة، وكلّما ازداد خوف العاقل ازداد مع هذا الخوف تحسّبه لما يمكن أن يأتي من مخاطر، فيكيّف نفسه وفق المخاوف التي يتوقّعها بما يعدّ لها من عدّة للمواجهة، وهكذا يكون الخوف سببًا للأمان والأمن والطمأنينة.

وكلّما اتسعت دائرة الإنسان، اتسع مع ذلك دائرة المخاوف التي تحدق به، إذ أنّ الامتداد الأسري للإنسان، هو امتداد لمخاوفه، ذلك أنّ خوف الأسرة أكبر من خوف الفرد؛ فالخوف على مستوى الأسرة يكون أوسع نطاقا وأبعد مدى من مجال الفرد، وبالتالي فهو دافع أكبر وأوسع في استشراف مستقبل الأسرة وما يحيط بها من مخاطر وجب الخوف منها تفاديا لوقوعها.

وهكذا عندما تتّسع دائرة الفرد الإنسانيَّة، يتّسع معها مجال مخاوفه، وبالتالي يجب أن يتّسع مع تلك المخاوف البدائل التي تقف في وجه تحقيق أهداف الخوف، ولذا نجد أن ما تحقّقه الدولة لا يحقّقه الفرد ولا تحقّقه الأسرة، لا بمعنى الإمكانات المادية، ولكن بمعنى الإنجازات التحسبيَّة الناتجة عن المخاوف ومسؤوليَّتها تجاه مواطنيها خوفًا عليهم.

**الخوف معيار التوازن:**

الخوف هو الوضع الطبيعي لدى الإنسان العاقل؛ فما من عاقلٍ إلّا وللخوف في نفسه مسكن ومكمن، وهذا السكون والكمون للخوف في النفس الإنسانيَّة صفة فطرية لازمة للمخلوق العاقل تحافظ على اتزانه بين المخيفات التي تحمل المخاطر وبين المطمئنات التي تؤدّي إلى الاستقرار، وهذا التوازن في الوضع الطبيعي للخوف الكامن في النفس يشكّل نقطة صفرية لا سالب فيها.

وعليه فالخوف عاطفة مثل بقية العواطف التي تتّصف بها النفس الإنسانيَّة مثلها في ذلك مثل الحبّ والرحمة، والكره والبغضاء، والفرح والسرور، والحزن والألم، وإن كان بعض العواطف مترتّب على البعض الآخر، أو أنّ بعضها يكون مبعثا للبعض الآخر في السلب والإيجاب، ومعلوم أنّ العواطف لها مثيراتها الداخلية والخارجية، تدفعها هذه المثيرات إلى الظهور بصور شتى من الانفعالات التي تعبّر عنها الحركة والسكون في النطق والصمت، والقول والفعل، والتصرّف والسلوك، وردود الأفعال؛ فنلمس من خلالها حالة نفسيَّة معيّنة ترتبط آثارها بالعاطفة المثارة، ممّا يدفع العقل إلى إشغال الفكر في البحث دائما عن الأسباب التي تعود بالنفس إلى وضعها الطبيعي نقطة الصفر لا سالب ولا موجب.

فالذي يضحك لا يمكن أن يستمرّ ضحكه إلى ما لا نهاية، والحزين لا يستمرّ حزنه أيضا، والمسرور لا بدّ أن يقف سروره عند حدٍّ، وهذا ينسحب على الخوف الذي استنهضته المخاطر من مكمنه، وهو بدوره ينبّه العقل عليها وليس على حجمها، لأنّ تقدير حجمها والبحث عن حلول لها في المواجهة والصدام، أو التلافي والابتعاد هي مهمة العقل كي يعود الخوف إلى مكمنه.

إنّ الإنسان العاقل يحمل خوفه في نفسه، والذي يقول أنّه لا يخاف؛ إمّا أنّه غير عاقل وهو صادق في دعواه، وإمّا أنّه عاقل فأراد أن يخفي خوفه، ولكنّه برهن على وجوده بمعرفة الخوف، لأنّه لو لم يعرف الخوف أصلا لكان سأل عنه، وما كان جوابه أنّه لا يخاف.

والذي يقول أنّه لا يخاف، هو لا يفهم الخوف، ذلك أنّ الله تعالى أودع هذه العواطف في النفس الإنسانيّة رحمة بالإنسان من جهة، وهي من باب التقويم الأحسن من جهة ثانية، إذ لولا هذه العواطف ومن ضمنها الخوف إن لم يكن في مقدمتها، لما استقرّت حياة الإنسان، وقبل ذلك نفسه التي يقوم عليها استقرار حياته؛ فلو قال إنسان أنّه لا يخاف وقدّمنا إليه النار، أو قدّمناه من النار، هل سيستمرّ إلى النهاية أم أنّه سيتراجع وينسحب؟

لا شكّ أنّه سيمتنع عن الاستمرار والمواجهة، فإن لم يقل أنّه تراجع خوفا، سيقول أنّه تراجع بسبب ما تحدثه النار من أذى.

فما الذي جعله يدرك هذا الأذى الذي تحدثه النار ويعمل على تجنّبه؟

ربما يقول قائل: إنّ العقل نبّه على خطر النار بأنّها مؤذية ومحرقة فامتنع عنها وابتعد، ونحن إلى هنا لا نخالفه في دعواه.

ولكن ما الذي جعل العقل يتنبّه إلى ذلك الخطر؟

هنا تنحصر الإجابة في اتجاه واحد لا سبيل إلى غيره، ذلك أنّ النار التي استثارت الخوف من النفس دفعت العقل إلى التفكير في حلٍّ للقضية؛ فأوعز العقل بالتراجع بداية، وصاحب العقل إن لم يتراجع وأقدم على النار، فإنّ ذلك لا يعبّر عن عدم الخوف، وإنّما يعبر عن خوفٍ من مخاطر أكبر ممّا تحدثه النار، والذي لا يتراجع عن النار بدافع الخوف منها والتجأ إليها، إنّما هو شعور بمخاطر أعظم ممّا تحدثه النار ظنّا منه بتقدير أقلّ الخطرين، وذلك كمن يدفعه خوفه من خطر وحش أو حيوان مفترس ويهرب أمامه من المواجهة وربّما لا يلتفت الوحش إليه؛ فإذا صادفه أثناء هروبه بئرا أو حفرة عميقة فقد يلقي نفسه بتلك الحفرة، وقد يؤدّي ذلك إلى هلاكه، ولو بقي على حاله الأوّل ربمّا لا يقربه الوحش ولا يفترسه، ولو أنّه واجه تلك الحفرة دون الوحش المفترس لما ألقى نفسه بها، لأنّه يخاف من خطر الإلقاء أن تكسر يده أو رجله أو أن يهلك، ولكن الخوف الذي نبّه على الخطر دفع العقل إلى طرح البدائل والموازنة بين أنواع مخاطر المخاوف وفوّض الإرادة بتنفيذ القرار، فكان اختيار ما هو متوقع أن يكون أقلّ خطرا بدافع الخوف، وربّما يكون أكثر خطرا وغير متوقع بدافع الخوف أيضا.

ولو كان هذا الموقف واجه إنسانا غير عاقل على سبيل الافتراض؛ فإنّ الخوف نفسه هو الذي يدفعه إلى تلافي المخاطر؛ فالفطرة الخوفية التي كانت تتعامل مع العقل، انتقل تعاملها إلى الغريزة حال غياب العقل، وهنا لا يتساوى الخوف من المخاطر بين العاقل وغير العاقل، لأنّ غير العاقل حال غياب العقل يكون تأثير الخوف على نفسه أقلّ، وذلك لعدم تحفيز العقل المقدّر لحجم الخطر، وبالتالي لا تتساوى لديهما البدائل في إيجاد الحلول التي تدفع المخاطر أو تمنعها، لثبوت العقل عند الأوّل وغيابه عند الثاني، وبغياب العقل تحلّ محلّه الغريزة القائمة على ردّة الفعل؛ فتعمل على التجريب لا من أجل

اكتساب تجربة وزيادة خبرة، وإنّما تجريب ظنّي بدافع الخوف الغريزي الذي حلّ محلّ الخوف الفطري المرتبط بعلاقة وطيدة مع العقل.

إنّ المعرفة التجريبية لدى غير العقلاء لا يمكن أن تكتسب، وإنّما هي محاولة قد تخطيء وقد تصيب، لأنّها بالنسبة له ظنيّة، وبالنسبة للعقلاء هي افتراضات خارج دائرة التجريب العاقلة كونها لا تمنح استدلالا يقينيا لمنبّهات الخوف الموصلة إلى النجاة.

لأنَّه معلوم أنّ إشارات التنبيه الخوفية تذهب بداية إلى العقل الذي يتعامل مع ما ورد إليه من معلومات يعرضها على ما اختزن في الذاكرة ليجد مضاداتها ومتوافقاتها ويعلم سالبها وموجبها، ثم يتّخذ قراره الذي يدفعه إلى الإرادة، وهذه العملية لا تتمّ إلاّ بسلامة العقل الذي يستقبل المعلومات أو الإشارات ويرسلها بعد معالجتها، ولا ينتهي دوره بعد أن يدفع بها إلى الإرادة، وإنّما يتعاظم دوره بعد ذلك في توجيه الإرادة أيضا؛ فغير العاقل إن كانت أعصابه من خطوط الاستقبال والتوجيه التي تستلم الإشارات والمعلومات سليمة؛ فإنّ ذلك لا يغني عنه شيئًا بغياب العقل؛ فالمنبهات على الخوف وإن أثّرت على الأعصاب؛ فهي إمّا أنّها لا توصل الإحساس إلى الدماغ، أو أنّ الدماغ لا يتعامل معها لغياب العقل، وهنا يفقد غير العاقل التوجيه المركزي في التعامل مع مخاطر الخوف ويلجأ بالغريزة إلى الاستثناء القائم على ردّة الفعل ما يترتّب عليه غياب تقدير النتائج وذلك أنّه:

. فقد القرار السليم الذي كان يتّخذه العقل في قياس حجم المخاطر أوّلا، ومن ثمّ طرح البدائل والحلول التي تواجه الحدث.

. فقد الإرادة التي كانت تبعث في الأعصاب ما تبعثه المؤثّرات في التعامل مع الحدث لحظة استنهاض الخوف للمخاطر، وكيفية التعامل معها بعد تلقي القرار من العقل وتفويضها في التعامل مع المخاطر.

**الخوف نقطة الانطلاق الموجبة:**

لما كان الخوف من العواطف اللازمة للإنسان ويسكن في نفسه؛ فكان ذلك مؤشّر النقطة الصفرية، وهذا الخوف كامن في النفس عند نقطة الصفر التي يمكن أن نعتبرها بداية الموجب كون الصفر يدخل ضمن الأعداد، وهذا يعني أنّ وجود الخوف في نقطة الصفر هو بحدِّ ذاته موجب لوجوده.

إنّ الخوف يجعل النفس الإنسانيَّة والإنسان بكلّيته عند استثارة المخاطر للخوف في نفسه، يتأرجح بين السالب والموجب إلى أن يتمّ الاختيار من العقل ودفع القرار إلى الإرادة؛ فإن اتجهت الإرادة إلى التوجس والحذر والخشية؛ فتكون قد سلكت مسلكا موجبًا انطلاقا من الصفر صاعدا، وإن اتجهت إلى والتخاذل والجبن، فقد نحت منحىً سالبًا انطلاقا من الصفر نزولًا[13].

---

[13] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شرطة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 9 – 29.

## الإرهاب بين خائف ومخيف

الإرهاب شعور تحذيري، يقع في نفس كلّ من الأنا والآخر، بتعادل الأثر المتطلِّب الانتباه، وأخذ الحيطة من كلا الطَّرفين حتى يتداعيا إلى الالتقاء المؤدّي إلى التفاهم والتفهّم، ممّا يجعل الأنا والآخر على غير خوف، ولكن إن لم يتمّ التفاهم والتفهّم بمعطيات الإرهاب المسالمة فقد يقع العدوان المخيف ظلمًا؛ فيفرض ردًّا قد يكون قاسيًا في دائرة الممكن غير المتوقَّع.

إمّا ما يجري في هذا العصر على الآخرين من مظالم بالقوّة والإكراه والإجبار؛ فهي اعتداءات ظالمة، وليست بالإرهاب الذي يُقرّه الدين الإسلامي؛ فالإرهاب في حقيقة أمره لا علاقة له بالعدوان الظَّالم؛ ولذا لو تحقّق الإرهاب بين النَّاس تقديرًا واعتبارًا (سِلمًا) لما كانت تلك الأفعال الظَّالمة أن تحدث، بل الذي يحدث في مقابلها هو أن يقف الكلّ عند حدّه، ولا يمتدَّ داخل حدود الآخرين الذين من حقِّهم الامتداد عليها كما يشاؤون دون مظالم.

وعليه: فالإرهاب (بين خائفٍ ومخيف)، هو ذلك الفعل الذي ينهي الخوف ويُزيله من الأنفس؛ فالمخيف هو ذلك الممتلك للقوّة المعدَّة وفقًا للاستطاعة الممكِّنة من إلحاق الأذى والضرر بالآخرين ظلمًا، إمّا الخائف؛ فهو ذلك الضعيف الذي لم يتمكّن من امتلاك القوّة التي تُمكِّنه من استرداد حقوقه التي أخذت منه ظلمًا، وسيظل الخائف خائفًا من المخيف إلى أن يتمكَّن من إعداد القوّة وامتلاكها؛ فإن تمكَّن من امتلاكها وإعدادها تحرّر من الخوف، وأصبح مرهبًا للذي كان مخيفًا له، وحينها تتعادل كفتي الميزان العدل على أن يقف كلٌّ عند حدّه ولا يعتدي على غيره.

ولتوضيح ذلك ينبغي أن نحلّل المفاهيم الأربعة التي منها تَشكَّلَ عنوان (الإرهاب بين خائفٍ ومخيف) وهي:

**الإرهاب:**

الإرهاب: فعل قوّة يقع أثره على الذين يعرفون خطورة العُدّة التي إن تقرّر وتمَّ استخدامها بمهارة يكون الضّرر عظيمًا، ممّا يستدعيهم إلى تقدير الموقف وتجنب دخول المعركة، والقبول بالحوار والتفاوض على كلِّ ما من شأنه أنْ يؤدّي إلى اشتعال نار الحرب، ولهذا فالإرهاب هو الحلّ الممكّن من القضاء على الخوف، وبدونه ستكون النتائج بين الأنا والآخر دائمًا بين غالب ومغلوب وخائفٍ ومخيف.

ولذا؛ فالإرهاب لا يكون إلّا لاتقاء الشّرور، ويكون من عظمة العَدّة، وكذلك فهو يكون من عظمة الطَّاعة (هُدى ورحمة) مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[14].

يُفهم من هذه الآية الكريمة أنّ الغضب يُخرِج الإنسان عن اتزانه النَّفسي؛ ولذا فاتخاذ القرارات عن غضب لا يؤدّي إلى بلوغ نتائج صائبة، ممّا يستوجب الرّضا والطمأنينة المعيدة للإنسان توازنه النَّفسي، كما فعل موسى عليه الصَّلاة والسَّلام عندما أخذ الألواح بعد طمأنينة واتزان، فكانت الرَّهبة في قلبه وقلوب الذين آمنوا معه هدى ورحمة من الله ربّ العالمين.

وعليه: لو كان مفهوم الإرهاب كما هو مُسوّقُ له في هذا العصر، لما ارتبط بالهدى والرَّحمة من الله تعالى.

---

[14] الأعراف 154.

إذن: الإرهاب لا يكون تحقّقه بأثر الخوف، ولكن بأثر امتلاك القوّة وإعدادها المتوازن بين الأنا والآخر؛ ولذلك عرّفنا الإرهاب بأنَّه (شعور تحذيري يقع في نفس كلّ من الأنا والآخر بتعادل الأثر المتطلّب الانتباه وأخذ الحيطة من كلا الطَّرفين حتى يتداعيا إلى الالتقاء المؤدّي إلى التفاهم والتفهّم، ممّا يجعل الأنا والآخر على غير خوف، ولكن إن لم يتمّ التفاهم والتفهّم بمعطيات الإرهاب المسالمة قد يقع العدوان المخيف ظلمًا؛ فيفرض ردًا قد يكون قاسيًا في دائرة الممكن غير المتوقَّع).

**بين:**

البين كلمة ظرفيَّة علائقيَّة إذا تمّ حذفها حلّت كلمة الإرهاب محلّها؛ فتصبح القضيَّة (ممتلك قوَّة سابق . إرهاب . مُعدّ العُدّة لاحق) أي: بعد أن كانت العلاقة بين خائف (ضعيف) ومخيف (قوي) أصبحت العلاقة بين أقوياء.

وكلمة (بين) العلائقيَّة هي التي تجعل الإرهاب مشتركُ الأثر بين (الأنا والآخر)؛ فكما أنَّ الآخر مرتهبُ من العُدّة التي أعدّها الأنا؛ فكذلك الأنا أصبح مرتهبًا من العُدّة التي تَمكّن الآخر من إعدادها والاستعداد بها والتأهُّب عليها للمواجهة؛ ولذا عندما يكون كلّ من الأنا والآخر مرتهبين من العُدّة المعدّة تكون النتيجة الجنوح إلى السَّلام، ولهذا إن جنح الخصم للسّلم؛ فالسّلم خير، ينبغي الجنوح إليه، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله}[15].

[15] الأنفال 61.

**خائف:**

الخائف هو من يعرف أنَّ كفّة النّزاع والصّدام مع الغير الظَّالم غير متكافئة ولا متماثلة ولا متطابقة، وفي مقابل ذلك قد يقبل بتقديم التنازلات إلى حدٍّ معينٍ، ولكنّه لا يستطيع أن يقدّمها إلى النهايّة؛ وذلك لأنَّه خائف على أسرته إن كانت له أسرة، أو خائف على شرفه وعِرضه، أو خائف أن يُقتل بدون ثمن، ولهذا فهو لم يكن خائفًا من أجل الخوف، بل هو خائف لأنّه لم يمتلك القوَّة بعد، ولهذا تقديم التنازلات هي علامة لكسب الوقت الذي به يتمّ امتلاك القوَّة التي بها يُدمغ الباطل ويُزهق، وإلى ذلك الحين سيظل الخوف سائدًا في السُّلوك الظّاهر، والكره سائدًا في العقل الباطن، ولا حلّ لمشكلة الخوف إلّا إعداد العُدّة المرهبة التي تعيد الاتزان النَّفسي والتوازن المادّي (عُدّة في مواجهة عُدّة).

**المخيف:**

المخيف هو الذي يعتقد أنّ الخائف قادر على تقديم التنازلات إليه بلا نهاية، ولهذا قد يستمر في الضغوط عليه من أجل نيل المزيد من التنازلات كما يعتقد، إلّا أنَّ الاستمرار في هذا الأمر الظَّالم هو الذي يقوّي العلاقة بين الخوف والخائف حتى يصبحان صديقان يألف بعضهما بعضًا، أي: يصبح (الخوف مصادقًا للخائف) وعندما يصبح الخوف صديقًا للخائف بعدها لن يُعَد الخوف مخيفًا لمن كان خائفًا، ولهذا يتمّ التحفّز إلى رفع الصّوت الخافت إلى صوتٍ جهورٍ خالٍ من التلعثم مع فائق الوعي والإدراك بقبول ما يترتّب عليه من أفعال، (سالبة أو موجبة) وبخاصّة إذا عرف الخائف أنَّ قبول الموت بالقوَّة هو المنقذ له من الخوف والموت معًا.

إذن: المخيف هو من لا يتّق الحقّ في الآخرين وما يتعلّق بهم من أمر، أي: هو من يعرف الحقّ ولكنّه لا يعترف به؛ فيتطاول ويعتدي على حقوق الآخرين بالقوّة وهم ضعفاء.

بناء على ما تحمله هذه المصطلحات من مفاهيم موضوعيَّة، وبناء على ما جرى عبر التَّاريخ وما سيجري من صدامات ونزاعات واقتتال واحتلال فإنّ الأمر سيتجدّد ويتكرّر إذا لم يمتلك الضعفاء القوّة كما يمتلكها من بلغ القوّة من قبل؛ وذلك ليقف كلّ عند حدّه.

فعلى سبيل المثال: ظهور الجماعات الإسلاميَّة المقاتلة ليس جديدًا على السَّاحة الإسلاميَّة، فقد مرَّت بمراحل سابقة كثيرة بدأت مع ظهور الخوارج، ووصلت إلى ما نراه اليوم من تعدّد في أسماء الجماعات وتنوّع في منهجها، ولكن تبقى حقيقة واحدة ترتبط بكلٍ هذه الجماعات هي: أنَّ جميع هذه الجماعات  تكوّنت بأسباب الخوف، بل هي مولودة من رحم الخوف؛ لذلك تراها قائمة على الرَّغبة في الموت والاستشهاد والفداء والتفخيخ، وهذه المظاهر القتالية لا علاقة لها بمفهوم الإرهاب كما يراه الدين الإسلامي؛ فالإرهاب هو ذلك الأثر النَّفسي المتحقّق بأسباب الإعداد والعدَّة بين الأنا والآخر، وهو  مرحلة قبل بدء فعل الاعتداء والتفخيخ أو الدِّفاع على حدٍ سواء.

إذن: من المعلوم أنَّ من يعدُّ عُدَّة أنَّما يقصد أوَّلًا وعلى سبيل التفكير المنطقي أنْ يوقف العدوان الذي يتوقّع حصوله من خصم ما، ولكن إذا لم توقف العُدَّة التي أعدَّها هذا المعدُّ العدوان عليه؛ فمن المنطقي ومن العدل أن تُستخدم في موضع الدِّفاع عن النَّفس، وهو أمرٌ تقرُّه الشرائع الإلهيّة والدساتير الإنسانيَّة على حدٍ سواء، بل أنَّ حقَّ الدِّفاع عن النَّفس هو حقٌّ مقدَّس لدى المجتمعات الإنسانيَّة.

لكنَّ من يعدُّ عُدَّة لكي يبدأ بها عدوانًا بإصرار وترصّد فهذا خارج دائرة الإرهاب، وهو في دائرة العدوان، لأنَّ الإرهاب الحقيقي هو الذي يوقف العدوان ويمنع الظُّلم بما يحقّق الطمأنينة والاستقرار.

إنَّ من يقوم بالإعداد لعدِّة داخل مجاله دون سعي منه للامتداد على حساب الآخر فعمله يُعدُّ عملًا خاليًا من العدوان، ومجردًا من الرَّغبة في إلحاق الضرر بالآخر، ولا باطل فيه، لأنَّه وعلى وفق المفهوم أعدَّ ذلك ليمنع وقوع العدوان، وهو بذلك حقّق طمأنينة منشودة، وأبعد عن نفسه ومجتمعه شبح الخوف الذي لو ساد فسيكون هناك انفلاتًا سلوكيًّا في ردّة الفعل قد يصل في بعض الأحيان إلى حدّ الكارثة وما يمكن أن يكون في دائرة الممكن غير المتوقَّع.

ولذا؛ عندما يبث المخيف مخاوفه باتجاه الآخر، ويتملّك الخوف منه؛ ففي دائرة الممكن المتوقَّع أن يكون هناك ردّة فعل على ذلك، وهذا الأمر يُفضى إلى ظهور العنف بشتى أشكاله، وبمظاهر متباينة، وهذه المظاهر تدور كلّها في فلك ردّة الفعل؛ فكلّ من يُعدُّ العدَّة بقصد وإصرار وترصّد على إخافة الآخرين لا بدَّ أن يولِّد خائفين، وإذا ولّد الخائفون فهم بالمنطق يقدمون على أفعال المواجهة من الخوف، أو مواجهة ما يخيفهم فعلًا وعملًا وسلوكًا؛ فالخوف لا بدَّ أن يولِّد ردّة فعل لأنَّه من ثوابت الفطرة الإنسانيَّة التي تدفع الإنسان إلى الإتيان بردّة فعل لها، من أجل درءِ مسبِّب الخوف ثمّ الانتقال من حالة الخوف إلى حالة الطمأنينة.

ولذلك؛ من المهم أن يفهم من يقوم بدور المخيف أنّه بهذا النمط من السُّلوك أفرز جبهة من الخائفين الذين يتربّصون بدرء الإخافة، وهذا دليل أنّه أوجد على أرضية الواقع عددًا من الأعداء الذين يتربّصون به من أجل منع مظاهر التخويف من النيل منهم، ولكن لو فكَّر المخيف في غير ذلك، ألا

تكون الطمأنينة هي البديل الأنسب والأفضل الذي يبعد عن الأذهان التفكير العدواني الظّالم؟

وإذا ما تحقّق ذلك، ألا تكون السّيادة بدون منافس للعلاقات المتوازنة المبنيّة على الاحترام بين الأنا والآخر، ويختفي الخوف ويُنزع انتزاعًا من الصدور التي ضاقت به أحقاب من الزّمن؟

إنَّ الإرهاب الناتج من إعداد العدّة بدون شكّ يجعل من كان مخيفًا واقفًا على الحدود وهو يحسب في نفسه ألف حِساب لِما يراه من عُدّة مرابطة على الطّرف المواجه له، أمّا الذي أعدَّ العدَّة ووقف عند هذا الحدّ أنَّما يقصد من إعدادها أن يمنع العدوان، ولكنَّ سيطرت الخوف على الجماعات أو المجتمعات من خلال سياسة التخويف من الأقوياء للضعفاء سيترتّب عليه ولاشكّ البحث عن حلّ، ربما يكون الحلّ منطقيًّا عادلًا، وربما يكون الحلّ اعتداءً أو فداءً أو تفخيخا أو أيِّ سلوك يعدّه البعض خارج دائرة المنطق.

وهكذا فإنَّ الإرهاب من حيث المفهوم لا يتداخل مع سلوكيَّات الاعتداء والإجرام والتفخيخ واختطاف النَّاس والإهلاك على الإطلاق، بل هو يتقاطع معها في أنَّ الإرهاب مانع للاعتداء، ويدعو إلى منع العدوان في كلِّ مكان وأيِّ زمان، بينما العدوان سلوك فاعل يهدف إلى إيقاع الأذى بالآخرين، ويدعو إلى أفعال عدوانيَّة ويحث عليها.

إنَّ الفرق بين المرهب والمخيف هو أنَّ المرهب يمتلك القوَّة ويتحكّم في مقاليد الأمر ولم يستخدمها في أيِّ مظهر عدواني سوى الردّ على العدوان، وهو الذي يمتلك القوَّة لكيلا تسود المظالم بين النَّاس.

أمّا المخيف فهو بداية ونهاية يعدّ العُدّة بهدف الاعتداء على حقوق الآخرين وأوطانهم وثرواتهم ظلمًا؛ ولذا فكلّ من يُعتدىَ عليه ظلمًا سيظل

خائفًا من الذي يشكّل خطرًا عليه، ولهذا لم يكن الخوف من العُدَّة التي تُرهب، بل الخوف من استخدامات العُدة بغير حقّ.

إذن: امتلاك القوَّة يجب تحقّقه في الأفراد والجماعات والمجتمعات، على أن يكون امتلاك القوَّة من أجل تعادل الأطراف على مركز الاتزان المعياري الذي كلّما تكرّر المقياس به كانت النتائج المتوصّل إليها هي كما هي من أجل الجميع، لا من أجل مغالبة طرف على طرفٍ، بهذا النظرة الإنسانيَّة يختفي الخوف وبخاصّة عندما يرى الأنا الآخر أنَّه لم يعدّ يشكّل خطرًا عليه؛ ولذا تنتهي مظاهر الإخافة التي تورّث الظُّلم والعدوان، إلى جانب أنَّها ستبذر في النَّفس الإنسانيَّة بذور العداء التي من الصّعب اقتلاع جذورها.

ولو تسنّى أن نسأل اليابانيين الآن وبعد حوالي أكثر من ستّين سنة من استخدام أمريكا للقنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي، وبعد التقارب الحاصل بين الحكومتين، ومنذ زمن بعيد، هل يرون أنَّ أمريكا صديقة أم عدوة، فلا شكَّ أن كثيرًا من المواطنين اليابانيين لم ولن ينسوا عدوان أمريكا عليهم، وكذلك كلّ الشّعوب التي تعرّضت للاحتلال تبقى تتذكّر تلك المذابح والمقابح والجرائم الإنسانيَّة كما هو اليوم حال اليهود في فلسطين.

إذن: سيبقى النسيان بعيدًا ما دامت ذاكرة الإنسان والتَّاريخ ناطقة بما للتخويف والإخافة والاعتداء والعدوان من أثر مؤلمٍ في النفوس.

إنَّ المخيف الذي يمتلك القوَّة في دائرة الممكن والنسبيّة ليُخيف بها الضّعفاء (أصحاب الحقوق) إنْ ظنَّ أنَّ الخائف سينسى ويصمت على ما يلمّ به ومن قبله ألمَّ بآبائه وأجداده من مآسي وآلام؛ فهو مخطئ وسيكتشف يومًا أنَّ الجروح الدّامية لا يكفّ نزيفها إلّا بالإصلاح والتعويض المرضي للذين ظُلموا.

وعليه: فإنّ مقولة: (الخوف دائمًا يجعل من الخائف مستسلمًا للمخيف) مقولة باطلة، ومن يظن غير ذلك سيجد الزّمان كفيل بإظهار الحقيقة، ولهذا لن يؤكل دَينا مادام ورائه مطالبين؛ فالخوف في دائرة الممكن غير المتوقّع هو الذي يجعل المخيف يقبل الإقدام على فعل أيّ شيء حتى ولو كان انتحارًا.

وهنا فالعلاقة بين الخائف والمخيف علاقة لا ثقة تسندها، بل الذي يسندها بوضوح هو العمل على كسب الوقت؛ فالزّمن بالنّسبة للخائف كفيل بترّويض الطّغاة، وكفيل برمي الخوف في زبالة التّاريخ، وكفيل بامتلاك القوّة لمن يسعى لامتلاكها، وكفيل بتغيير الأحوال من الغفلة إلى الفطنة والصّحوة، وكفيل باسترجاع الحقوق، وكفيل بإلحاق الانتقام من الذين يظلمون: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[16]، وقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالمونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[17].

ولأنَّ الخائف يعلم جيّدًا أنَّ الخوف مؤقّت؛ فهو لم يكن متسرّعًا ولا مستعجلًا، بل لثقته بأنَّ اليد التي امتدّت عليه ولا يستطع قطعها ليس له من بدٍّ إلّا أن يُقبّلها إلى أن يستطيع، وعندما يستطيع عُدّة وقدرة واستعدادًا سيكون الإعلان عن ذلك بالنّسبة له ضرورة، وستكون المعًادلة الجديدة مؤسَّسة على ردِّ الاعتبار ونيل الاعتراف من الآخر الذي كان غافلًا عن حقيقة من أخافه ظلمًا، وإن لم تكن الاستجابة المرضيّة ستكون المواجهة معه حتميَّة.

[16] إبراهيم 47.

[17] إبراهيم 42.

وعندما يكتشف الذي كان مخيفًا بأنَّ الخائف قد امتلك القوَّة المرهبة، سيرتهب، وحينها سيأتي مسرعًا إلى تقديم التنازلات للآخر حتى يتمَّ تعادل كفتي الميزان دون أن تُرجَّح كفّة على كفّة.

وعليه: فإنَّ الإخافة لا تولِّد خائفين، بل تولّد المتمرِّدين والغاضبين والثائرين، ولهذا عمر الظَّالمين قصير؛ فلا يخيف، بل الذي يخيف ألا يَعدَّ الخائف العُدّة المرهبة للمخيف.

إذن: مقولة الخائف والمخيف هي استثناء وليست قاعدة؛ فالقاعدة هي: (تبادل الثِّقة طمأنة)؛ ولذا تبقى القاعدة ويتغيّر الاستثناء الذي يفترض أنَّ الإخافة لا تولّد إلا خائفين مستسلمين، ولم يفترض أنَّها ستولِّد متمرِّدين متأهبين للردِّ والدِّفاع عن النَّفس، ومفكِّرين بشتى الوسائل لإيقاع أكبر الضرر بالمخيف إن لم يقبل بالوقوف عند حدّه.

والمثال الحي لإظهار العلاقة بين الخائف والمخيف هو ما يجري في هذه الأيَّام بين الغرب وبين إيران التي تسعى لإعداد العُدّة لمواجهة التخويف المتزايد تجاهها باستخدام القوَّة من قِبل الغرب تلميحا وتصريحا، وفي مقابل ذلك إيران تعلم أنَّها لو أعدَّت العُدّة القتاليّة واستعدَّت وتأهبت ورابطت فإنَّ الخوف بالنسبة لها سينتهي، ومع أنّ العدوان على إيران في دائرة الممكن المتوقَّع لن يحدث، إلا أنَّه في دائرة غير المتوقَّع ممكن الحدوث، ولهذا فالمواجهة بين الغرب وإيران ممكنة من حيث سباق الإخافة والتخويف المحتدم بين الطَّرفين اللذين أحدهما يعمل على رفع سقف الإخافة، والآخر يسعى لامتلاك القوَّة التي تردع المخيف وتوقفهُ عند حدّه.

ولذا فعلى الذين يعتقدون أنَّ التخويف هو الحلّ، عليهم أن يعرفوا لو كان التخويف حلًّا لما كانت أحداث 11 سبتمبر ضربة قاسمة في قلب الولايات المتحدة الأمريكية، وعليهم أن يعرفوا أنّ الخائف سيظل دائمًا متربِّصا

بالمخيف يُقبِّل يديه إلى أن يتمكَّن من قطعهما؛ لذلك فإنَّ أحداث سبتمبر ومهما كانت ألوان طيفها هي رد فعل خائف من مخيف.

ولهذا لم تكن نظرية الإخافة ولن تكون حلّا، بل أنّها نظريّة لاشتداد التأزُّمات، وإن لم يُنزع التخويف من عقل المخيف؛ فلن يُنزع من ذهن الخائف تقبيل اليدين من أجل أن يُقطعان.

إنَّ نظرة المخوِّف ترى أنَّه بحاجة إلى تجويد ملامح التخويف وتقويتها من خلال استعراض أكبر كم من صور الاعتداء والبطش والظُّلم، ولهذا فالولايات المتحدة الأمريكيّة لم تقم بضرب عناصر من القاعدة ردًّا على أحداث سبتمبر فحسب، بل قامت بما هو أكبر من ذلك تهديدًا ووعيدًا، كما جاء على لسان رئيسها آنذاك جورج بوش (من لم يكن معنا فهو ضدّنا)؛ فكان احتلال العراق واحتلال أفغانستان، مع وافر أساليب التخويف والإيماء بالعصا الغليظة.

وعليه: فإنَّ نظريّة التخويف تجاه الضعفاء من ميزاتها أنَّها كلّما أزداد التخويف شِدّةً حفّز الخائفين على قبول التحدّي وحفّزهم على التمرُّد والثورة حتى امتلاك القوَّة التي بها يُرهب المخيف ويقف عند حدّه، ومن ميزاتها أيضًا أنّ النتيجة التي سيتمّ التوصل إليها هي حذف كلمتي (خائفٍ ومخيفٍ) من القاموس الفكري، ومن بعدها لن يكون على أرض الواقع:

- مستسلم مترقّب لتلقّي الضربات.
- مُقدِم على تقديم المزيد من أفعال المظالم.
- متنازل عن حقوقه من أجل اتقاء المخوّف.

. متأهب للخوض في تحقيق أفعال المظالم.

وبتفحّص هذه الأنماط الأربعة لاشكَّ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع أن يكون التفكُّر والتذكّر هما اللذان يقودان العقل الإنساني إلى الأخذ بما يُخلّص من الخوف والتخويف، وإن لم يصل عقل الأنا لتقدير ذلك واعتباره سيجد نفسه بامتلاك الآخر للقوَّة مرتهبًا، وهو مضطر لتقديم التنازلات التي بها يتمّ الجلوس على طاوّلة التفاوض والتفاهم والتفّهم.

إذن: عندما يعرف المخيف أنَّ الخائف لا يخاف الموت، فبما سيخوفه؟

يقول جيمس ماتيل الذي كان رئيسًا لطاقم الموظفين بمكتب الخارجية الأمريكية للمحاسبة والشفافيَّة ببغداد: (الخوفُ هو الخيط المشترك الذي يَنْسجُ الحركاتَ السياسيَّة العَنيفةَ سويّة، هو لَيسَ الحافز الوحيد وراء العنفَ السياسيَ، ولا بالضرورة الأكثر وضوحًا، لَكنَّه عمليًّا دائمًا هناك حينما نَسْأَلُ لماذا يَكْره النَّاس، أَو لِماذا هم راغبون في القَتْل أَو الموت من أجل قضيَّة ما، الجواب دائمًا .... الخوف).

وهنا يمكن القول: إنَّ الخائف ليس بالضّرورة أن يكون خائفًا من الموت؛ فالمؤمنون يعتقدون أنّ الموت حقّ، ويعتقدون أنّ الأحياء لن يموتوا قبل أن تنتهي أيَّام أعمارهم، ولهذا فهم لا يخافون الموت باعتبار أنّهم لن يموتوا إلَّا إذا كانت أيَّامهم التي أعدّها الله لهم قد انتهت، أي: إنَّهم يؤمنون أنّ الحرب والاقتتال لا ينهي الأيَّام والأعمار إذا لم تكن عند الله منتهية: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[18]، ولهذا يخوضون الحروب إذا ما كُتبت عليهم كرهًا بوافر الاستبسال.

وكذلك كثير من العقلانيين يعدُّون الموت واقعًا لا مفرَّ منه، أمّا الخوف فأمره لم يكن مثل أمر الموت؛ فلخوف يكون من أمور أخرى منها

[18] النحل 61.

الإلغاء والتحقير والتهميش أو التسفيه أو التغييب أو احتلال البلدان والأوطان والاعتداء على أعراض الذين لم يمتلكوا القوَّة، الأمر الذي يفضي إلى التفكير بالتخلّص من مصدر التهديد بكلِّ الوسائل الممكنة في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع.

وعليه: الكلّ يسعى للتخلّص من الخوف، أي: إنّ كلّ الأطراف خائفة من الخوف، ممّا يجعلهم يسعون إلى التخلّص منه وبكلّ الوسائل والأساليب؛ فالخائف هو خائف لأنَّه يستشعر الخوف، ويريد أن يتخلّص منه؛ ولذلك يرى أنَّ العدوان على المخيف ربّما يُخرجه من حالة الخوف إلى حالة الاطمئنان؛ فالخوف شعور يعبّر عن عميق المعًاناة المسيطرة على الإنسان؛ فيشلُّ رغباته في التفكير ممّا يجعل الإنسان في دائرة التوتّر والقلق المتصلين، من أجل البحث عن حلٍّ يفضي للوصول إلى حالة الاطمئنان المنشودة، الأمر الذي يوجّه السُّلوك إلى دائرة الممكن للإقدام على الفعل المتوقَّع والفعل غير المتوقَّع.

إنَّ المخيف بدون شكّ يعرف أنَّ الخوف شعور لدى كلِّ الكائنات؛ فما بالك بالبشر، إنّه شعور قوي يُحفّز على اتخاذ قرار المهاجمة للدفاع عن النَّفس، دفاعًا شديدًا واضح المنهج ومعلوم النتائج، أو دفاعًا هائجًا هستيريًّا ينتج ضررًا ربما يتجاوز حدود المهاجم إلى غيره وما هو أبعد منه.

ولأنّ الخوف مشكلة أنتجت قاعدة (الخائف والمخيف) وجعلت بعض من الخائفين يقبل الموت ويقدم على تنفيذ أفعاله دون تردّد، ولأنَّ لكلِّ مشكلة حلّ؛ إذن: لماذا لم يلتقِ الخائف والمخيف لفكّ الفتيل؟

نقول:

الفتيل لا يمكن أن يُفكّ إلا بالتقاء أيدي المخيفين بأيد الخائفين، ولكن هذا الأمر لن يتحقّق إلّا إذا امتلك الخائف القوّة الفاعلة عُدّة وإعدادًا وتدريبًا ومهارةً وتأهّبًا، حينها يعرف المخيف أنّ زمن تخويفه قد ولّى إلى النهاية.

قال تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}[19].

يُفهم من هذه الآية الكريمة: أنَّ كفّة الصدام قد تعادلت؛ فلم يعدّ وجود لخائفٍ ومخيف، بل الوجود لطرفين هم على القوّة التي بها قد تحقّق فعل الإرهاب؛ فالمؤمنون من جهة هم الذين امتلأت صدورهم رهبة من الله تعالى، والذين لا يفقهون هم الذين امتلأت صدورهم رهبة من الذين أمنوا.

ومع أنّ الله هو أشدّ رهبة، فإنَّ الذين لا يفقهون عندما رأوا قوّة الذين أمنوا أرتهبوا؛ فاعتقدوا أنّها أشدّ رهبة من رهبة الله، ولكن الذين أمنوا يؤمنون بأنّ رهبة الأعظم جلَّ جلاله هي الأعظم، ولو أدرك الذين لا يفقهون أنّ الله هو الشديد لآمنوا أنّ الله أشدّ رهبة.

ولهذا؛ فإنَّ إعداد العدّة هو الذي يُرهب من لا يعترف ولا يقدّر الآخرين ويقفه عنّد حدّه وإنْ لم يقف عنّده سيُلقّن درسًا يعيده إلى الذّاكرة التي تُمكّنه من الاعتراف بالآخر وتقديره.

إنَّ إعداد العدّة التي يُرهب الأعداء هو واجب الطّاعة، طّاعة لأمر الله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[20].

---

[19] الحشر 13.

[20] الأنفال 60-61.

**تعاقب الخوف والألم:**

إنَّ الحياة لا نقول إنّها لا تخلو من المخاوف، وإنّما هي مليئة بها، وهذه المخاوف التي تحمل المخاطر وما يمكن أن يصيب الإنسان من الشرور تسبِّب آلامًا كثيرة، متنوّعة من حيث الحجم، ومتعدّدة من حيث الكم، ومختلفة من حيث الإدراك إمّا حسيًّا وإمّا شعوريًّا؛ فما كان منه حسيًّا يقع على الجسد، وما كان منه شعوريًّا يقع على النفس، وما كان منه ذهنيًّا يقع على العقل الذي يحمل الأفكار؛ فتتألّم الذاكرة إمّا بالنسيان، وإمّا بعدم الاستيعاب، وإمّا بقلّة الإدراك، فقد يصيب الإنسان ألم حسي، أو ألم معنوي شعوري، وقد يجتمع الألم الحسي والشعوري المعنوي في أحيانٍ كثيرة لدى الفرد الواحد ممّا يترتّب عليه ألم مضاعف ومتنوّع، ومن نعمة الله تعالى على الإنسان، أنّ الألم نفسه عندما يداهم أحدًا يحمل معه علاج التخلّص منه وإجراءات وقائية لآلام هي أعظم من الألم القائم، ويتمثّل العلاج والإجراء الوقائي بما يحمل الألم من خوف، أو بعبارة أدقّ أنّه يستنهض الخوف دفعاً للألم الأعظم، لأنّ الخوف الذي ينبّه العقل على مخاطر الألم، يكون قد وضع أولى الحواجز وأقواها في التصدّي للألم إن كان موجودًا، أو منع حصوله عندما يستشعر الخوف حضوره، وعلى هذا لا يكون الخوف واقٍ من الألم فحسب، وإنّما يحمل علاجًا للألم القائم أيضًا؛ ذلك أنّ دافع الخوف يتعاظم بوجود الألم، وهذا التعاظم يكون أكثر تأثيرًا على العقل حال وجود الألم، أكثر من حال استشعاره، ومن هنا تكون حسابات العقل منصبّة على التخلّص من الألم القائم من خلال تجارب وطرق وأساليب بما يحتفظ به من أفكار في الذاكرة لتجربة مشابهة كان قد مرّ بها أو تجارب متعدّدة، يسعى إلى التخلّص من الألم بما يوعز إلى الإرادة من اتخاذ إجراءات تناسب الحالة القائمة على مقتضى الوجوب، بينما يكون التعامل في الألم الذي ينبّه الخوف على وقوعه، بطرق وأساليب وبدائل تختلف عن التعامل مع الألم القائم؛ ذلك أنّ الألم الحاصل الذي نبّه عليه الخوف تكون

إجراءاته علاجيَّة، بينما تنبيه الخوف على ألم يمكن أن يحصل، تكون إجراءات العقل معه وقائيَّة.

وبهذا يخاطب الخوف الجانب الشعوري من هذه المشكلة في الشعور بالألم، لأنّه يدفع العقل إلى استنتاج السبل العلاجيَّة للألم القائم، والوقائيَّة للألم المتوقّع، وفي كلتا الحالتين يكتسب الإنسان عن طريق الخوف نوعًا من الاستقرار في التعامل مع الألم القائم، وطرفًا من الطمأنينة للألم المتوقّع.

إنّ الخوف الذي هو واقٍ من الألم لا بدّ أنّه سابق عليه؛ ولذا تكون هناك إجراءات احترازية يتخذها العقل بدافع الخوف بإصدار تعليمات إلى الإرادة تكون مصدّات في وجه الألم لمنع وقوعه، والخوف الذي هو مسبوق من الألم؛ فإنّ الخوف هو علاج لهذا الألم بسبب عِظَم الخوف من العلّة القائمة، ومن هنا تكون توجّهات العقل توجّهات علاجيَّة، لأنّه يستطيع أن يسيطر على الألم الواقع ضمن حيّزه بما يمتلك من معطيات داخليّة يستطيع من خلالها التأثير بشكل مباشر بنوعيّة الأوامر والإيعازات الصادرة عنه للإرادة في حسن التعامل مع الواقع الداخلي، وإن كان شطرا الألم القائم في الذات من جهة والممكن المتوقّع من جهة أخرى، وكلاهما ينبّه عليهما الخوف والمتعامل معهما العقل والمتصرّف معهما الإرادة، والشطران يسبِّبان أذى وشرًّا حاليًّا ومستقبلًا؛ فاختلف بينهما الزّمان وتوحّدت الأدوات في التعامل معهما؛ فكان اختلاف الزّمان مدعاة لاختلاف السُّبل والوسائل في مقاومتهما؛ ولذا كان أحدهما علاجي والآخر وقائي، وإن كان الخوف والعقل والإرادة هم المتعاملون معهما.

### التلازم والتناوب بين الخوف والألم:

وعلاوة على ذلك لا يمكن قياس درجة الإحساس بالألم بصورة كميّة، وفي واقع الأمر تختلف التفاعلات المشاهدة من فرد لآخر، كما أنّها قد تختلف

في الفرد نفسه بتأثير منبّه معين من يوم إلى آخر، ومن الصَّعب أيضًا التفريق بين مظاهر الألم من شخص لآخر، مع علمنا أنّ الألم قد يصهر معدن الإنسان، فتصفو به روحه، ويزكو خلقه، وتطهر به نفسه؛ كألم الأنبياء صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين؛ وذلك لارتفاع مستوى الخوف؛ ذلك أنّ الخوف كما هو واقٍ من الألم لدى الإنسان، إلاّ أنّ الألم نفسه يرفع مستوى الخوف أيضًا، وفي تناسب طردي لدى بعض الأفراد خاصَّة، وهذا النَّوع من الألم المتناسب طردًا مع الخوف لا يكون إلَّا في الجانب النفسي من مدخل روحي له علاقة مباشرة بالإيمان، كألم أيوب وخوفه صلّى الله عليه وسلّم؛ فاطّراد الخوف والألم بأيوب صلّى الله عليه وسلّم حتى ارتقى به في الدنيا كما يرتقي به في الآخرة مصداقًا لقوله تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[21].

فهذا النَّوع من الألم هو ألم ابتلاء مشوب بالخوف الملازم، وهو سبيل إلى لذّة في التقوى ونعيم التقرُّب خوفًا من الله تعالى؛ فكان ألما ملازمًا للخوف، وخوف مشوب بالألم من أجل الوصول إلى الهدف وإدراك الغاية عن طريق الخوف نفسه وإن صحبه ألم.

ونعتقد أنّ الخوف والألم على شيء من التلازم بالتناوب على النفس الإنسانيَّة؛ فهي تخاف وتتألّم، وتتألّم وتخاف؛ فيدفعها ألمها إلى الخوف من المخاطر، ومن ثمّ يدفعها خوفها إلى التخلُّص من الألم عن طريق إيجاد السُّبل الواقية لهذا الألم، وهكذا بالتناوب على الإحساس والشعور، إحساس بالألم وشعور بالخوف؛ فالخوف قرين الشعور كما أنّ الألم قرين الإحساس، والإحساس آية الحياة التي تشكّل المخاوف الشعوريَّة، ولا يمكن أن نتصوّر

---

[21] - الأنبياء 83، 84.

حياة خالية من الإحساس؛ فمن أراد أن يعيش بلا ألم ومعاناة فقد اختار لنفسه الموت على الحياة؛ وبما أنّ الحياة لا تخلو من الألم؛ فهي لا تخلو من المخاوف التي تؤدّي إلى التخلّص من الألم، والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في كبد ونصب يستنهضان مخاوفه كي يتخلّص من ألمه الحسي والمعنوي، ويتّقي بهذا الخوف ألم الآخرة والأولى قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[22].

هناك علاقة قويّة بين الإحساس بالألم والشّعور بالخوف، وخوف من الشّعور بالإحساس بالألم، فيتنامى الخوف برفع درجة الإحساس داخليًّا على مستوى الذات، وخارجيًّا على مستوى الآخرين؛ إذ أنّ الشعور بالخوف المنبّه على الإحساس بالألم ينمّي في الإنسان نعمة الإحساس بالآخرين، لأنّ ما يمكن أن يصيب إنسانًا، فضمن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع أن يصيب أيّ إنسان، وبدافع الخوف يتولّد الشّعور الإنساني المفطور على الخير لدى السواد الأعظم من النَّاس، ومن منطلق الخوف على الآخر بدافع إنساني يقدّم للآخر يد العون والمساعدة؛ فيتحقّق التكافل الاجتماعي والرّعاية الاجتماعيّة بدافع الخوف على الآخر وليس بدافع الخوف منه؛ فالغني يتألّم للفقير خوفًا من ألم الفقر، والمقتدر يتألّم للمعوزين والمحتاجين خوف من ألم العازة والحاجة، والقوي يتألّم للضعيف خوف القهر والمذلّة؛ فيكون منه النصرة والمساعدة، والعالِم المبدع والمخترع يتألّم لمأساة مجتمعه وأمّته؛ فتكون إبداعاته واختراعاته واكتشافاته العلميّة مأمنًا من ألم الفقر والمرض والجهل، وهكذا يكون الخوف محفّزًا وباعثًا قويًّا للتطلّع إلى الخير مطلقًا، والتطلّع لا يكون إلّا مستقبليًّا؛ ولذا فيكون الخوف منبّهًا على مخاطر المستقبل من أجل اتخاذ ما يجب تلافيًا لوقوع المحذور.

[22] - البلد 1- 4.

إنّ الآلام تقوّي العزيمة وتستنفر الإرادة بسبب خوف استمرار تلك الآلام، ثمّ تثبّت دعائم التصميم على التخلّص منها، فيكتسب الإنسان حصانة من آلام الحياة بسبب خوفه لما قد تحدثه الآلام من شرّ وضرر، ويستمدّ من خوفه قوّة مقاومتها بما يمنحه الخوف من صلابة يستطيع بها مواجهة صعوبات الحياة وظروفها القاسية؛ لأنّ الحوافز الخوفيّة تدفع العقل للبحث عن منافذ الخروج من الألم؛ فخوف ألم الإخفاق يبصّر صاحبه بطريق النجاح، وخوف ألم القهر والتّسلّط يدفع صاحبه إلى البحث عن طريق الحرّيّة، وخوف ألم الندم يقود إلى الحلم وعدم التسرّع في اتخاذ القرار، وخوف ألم الاعتذار، يدفع إلى التأنّي وعدم الوقوع في ما يعتذر منه، وخوف ألم الفقر يخطو بصاحبه صوب الغنى والثراء.

وخوف الألم كذلك يسهم في صنع مستقبل الشُّعوب وقيام حضاراتها؛ فكثير من الأمم عانت آلام التخلُّف والفوضى ردحًا من الزّمان، فكان الخوف دافعًا إلى تحسُّس الخُطى نحو العلم والحضارة، مثل: أوروبا التي كانت تعيش في ظلام دامس في العصور الوسطى والذي نتج عنه ألم شديد لممارسات الكنيسة والصراعات بين الكنيسة والسياسة، ثم ما لبث أن دفعها خوفها من المستقبل إلى عزل الدين عن السياسة بصرف النظر عن صحة ذلك من عدمه، ومن ثمّ قيام الثورة الصناعيَّة الكبرى التي قامت عليها الحضارة الغربيَّة التي يزهو العالم بها اليوم.

وكثير من الدّول عانت آلام الذّل والاستعمار، فكان الألم محفّزًا لاستنهاض الخوف في نفوس أبنائها ودافعًا للبحث عن المنجيات من الألم؛ ولذا فالخوف كان سببًا في سعيها لاسترداد حرّيتها ونيل استقلالها والتخلّص من الألم عن طريق الخوف.

وعندما تعاني أمّة من الأمم أو شعب من الشعوب ويلات الحروب والنزاعات والصدامات التي لا بدّ أن ينتج عنها آلامًا كثيرة، يكون خوف استمرار هذه الآلام أو تعاظمها المحرّك باتجاه البحث عن مزيلات الألم ومسبباته؛ فيكون الخوف باعثًا على السَّعي للإحلال السَّلام والوئام وفضّ النزاعات والخصومات التي يتولّد عنها الألم بوازع من الخوف؛ فإذا كان الألم مشتركًا بين طرفي النّزاع، كان خوفهما رغبة مشتركة بينهما في إيجاد بدائل الألم بدافع الخوف، أمّا إذا كان الألم لأحد طرفي النزاع دون الآخر ويدفعه ذلك إلى السَّلام مع الطرف الآخر وفق ما يمليه عليه من شروط؛ فإنّ ذلك انصياعًا إلى الاستسلام والإذعان بدافع الجبن وليس بسبب الخوف المحفّز على الأفضل.

## الإرهاب دلالة المفهوم:

الدّلالة هي علاقة ظاهرة بين الدّال والمدلول للوقوف على المفهوم من خلال دلالته، وبما أنّ الإرهاب لفظة قرآنية وكانت شواهدنا عليها من القرآن الكريم، سنعمد إلى توضيح معنى دلالة المفهوم من الألفاظ القرآنية لنصل إلى دلالة الإرهاب في إظهار الإطار اللغوي المفهومي لهذه الصيغة من خلال الدّلالة.

والدّلالة تعني: الإشارة إلى الشيء، أو الذات سواء أكان ذلك الشيء تجريدا ممّا يدل عليه الإرهاب من الشعور بالمنعة والاطمئنان، أم ماديًّا حسيًّا من الإعداد والعدَّة ومن رباط الخيل، وما هو على غرارها في العصر الحديث وفي كلّ عصر فيه تتطوّر الوسيلة والآلة عُدّة وعتادًا ومرابطةً، ويترتّب على ذلك وجود طرفين وأحيانًا أكثر من طرفين:

. طرف دال.

. طرف مدلول.

. العلاقة بينهما علاقة دلالية.

. نوع العلاقة يؤطّر المفهوم.

ونأخذ بداية أدلة من الفعل (دلّ) نفسه ثمّ ننتقل إلى الإرهاب لنعرف دلالته ونقف على مفهومه من خلال الدّلالة.

قال تعالى: {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}[23]، أي: أرشدهما إلى الأكل من تلك الشّجرة التي نهاهما الله عنها فإشارة الشيطان دال، والمفهوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجه وسلكا وفقه هو المدلول، أو محتوى الإشارة، فبالرّمز ومدلوله تمت العمليّة الإبلاغيّة بين الشيطان من جهة وهو طرف، وآدم وزوجه طرف ثانٍ، وما استقرّ في ذهنهما هو المفهوم، ومثل ذلك قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}[24].

فهاتان الآيتان تشيران بشكل واضح إلى الفعل الدلالي المرتكز على وجود طرف يحمل معلومة ذات دلالة تحمل مفهومًا، وهناك طرف آخر يتلقى المعلومة ويستوعبها ويخرج منها بمفهوم.

وليس بالضرورة أن يكون الدّال من جنس المدلول كي نحكم على المفهوم بالخطأ أو الصواب كونه ليس من جنسه، بل هي علاقة رمزيّة ودلالة عقليّة وأبرز مثال على ذلك من الواقع قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ

---

[23] – الأعراف 22.

[24] – القصص 12.

الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا}[25]. فلولا الشّمس ما عرف الظلّ، إذن: الشّمس تدلّ على وجود الظلّ مع أنّها ليس من جنسه إن لم تكن على نقيضه، ومثل ذلك ما يسوّقه أهل المنطق من مثال على علاقة النّار بالدخان؛ فإذا رأيت دخانًا من بعيد فهو دليل على وجود النّار، وهي علاقة طبيعيّة تربط الدال بمدلوله الذي يفهم منه وجود النّار، كما دلّت دابة الأرض على موت سليمان صلّى الله عليه وسلّم، قال تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ}[26].

وهنا يمكن تمثل هذه العلاقة في أيّ صيغة أخرى، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[27].

فهل يدل الإرهاب بمفهومه التجريدي على القتل والعنف والخوف أم أنّ مفهومه يدلّ على معّانٍ أخرى أغفلت قصدًا، وتمّ السّكوت عنها؟

إنّ تعيين طرفي الفعل الدلالي هو الأساس في الوقوف على المفهوم، وفعل الدّلالة (ترهبون) أحد طرفيه: هم المأمورون بالإعداد، والطرف الآخر العدو على تعدّده، فانقسم الفعل بين مرهب وراهب لا يتعدّى الرّهب لكلا الطّرفين؛ فإن أُمر طرف بالإعداد إرهابًا، لم يُمنع الطرّف الثاني من هذا الإعداد لأنّه لا يمتلك المنع على مستوى اللفظ من مفهومه، ولأنّ الطرف الثاني لم يُؤمر بالإعداد، كذلك لم يُؤمر بالمنع، ومن خلال الدلالة يظهر مفهوم مؤدّاه أنّه كما يعدّون لكم ليرهبوكم، أعدوا لهم ما استطعتم، لأنّ الإعداد من المباحات بين الخلق، وعليه: لا يمكن أن يفهم بأيّ حال من الأحوال مفهوم الإرهاب على أنّه عدوان وتعدٍّ يولّد الخوف.

---

[25] – الفرقان 45.

[26] – سبأ 14.

[27] – الأنفال 60.

وأمّا قوله تعالى: {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاس وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}[28].

فهذه الآية تبيّن بوضوح وجود إطار للفعل الدلالي المتمثّل بعناصره من الدّال والمدلول والرّسالة الدّلاليّة التي تعطي المفهوم، فإذا كان الاسترهاب هو الفعل الدلالي، فإنّ طرفيه: سحر السحرة وأعين النّاس. أمّا فعل الاسترهاب بين السّحرة وأعين النّاس، جعل الطّرفين في حالة ترقّب، فكان الطرف المسترهب ينتظر انجلاء حالة التخيّل (يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعى). وأمّا الطرف المرهب فهو ينتظر نتيجة السّحر، ممّا جعل الطّرفين على قدر من التساوي في هذا الاسترهاب ولم يخرج المفهوم عن حالة الترقّب لدى الطّرفين.

أمّا المفهوم المتداول للإرهاب اليوم؛ فليس له في اللغة العربيّة جذر متأصّل يمكن أن نطمئن في الرّكون إلى مفهومه، وإنّما هو مفهوم غربي يدلّ على الخوف من القتل والعنف والسّجن والاضطهاد.

تكوّن هذا المفهوم في اللغات اللاتينية وفق دلالات ألفاظها من إرث ثقافي جرت فيه هذه الممارسات التي تطلق عليها اللغة العربيّة ممارسات إجراميّة كما حدث إبان الثورة الفرنسيّة، وقبلها في انقلاب الجمهوريين على الحكم الملكي في بريطانيا، وهذا يعني أنّ المصطلح هو غربي بهذا المفهوم؛ إذ: "تتكون كلمة (إرهاب) في اللغة الإنجليزية بإضافة اللاحقة (ism) إلى الاسم (Terror) بمعنى: فزع ورعب وهول، كما يستعمل منها الفعل (Terrorize) بمعنى: الفزع، ويرجع استخدام مصطلح (Terrorism) في الثقافة الغربيّة تاريخيًّا للدلالة على نوع الحكم الذي لجأت إليه الثورة الفرنسيّة إبّان الجمهوريّة الجاكوبيّة ضد تحالف الملكيين والبرجوازيين المناهضين للثورة، وقد نتج عن إرهاب هذه المرحلة اعتقال ما يزيد عن 300 ألف مشتبه وإعدام

[28] – الأعراف.

حوالي 17 ألفا، بالإضافة إلى موت الآلاف في السّجون بلا محاكمة وإن كان هناك من يرجع بالمصطلح والمفهوم إلى أقدم من هذا التَّاريخ كثيرًا، حيث يفترض أنّ الإرهاب حدث ويحدث على مدار التَّاريخ الإنساني وفى جميع أنحاء العالم"[29].

فهذه الممارسات التي وصفت بالإرهاب من مفهوم غربي، لها مسميات أخرى في اللغة العربيَّة تكون دلالتها أكثر دقّة في إيصال المفهوم، فالقتل بغير حقّ جريمة، والسّجن دون ذنب هو ظلم، وترحيل النَّاس من مكانهم الآمن هو تهجير، ولكلّ فعل له دلالته التي توضّح مفهومه من خلال الدّال والمدلول والعلاقة الدلالية التي يستنتج منها المفهوم، لا أن تقحم مجموعة من الأفعال المختلفة في الألفاظ والمعّاني على لفظ لا يستوعب غير مفهومه.

ثمّ استخدم هذا المصطلح بهذا المفهوم الغربي في التَّاريخ الحديث، وأطلق في الغرب بلغات غربية على منظمات غربية وفق المفهوم القديم على جماعة (بادر ماينهوف) الألمانية، ومنظمة (الألوية الحمراء) الإيطاليّة، والجيش الأحمر الياباني، والجيش الجمهوري الأيرلندي، ومنظمة (إيتا) في إقليم الباسك الإسباني التي اعتبروها من أشهر المنظمات الإرهابيَّة في تاريخ القرن العشرين من منظور غربي.

ثمّ أطلق اسم المنظمات في مطلع الستينيات على التنظيمات الفدائية التي تقاتل من أجل تحرير أرضها المغصوبة كما هو في فلسطين، فعمدوا إلى حذف الفداء وإحلال الإرهاب محلّه، لتصبح التسمية (المنظمات الإرهابيَّة) ويضيع بذلك حقّ أصحاب الحقوق، فبدأوا بتعميم هذا المفهوم ثمّ محاولة فرضه خدمة للغاية.

---

[29] – موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ج13، ص168.

## الإرهاب نسيجُ وحدهِ

لا بدّ من إثارة بعض الجوانب الأساسية لمسألة الإرهاب (مصطلحًا وقضيَّة). وحتى يتبيّن الرُّشد من الغي، نطرح بعض التساؤلات ونترك للمتلقي أن يبذل شيئًا من الجهد للوقوف على الإجابة من خلال عودته إلى عقله وندع له إصدار الحكم، ولا ندفع إليه بإجابات مباشرة وإنّما سيظفر بحقائقها من خلال التتبُّع فنقول:

. ما هو معنى الإرهاب في اللغة؟

. ما هو مفهوم الإرهاب في الشّرع من القرآن الكريم؟

. هل المصطلح قد تطور دلاليًّا أم تمّ تغييب معناه؟

. هل التطوّر الدلالي للألفاظ يأتي من أبناء اللغة، أم من أبناء لغات أخرى؟

. هل للإرهاب معنى واحد متّفق عليه سواءً بين أبناء الأمّة، أم بين الأمّة وغيرها من الأمم؟

. هل أجمع مثقفو الأمَّة على معنى واحد للإرهاب؟

. هل مفهوم الإرهاب يختلف باختلاف الثقافات واللغات ومصادر الشريعة أم لا؟

. هل يجب تعديل مفهوم الإرهاب وفق الطروحات السّائدة أم يجب توضيحه من أجل تصحيح تلك الطروحات؟

. لماذا لم يقبل الغرب تحديد مفهوم واحد لمعنى الإرهاب؟

لا نقول إنَّ هذه الأمور تثير حفيظتنا، بل تدفعنا إلى البحث عن الحقيقة وإعلانها كما هي، حتى لا ينجرف مثقفونا مع التيارات الثقافيَّة الوافدة فيَزِنون بميزانِها ويكيلون بمكيالها بعيدين عن القسطاس المستقيم.

إنَّ معنى الإرهاب في اللغة لا يعطي مفهوم الخوف أو العنف في المعجمات، وهذا الخوف والعنف المزعومان لا يمكن أن يتطابقا مع المصطلح؛ لأنَّ الإرهاب صفة القوَّة والعدَّة، والخوف والعنف صفتان للضعف فكيف يجتمعان؟

إنَّ الإرهاب في الأصول من المعجمات وكتب التفاسير نجد معناه ما يمنح الهيبة للمرهوب منه، والرَّهبة عند الرّاهب لما علم من تلك الهيبة التي أضفتها وسائل الإرهاب من العزّة والمنعة والقوَّة المصحوبة في إظهار الإرهاب مظهرا إيجابيًّا لا غير، دون سلوك عدواني أو ظلم، ولا نلمح منه استخدامًا لوسائل القوَّة أو استعمال أدواتها، علمًا أنّ الإرهاب ليس كلّ حالاته إرهابًا ماديًّا، ففي قوله تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}[30].

لما أمر الله تعالى المؤمنين بإعداد العدّة وصولًا إلى الإرهاب المفضي إلى التمكين، عملوا به، وكان الله تعالى عالما بما عملوا، فقد وصلوا إلى المرحلة الإرهابيَّة، وهنا وصفهم بأنّهم أشدّ رهبة من الله تعالى دون معطيات الخوف أو الفزع؛ فكانت الرَّهبة مضاعفة لديهم من جانبين:

الأوَّل: الرَّهبة التي وقعت في نفوسهم من الله تعالى اعترافًا وتقديرًا وتقرُّبًا إلى الله تعالى وهي رهبة رغب في طاعة.

---

[30] - الحشر 13

الثاني: اجتماع رهبة الله تعالى في نفوسهم، ورهبة العُدّة في أيديهم ممّا استطاعوا.

ومن هنا وقع رهب مضاعف على الذين لا يفقهون من الرَّهب الذي سكن نفوس المؤمنين وممّا امتلكوه من أدوات الإرهاب ووسائله التي أعدّوها هذا من جانب، والجانب الأهمّ أنّ مركز توزيع الرَّهب في الآية يكمن في (من) بين المؤمنين وبين الذين لا يفقهون من حيث:

1 . لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله، فيكون معنى ذلك أنّكم عندما وقعت رهبة الله من نفوسكم الموقع الذي أنتم أهل له، وقع على الذين لا يفقهون الرَّهب في صدورهم منكم، فأصبحوا لكم راهبين.

2 . لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله، يكون المعنى أيضًا عندما لم يرهبوا الله تعالى، وقعت عليهم الرَّهبة من المخلوق لأنّهم لم يرهبوا الخالق، فلو رهبوا الخالق لتساوت الرَّهبتان، فلمّا لم يرهب الذين لا يفقهون من الله تعالى، كان الإرهاب من المؤمنين مصدر قلقهم وتحسبهم وصولًا إلى الخوف الذي سبّبه لهم الإرهاب، وهنا تظهر المفارقة بأنّ الإرهاب كان مصدر طمأنينة للذين آمنوا، ومصدر قلق وحذر وخوف للذين لا يفقهون، وليس الإرهاب خوفًا وإنّما قاضيًا عليه، وهنا يظهر الإرهاب دعوة حقّ يكون الأخذ به واجب كي يمتنع به الخوف.

ومن أجل ذلك فقد كان الأخذ بالإرهاب بداية يحمل خصلتين حميدتين هما:

الأوَّلى: تنفيذ لأمر من أوامر الله تعالى وهو طاعة يثاب عليها، ويتحقق بموجبه أمن الله في عدم سخطه سبحانه وتعالى.

الثانية: الطمأنينة النفسيَّة التي تمنح الثقة في القول والعمل والتعامل في التصرّف والسُّلوك، لأنَّ القوَّة الإرهابيَّة تجعل المجتمع المرهب في منأى عمّا يراد به من شرور، لأنّه امتلك ما يحقّق له الطمأنينة والأمن النَّفسي.

وهنا تبرز إيجابيَّة الأخذ بالإرهاب، وسلبيَّة عدم الأخذ به، لأنّه رفع قومًا ووضع آخرين دون إخراج فعل إلى حيّز التنفيذ أو استخدام أداة لتحقيق غرض؛ فالمؤمنون أشدّ رهبة من الله، وهذه الرَّهبة رفعهم الله بها، وأمّا الذين لا يفقهون معنى الرَّهبة من الله تعالى ولم يرهبوه؛ فقد وقع عليهم الرَّهب من الذين يرهبون وأصبحوا برهبهم مرهبين لهم.

إنَّ الذين حالوا أن يبتدعوا سلبيَّة للإرهاب لا تناسبه ولا توافق مفهومه ولا تجاري معناه، كان الأوَّلى بهم والأجدر أن يعززوا إيجابياته التي لا تفارقه؛ ذلك أنّ الألفاظ في سياق النظم تكون متنافرة إذا وصفت بنقائضها، وتكون متآلفة إذا وصفت بشبيهاتها، وتكون متجانسة إذا أضيفت لمثيلاتها؛ فكما لا يصح أن نقول: هذا حسن قبيح، كذلك لا يصح أن نقول: هذا إرهاب مخيف، ذلك أنّ هذا السياق في نظم الكلام يجمع صفتين متناقضتين لا يمكن أن تجتمعًا في ذات واحدة ضمن زمن واحد في حيّز واحد، ولم تأتِ لفظة الإرهاب أو ما اشتقّ منها في القرآن الكريم إلّا ملازمة للصِّفات الحميدة، أو موصوفة بها، أو مضافة إليها، قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}[31].

فالإرهاب لو لم يكن يحمل من الخير ما يعود على حامله، ما قرن بالرأفة والرَّحمة؛ ولذلك لا يستلزم القدح أو النقصان، لأنّ الرَّهبانية بتلك الصفات الحميدة التي عُطفت عليها أوجبت لها فعل الخير، فإن كانوا ابتدعوها

[31] - الحديد 27

لغير وجه الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) ما كان الله ليكتبها على الذين جعل في قلوبهم رأفة ورحمة، أمّا أنّهم ما رعوها حقّ رعايتها؛ فهو تضمين وجوب رعايتها لمن يأخذ بها؛ فإذا اجتمعت الرَّهبانيّة مع الرّأفة والرَّحمة؛ فكيف يجتمع الإرهاب مع الخوف والفزع في ذات، ويجتمع مع الرأفة والرَّحمة والهدى في الذات نفسها؛ فيكون إرهاب خوف وفزع ورأفة ورحمة؛ ما لكم كيف تحكمون؟

ولم تقتصر الرَّحمة على ملازمة الوصف فقط، وإنّما كانت ملازمة للوصف والموصوف، قال تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[32].

فالذين يرهبون ربهم، كان هذا الرَّهب بمنزلة التهيؤ والاستعداد لتقبّل الهدى والرَّحمة من نسخة الألواح التي أخذها موسى صلى الله عليه وسلّم، فأخبر أن الهدى والرَّحمة للذين يرهبون الله، ولقائل أن يقول: إنّ هؤلاء يرهبون ولا يصنعون الإرهاب فجاءتهم الرَّحمة نوعًا من الاطمئنان، والإرهاب الذي وقع عليهم، هو من الله تعالى، فلو كان المقصود بمفهوم الإرهاب وفق ما يدّعيه المدّعون، لكان قال: وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربّهم خائفون أو متطرّفون أو عنيفون، ولو كان مقصود المعنى هو الخوف أو التطرّف أو العنف، ما كانت كلمة (ترهبون) لتؤدّي المعنى، ولكن الله تعالى علم من هؤلاء الخشية ممّا سكن في قلوبهم من عظمة الله تعالى وحقّه عليهم فوصفهم بالوصف المناسب للصفة القائمة في قلوبهم.

ما كان الإرهاب في مفهومه تطرُّفًا أو عنفًا ولن يكون كذلك، وليس الإرهاب والخوف والفزع والوجل والتوجّس ألفاظًا مكررة لمفهوم واحد، ومن هنا ينتفي إطلاق لفظ الإرهاب على فعل لا ينطبق عليه المعنى، ولا يوضح

---

[32] - الأعراف 154.

مفهومه ودلالته، ومن أجل الوقوف على الفرق بين المعَاني والمفاهيم، أخذنا أفصح النصوص لغة وأعظمها دلالة وأيسرها مفهوما، تلك التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا يرقى إليها شكّ ولا ينتاب أحد فيها توجّس، بحيث تطمئنّ إليها القلوب والعقول من القداسة والفصاحة والدلالة والمفاهيم، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[33].

إنَّ إعداد العدّة الإرهابيَّة من البداهة أنّه أمر من القضايا العقليَّة التي تثبتها البراهين المنطقيَّة حفاظًا على الفرد والمجتمع، والنصّ من البساطة في الفهم وعدم التكلّف أنّه لا يحتمل معنى آخر غير التهيؤ والاستعداد والتأهب أخذًا بالأسباب، وليس تحريضًا على العدوان، فلا يحتمل المصطلح ما حمّلوه من الخوف والرّعب والفزع الذي ينشرونه، ولا يفهم منه القتل والسّلب والنهب والاعتداء الذي يمارسونه.

فهو دعوة إلى إعداد العدّة دائمًا، واستكمال القوَّة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوَّة التي تَرهَّبها القوى الأخرى خوفًا أو طمعًا، والنصّ يأمر بإعداد القوَّة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخصّ (رباط الخيل) لسببين:

الأوَّل: أنّ هذه الخيل هي أعظم إعداد عسكري في عصره يوصل إلى مرحلة الإرهاب.

الثاني: أنّ هذه الخيل ورباطها لا يقوم إلاّ بالإنسان الذي هو أساس الإعداد.

---

[33] – الأنفال 60.

والغاية من الإعداد والاستعداد والتهيؤ والتأهب الذي يوصل إلى الإرهاب، أن يأمن المعدّ على حريته وماله ونفسه وأرضه وعرضه، ومن هنا يمكن أن يرهب الأعداء بحيث يبلغ بهم الرَّهب إلى عدم التفكير في العدوان على المعدّ، وعلى هذا يكون الإرهاب منهجًا عمليًّا واقعيًّا للحياة، يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها أنظمة وقوى مادية وفكريَّة تسعى إلى الإضرار بالآخرين بأساليب شتى ووسائل مختلفة؛ فلا مفرّ من الأخذ بالإرهاب تحسبا للعدوان.

والمأمور بأن يأخذ بالإرهاب مكلّف أن يكون قويًّا، وأن يحشد ما يستطيع من أسباب القوَّة ليكون مرهوبًا في الأرض، وطائعًا لأمر الله تعالى في أخذه بالأسباب.

والمنهج الإرهابي في الآية الكريمة واضح المعَالم بيّن القسمات، ليس فيه عدوان أو ظلم أو غصب، ولكنّه أمر في حدود التكليف بإعداد القوَّة إلى الطاقة القصوى، بحيث لا إهمال لأيّ سبب من أسباب القوَّة يدخل في الطاقة إلاّ والأخذ به واجب والعدوان به ممتنع، وإنّما هو إلقاء الرَّهبة في قلوب الأعداء الظاهرين منهم الذين يعلمهم المعدّ، وآخرين وراءهم ممن لا يعرفهم، أو أنّهم لم يجهروا بالعداوة وإنّما أضمروها.

فهؤلاء الأعداء ترهبهم القوَّة ولو لم يمتدّ الفعل إليهم، أمّا الذي يخاف فهذا شأنه، لأنّ القوَّة الإرهابيَّة لا تمتدّ إليه ولن تخرج من الإرهاب إلى فعل القتال إلاّ بأسباب أخرى وفعل آخر غير الإرهاب، كأن تواجه الظُّلم أو العدوان.

من خلال هذه الآية والوقوف على معَانيها ومفاهيمها ودلالاتها، لا يمكن لعاقل يتكلم بلسان الضاد أن يجمع بين العنف والتطرُّف والقتل والجريمة التي ينتج عنها الخوف والفزع والهلع، ويضعها جميعًا تحت اسم الإرهاب في

مفهوم واحد ليؤدّي المعنى الذي أقحم على لفظ الإرهاب قسرًا بحيث جعل الأسماع تنفر منه لما افتُرِيَ على هذا المصطلح من افتراءات، كان الغرض منها تسمية الأشياء بغير مسمّياتها، ووصفها بغير أوصافها حتى يفلت المجرم من العقاب، وتكون الضحيّة هي المتهم.

إنّ المتتبع للأحداث السياسيَّة ومحاولة النيل من المسلمين ودينهم، يجد أن مصطلح الإرهاب لم يعدّ بسيطا في مفهومه ودلالته ومعناه الذي أشارت إليه الآية الكريمة وأمرت به وهي من لدن عزيز حكيم؛ فالله تعالى يأمر بالعدل والإحسان، ويأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومن هذا المنطلق يجب أن يُنظر إلى دلالة المصطلح ومفهومه ومعناه فيما أمر الله تعالى من الأخذ بالإرهاب وأسبابه، لا بما أقحم عليه من مفاهيم وألصق به من تهم العنف والتطرُّف والخطف والقتل وكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى إفساد في الأرض وسفك دماء فيها بغير حقّ، حتى أصبح مفهومًا مخيفًا ومعقّدًا ومركّبًا إنسانيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، وعلى هذا نجد كلّ باحث أو كاتب أو متكلم في هذا المجال، يرى ما لا يراه الآخر، ويجد فيه ما لا يجده غيره من حيث مصداقيّة الدلالة ومطابقة الكلمة للمعنى ومواكبة اللفظ للمفهوم؛ ولذا نجد مصطلح الإرهاب الآن أنّه مطابق للتطرُّف، ومتماثل مع العنف، ومرادف للخوف، ودالّ على القتل، ويعني الإجرام ويشار إليه بالانتحار، فأيّ لفظة هذه التي أصبحت جامعة لكلّ هذه المعَاني من الأفعال العدوانية، وأيّة لغة هذه التي تقصر فيها الألفاظ على استيعاب المعَاني، فتحمّل لفظة واحدة لأنّها لا تمتلك من الألفاظ ما يستوعب أفكارها، ولكن أصحاب الأغراض شاؤوا أن يلبسوا هذا المصطلح المفترى عليه ما يبرّر أفعالهم بغير مسمّياتها، لأنّ وراء ذلك حاجات وغايات.

نحن لا نلوم الذين أرادوا الانحراف بمفهوم الإرهاب عن غايته وسوّقوا له هذه المعَاني من أجل تحقيق أغراض، وإنّما اللوم على أبناء لغة المصطلح الذين استخدموه وفق ما أريد له من الآخرين؛ فكانوا بذلك مخالفين من ثلاثة أوجه:

1 . مخالفة شرعيَّة:

هذه المخالفة يصل الأمر بهم إلى ارتكاب كبيرة من الكبائر؛ فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ}[34]. والقسط هو العدل الذي يحقّ الحقّ، ولما جاء الأمر من الله تعالى بإعداد العدّة إرهابًا، فهو قسط من أجل انتشار العدل بين النَّاس، والأخذ به واجب وتركته تفريط بحق الله، وأمّا محاولته تغيير مفهومه ودلالة معناه؛ فهو كما قال الله تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شيئًا أُوَّلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[35]. وهذا الذي ينطبق على من أراد تغيير مفهوم الإرهاب؛ فإن كان خوفًا وذعرًا وتقتيلًا يقبلون به، وإن كان أمنًا وطمأنينة ورأفة ورحمة يحذرون منه، لأنَّهم يريدون الفساد والفتنة، ولا يريدون الإصلاح والطمأنينة.

فمن أجل الإفساد في الأرض لجأوا إلى قلب المفاهيم الشرعيَّة والتلاعب بمصطلحاتها، فعمدوا إلى تسمية الإرهاب قتلًا، والرّبا فائدة والفداء انتحارًا؛ وذلك عن طريق محاولته التوفيق بين الحقائق الشرعيَّة والضرورات السياسيَّة من أجل قبولها على أنَّها مفاهيم جديدة لمصطلحات قديمة، ممّا يترتّب على ذلك تغيير لبعض القيم واستبدال قيم أخرى والنزول بالفضائل من

[34] – الأعراف 39.

[35] – المائدة 41.

سموّها الذي يوجب الأخذ بها إلى رذيلة لزم الابتعاد عنها؛ فهم على زعمهم يدعون بالعقل مالا يقبله العقل، والعاقل يرى أنّ في ذلك من مخالفة الشرع والاستهانة بالعقل مالا يجوز السكوت عن ردّه، وهو مصداق لقوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شيئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}[36]

2 ـ مخالفة عقليَّة:

إنَّ العقل الفردي والوعي الجمعي يدفع الإنسان إلى السعي لأن يكون آمنًا، والعقل يحكم بأنّ الأمن يقتضي وجود الموانع والزواجر والروادع، ومجموع هذه المعطيات سواء أكانت ماديّة أم فكريَّة ومعنويَّة، تشكِّل حاجزًا إرهابيًّا لدفع الشرّ، وهذا لا يتعارض مع العقل، والعقل يعلم أنّ الذي أوجده، ما أمره إلاّ بخير وما نهاه إلاّ عن شرّ، ومن هنا يجمع العقل بين الأمر النقلي الذي دعا إلى الإرهاب وسيلة وغاية، وبين التمييز العقلي نفسه الذي يعرف مصلحته ويعلم حدوده

والعقل يدرك ضرورة الفرق بين الخير والشرّ، قال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[37]. فالابتلاء لا يتحقّق إلاّ مع التكليف، والتكليف دليل معرفة وقدرة على التمييز، من هنا يدرك العقلُ الفرقً بين الإرهاب والعدوان، وهذا التمييز اكتسبه ممّا أُمِر به من الإرهاب فيصنفه على أنّه خير، ولما نُهي عن العدوان علم بالضرورة أنّه شرّ، ولا شكّ أنَّ العقل يدرك اشتراك أشياء في قضيَّة وافتراقها في قضيَّة، وبالضرورة يعلم أنّ ما اشتركت فيه، غير ما افترقت عنه، ومن هنا كان التمييز بين ما هو نافع ممّا أمر به، وبين ما

[36] – القرة 170.

[37] – الأنبياء 35.

هو ضارّ ممّا نُهي عنه، وهذه القضايا لا ينكرها عاقل؛ ولذا فإنّ محاولته تغيير مجراها والعدول بها عن حقيقتها تغييب للعقل.

حتى ولو سلّما جدلًا بدعوى ما يلصق بالإرهاب من مفاهيم على أنّها إجماع عقلي وجب الأخذ به والعمل على إثباته كمفهوم جديد، فإنّ ذلك لا يكون مسلّمة ما لم يتعارض مع النقل، فإن كان لا يتعارض مع النقل كان التعويل على النقل أوّلى، وإن تعارض مع النقل أصبح الأخذ بالنقل أوجب، وحينئذ لا يجوز معًارضة النصوص النقليّة بها ويقال قد عارض الظواهر النقليّة قواطع عقليَّة؛ فليس هنا دليل عقلي لا يقيني ولا ظني، بل غاية ما يُراد دعوى المدَّعي لقبول المفهوم الجديد.

3 . مخالفة منطقيَّة:

لما أقرّ العقل بوجوب الإرهاب والأخذ به والعمل على تحقيقه وصولًا إلى غايته، لِما وقف عليه من منافع وفوائد تحقّق الخير وتدفع الشرّ، كانت هذه القضيَّة تقريرا عقليا ومن ثمّ أصبحت مسلّمة منطقيَّة.

ولما حكم العقل بإيجابيَّة الإرهاب وسلبيَّة العدوان عن طريق النصّ النقلي والاستدلال العقلي، أصبحت هذه القضايا مسلّمات منطقيَّة تدلل على إيجابيَّة الإرهاب وسلبيَّة العدوان التي تندرج تحت مبادئ التصديقات العقليَّة، حيث أنّ كلّ كلمة يصدق لفظها على دلالة معناها من حيث مفهومها التي تشكّل قضيَّة بين اللفظ والمعنى في الدلالة والمفهوم الذي يحكم بنسبة شيء إلى شيء على سبيل الإيجاب أو السلب، كانت قضيَّة منطقيَّة، قال تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[38]. فالكتاب لا يتكلّم، وإنّما ينطق بتقرير الحقائق صدقًا وكذبًا،

[38] – الجاثية 29.

وحقًا وباطلًا، وخيرًا وشرًّا، وعدلًا وظلمًا كما جرت حقائقها فمضت أفعالًا وأصبحت مسلّمات يقينية بفعل فاعلها التي أقرّها المنطق أنّها جرت في مفاهيمها.

والقاعدة المنطقيَّة المستندة إلى الأسس العقليَّة، تقرِّر أنّ الحكم على الشيء نابع من تصوُّره، وتصوُّره يجلّي حقيقة معناه، والوقوف على معناه يحكم على دلالة مفهومه، فلا بدّ من تصوّر حقيقة الإرهاب من مصادره ومسببًاته ونتائجه تصوراً صحيحا، ولا بدّ من تصور الخوف أو العدوان أو أيّ مفردة ألصقت بالإرهاب من مصادرها وأسبابها، ثمّ النظر في نتائجها قبل إقحامها في مفهوم لا تحتمله، كي لا يخالف المنطق الذي أقرّه العقل؛ فإن لم تعتمد هذه الضوابط؛ فسوف يكون الباحث أو المسوّق للفكرة أمام إشكالات ثلاثة:

1. أنّ الباحث وقع في خلط وقرّر نتائج غير صحيحة.

2. أو أنّه اتهم الآخرين في عقولهم.

3. أو أنّه هو متهم في عقله.

فإذا انتفت هذه الإشكالات الثلاثة؛ فيكون الأمر متعمدا، ولن يفلح أحدٌ في تغيير المسلمات المنطقيَّة التي أقرّها العقل.

**الفرق بين الإرهاب وما ألصق به:**

مجموعة من المصطلحات والمفاهيم ذات الدلالة الخاصّة بها، مفاهيمها ألصقت بمصطلح الإرهاب وهو ليس كذلك، ومن هذه المفاهيم:

**التطرُّف:**

بعض الذين يتناولون فكرة التطرّف أو موضوعه من أجل معًالجته تشعر من خلال ما يطرحونه كأنهم جزءا من المشكلة بدلا من أن يكونوا جزءا من الحلّ، لأنهم بداية يتخذون فكرة يبلورون أفكارهم حولها، ولذلك تجدهم في مجال الدِّفاع عنها ويغيب عنهم حقيقة الموضوع، ثمّ أن الخلط القائم بين التطرّف والإرهاب هو مشكلة أخرى تواجه هؤلاء عندما يسمّون الأشياء بغير مسمياتها، ويقحمون عليها مفاهيم بعيدة كلّ البعد عن دلالة معًانيها.

ومن أجل أن يكون الإنسان جزءا من الحلّ، أو أن يقدّم حلا في مثل هذه الأفكار، لا بدّ أن يعلم بديهيات التعامل مع الموضوعات الفكريَّة التي يقوم عليها استمرار الحياة البشرية من خلال الممكنات، مع احترام أفكار الآخرين والاعتراف بها بما لا يقدح في إنسانيَّة الإنسان، وبما لا يستخفّ فيه بعقول الآخرين في إلباس مصطلحات غير مفاهيمها، وتجريد مفاهيم عن مصطلحاتها الدلالية؛ فلا يكون الإرهاب خوفًا، ولا الخوف تطرُّفًا، ولا التطرّف إرهابا، ليصبح في دائرة مغلقة يكون الخروج منها ما له إليه من سبيل، وعلى هذا يكون الانطلاق من أسس كثيرة أهمها معرفة ما يأتي:

. المفاهيم

. الدلالات

. المعًاني

. الحقائق

. الوقائع

. المثاليات

. النسبية

. الممكنات

. الواجبات

. الجائزات

ومن خلال هذه المقدمات نقف على الأسباب والعلل التي تجعل الفكر الإنساني ينحرف عن جادة صوابه التي تتمثّل في الأخذ بمفاهيم وإسقاط دلالاتها على مفاهيم مصطلحات بعيدة عنها كلّ البعد، ثمّ بعد ذلك يريد أن يعممها على الآخر بدعوى التطوّر الدلالي للألفاظ، أو بدعوى تغيّر المفاهيم لتغيّر الظروف.

نحن في هذا الجانب عندما نتناول القضايا الفكريَّة، لاسيما ما له مساس بالعقيدة نأمل على الباحثين والمثقفين أن يتوخوا الدّقة في تحديد المفهوم في دلالة مطابقة المصطلح على المعنى، ومن أجل تحقيق ذلك وجب الانسلاخ الفكري عن الذاتية والأنانية على مستوى الأفراد بقدرٍ لا يدمّر الأنا ولا يسحق الآخر، وأن يكون انسلاخا عن الباطل، وانحيازا إلى الحقّ الذي لن يكون في حاجة لمتعصبين له، بحيث يكوّن هذا الانسلاخ من المفكرين والمثقفين والباحثين معادلا موضوعيًّا في التوازن يستوعب الجميع في التعايش الفكري، بشكل لا يرفض الآخر ولا يتهمه بعقله.

إنّ الصراع القائم على المصطلحات في فرضها ورفضها، إنّما هو صراع فكري بداية قبل أن يتحوّل إلى صدام أو نزاعات، ولذا ندعو ألا يتعدّى الصراع مجاله الفكري، لأنّه طالما هو ضمن هذا المجال يمكن التصحيح والوصول إلى حلّ.

فالصّراع قائم دائم بين النجدين (الخير والشر) والذي نراه أنّ كلًّا من التطرّف والإرهاب ينتمي إلى نجد مغاير للآخر من خلال مقدمات كلٍّ منهما وأسبابه ونتائجه، ومن الأسباب والنتائج يستطيع العقل أن يميّز الإرهاب عن التطرّف بما امتلك من أدوات ووسائل توصله إلى غايات، ومن خلال ذلك يختار المفهوم المناسب لدلالة المصطلح على معناه بعد التهيؤ والاستعداد والإرادة قبل الإقدام على فعل الاختيار، ويكون الحكم الفيصل بين الإرهاب من جانب وبين التطرّف من جانب آخر يكمن في:

. المنطلقات الفكريَّة

. العوامل النفسيَّة

. الدوافع المحركة

. الأهداف المرجوة

إنَّ التطرُّف عامَّة هو انحراف الفكر البشري عن نقطة الارتكاز (الصّفر) سلبًا أم إيجابًا ممّا يؤدّي إلى الخروج عن مألوف العقل في الفكر والسُّلوك والتصرّف، أيّ: إنَّه خروج عن الإجماع الإنساني الذي تواطأت عليه البشريّة في قبول ما يجب ورفض ما لا يجب خدمة لمصلحة الإنسان حفاظا على:

. جوهر العقل.

. صفاء النَّفس.

. صون الممتلكات.

والحفاظ على هذه العوامل ضمن النسبية المتاحة يجعلنا قريبين من نقطة الارتكاز عندما نجعل هذه المحدّدات شروطا أساسيَّة تفضي بالضرورة

إلى الابتعاد عن التطرّف نسبيا وفق تحقّق الشروط عندما يجمع أفراد المجتمع نسبيًا أيضًا، على ضرورة التمسّك والالتزام بما يقبله الوعي الجمعي بعقله الجمعي، بحيث يحافظ على نقطة الارتكاز التي لا يجنح فيها سلبًا أو إيجابًا ممّا يؤدّي بالضرورة إلى عدم الاحتكاك بالتطرُّف.

هذا يؤدّي إلى وضع التطرّف في موضعه من الوجود فكرة تجريدية غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع لا تجد لها مكانا، كونها تواجه نفسًا صافيةً وعقلًا سليمًا وإن نظر آخرون للتطرّف نظرة أخرى وخرجوا برأي آخر وقالوا إنّه إرهابُ، بينما يكون الإرهاب والأخذ بأسبابه ممكنا ضمن دائرة المتوقَّع فيجب ألَّا ينكره أحد عليك.

إنَّ العقل السليم الذي ينتج الفكر السوي لا ينحصر في عدد من الأفراد الذين يريدون فرض رأيهم على المجتمع، لأنّ هذا الأمر في منتهى الحساسية، ذلك أنّه ينسحب على جميع أفراد المجتمع، وعلى هذا ليس الأمر قضيَّة رأي أو وجهة نظر فردية خاصة تخضع لنزوات عدد معين وفق مزاج شخصي في فرض مفهوم، وحتى أن فهم النصوص التي تحمل طابع القداسة، لا يمكن أن يُفرض فهمها من قبل أفراد على المجتمع، لأنَّ المجتمع له وعيه الجمعي بما اختزنه في عقله من تجاربه وما يحمل من ثقافة؛ فقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[39].

هنا يجب ألا يُفهم الإرهاب تطرُّفًا ومن ذهب إلى أنّ التطرّف إرهاب؛ فقد بنى رأيه على اجتهاد فكري، وكل نتاج فكري قائم على فهم نصّ معين يحتمل الخطأ والصواب، وإن كان ذلك النصّ مثاليا، إلاّ أنّ فهمه لا يعدو كونه فكرة أو رؤية من نتاج بشري لا يخرج عن كونه تصوّرا شخصيا منطلقا

[39] – الأنفال 60.

من تجربة أو ناشئا عنها، ولذا فهو لا يرتقي مطلقا إلى مستوى اليقين لنسلّم به، ولا يعطي التطرّف معنى الإرهاب، ومن يحمل الإرهاب على محمل التطرّف، فهذا لا ينقص من الإرهاب قيمته الإيجابيَّة، ولا يمنح التطرّف إيجابيَّة، وعليه فهو قابل لمفاهيم التفكير البشري في التداول؛ ولهذا ينتابه الصواب والخطأ، ويحتمل الأخذ منه والرد عليه، وقابل للتغيير والتبديل، ولذلك يكون متأرجحا بين القبول والرفض، ورفضه أكثر من قبوله لاختلاف المصطلحين في المفهوم والدلالة والمعنى.

إنَّ ظاهرة التطرُّف التنظيري لدى الإنسان تبدو لنا أنَّ فكرة ما تذوب في الأنا حتى تصبح جزءا من الذات التي لا تنفكّ عنها، بحيث تصبح هي الذات، وبالتالي يتولّد شعور لدى صاحب الفكرة أنّ أيّ نقد أو مخالفة لهذه الفكرة هي في الأساس موجّهة إلى الذات نفسها من أجل استقصائها، علما أنّ الإرهاب غير هذا المفهوم ولا ينطبق عليه من قريب أو بعيد، لأنَّ الإرهاب هو اعتراف بالآخر؛ فإن لم يكن تصريحا؛ فهو تلميح، وذلك أنّ:

. إعداد العدّة (لترهبوا) هو اعتراف ضمني بوجود آخر.

. الإرهاب يدفع الأنا والآخر إلى الاتزان.

. التطرّف يدفع الأنا والآخر إلى الاضطراب.

. التطرّف لا يعترف بوجود الآخر.

وعليه: فالذات صاحبة فكرة التطرّف لا تقوى على العدول عن الانحراف من أثر الفكرة التي أفقدتها قدرة التحمّل أو معًايشة المخالفين لها، وأصبحت ترى القبول والمعًايشة هو قبول في فناءِ الذات واضمحلالها، ومن هذا الشعور تتطلّع إلى إثبات الأنا من جديد؛ فتسعى إلى إلغاء الآخرين بشتى السبل المتاحة؛ فتُقصي إذا أمكن الإقصاء، وتقتل إذا استوجب القتل بناء

على الدوافع في إثبات الأنا، غير أنّ الإرهاب القائم على إعداد العدّة، هو دعوة إصلاحية تحمل التحسّب والحذر، ولكنَّها لا تنكر الآخر ولا تسعى إلى إلغائه.

ومن هنا، نجد أن الفكر المتطرّف لا يترك مسافة هي ضرورية كي تفصل بين الذات الإنسانيَّة المتمثّلة في جميع أفراد الإنسان، وبين الفكرة التي يتبناها هو، إذ ليس من المعقول أن يتبناها الجميع، بل من الطبيعي ألا يعتنق الجميع فكرة واحدة، أو يجمعون على نظريّة لم يستشاروا في وضع أسسها، ولذا يكون الإرهاب مناقضا للتطرّف في ترك المجال مفتوحا للجميع في إعداد العدّة، ويحافظ على المسافة الآمنة بينه وبين الآخر لما يحمل من اتزان في التصرّف والسُّلوك، ومن جانب آخر أنّ الإرهاب في إعداد العدّة أمر مجمع عليه ويعمل به كلّ إنسان دون أن ينكر عليه ذلك أيّ إنسان إلاّ المتطرّف.

إنَّ سنة الله في خلقه تقتضي الاختلاف في الرأي لاختلاف البشر في الرؤى، ومن البلية أن الفكر المتطرّف يثور عندما يسمع رأيا يخالف اعتقاده أو عندما يرى الآخر يعتقد رأيا مغايرا له، وقصور هذه النظرة تدفعه إلى التعامل معها على أنّها قضيَّة وجود أحدهما ممّا يدفع إلى استقصاء الآخر، فلو أخذ المتطرّف بأسباب الإرهاب وصولًا إلى المنعة مع عدم الاعتداء، لكان في غنى عن التطرّف، ولما أنكر ذلك عليه أحد، على العكس من التطرّف الذي ينكره كلّ أحد.

ومن المفارقات الواضحة بين التطرّف والإرهاب، أنّ التطرّف قائم على فناء الذات فيما تعتقد الذات من فكر يخرج عن الإجماع، وهذا الاعتقاد آفة التطرُّف التي يجب إيقاف تبلورها وتفكيك جزئياتها بشكلّ أو بآخر، بينما الذات الإرهابيَّة هي التي تسيطر على الفكرة وتسخّرها لتحقيق الغاية الإرهابيَّة.

وللوقوف على منابع الفكر التطرّفي واعتقاداته التي تظهر لنا مفارقة للإرهاب ومبتعدة عنه مفهوما ودلالة، لا بدّ من العودة إلى الجزئيات التي تمثّل التطرّف والإرهاب مادة وفكرا من حيث الوجود، فاللجوء إلى الأسبقية التّاريخية لوجود كلّ من الذات مادة والفكر اعتقادا يحدّد لنا بدايات التطرّف ومنطلقاته وأسبابه، ومنطلقات الإرهاب وأسسه، ومن هنا يكون التركيز على أنّ الذات هي الأساس أو هي صاحبة الأسبقية قبل تبنّي أيّ فكرة، وهذا يبيّن لنا منابع الفكر الإنساني وأوّلياته، بمعنى أنَّ الإنسان يُخلق ذاتا فطرية ومن ثمَّ يكتسب الأفكار ويجعلها عقيدة، وفي هذه الأفكار تتداخل كثير من الأسس التي تبنى عليها المعتقدات، ومنها:

. الدين عقيدة

. العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعيَّة

. الاقتصاد والملكيّة

. الجغرافيا والبيئة

. التّاريخ والإرث الثقافي

فهذه العوامل تكسب الذات الإنسانيَّة صفات تميّزها عن غيرها من الذوات المخلوقة؛ فهي إنسانيَّة الطبع والطابع، لأنَّها تقبل التعايش وإن كانت مختلفة في الانتماء واللون والشكل واللسان.

إذن: من الضرورة بمكان أن لا تغيّر الأفكار التي يتبناها الإنسان قابليته الإنسانيَّة على التعايش مع المجتمع وقبول الآخرين، لكي تحافظ هذه الأفكار على إنسانيَّة الذات وإن بنت فوقها رؤاها المختلفة وتصوّراتها المتعدّدة لهذا الكون ولمن فيه، ولها كلّ الحقّ في الدِّفاع عن ذلك والاستماتة من أجله بشرط أن يبقى الأساس قائما على حرمة الذات الإنسانيَّة وأحقيتها في الوجود، فإنْ

تعامل الفكر الإنساني بمكتسباته الثقافيَّة وفق الناموس العام للمجتمع يكون قد أخذ بمعطيات الإرهاب المشروعة، وإن انحرف بهذه المكتسبات العقليَّة وخالف بها الإجماع وكان ضررها أكبر من نفعها؛ فيكون قد حوّل هذه المعطيات إلى الاتجاه التطرّفي.

**الخوف:**

من المفارقات العقليَّة التي لا يقرّها منطق أن يُجمع الخوف والإرهاب في مفهوم واحد على أنّهما يؤدّيان دلالة واحدة، أو أنَّ أحدهما سببٌ للآخر، والآخر نتيجة له أو العكس على غرار ما دَرج استخدامه من قِبل كثير من المفكرين والباحثين والمثقفين ووسائل الإعلام.

ولذا؛ فنحن لا نتسرّع إصدار الأحكام على ما هو مطروح في السوق الثقافي الذي يُجنى من ورائه مكاسب في استخدام المتناقضات والمختلفات والمفترقات من الألفاظ والمعَاني على أنّها متوافقات في المفاهيم والدلالات والمعَاني، ولذا نطرح بعض التساؤلات فنقول:

ـ هل الخوف إرهابًا؟

ـ هل الإرهاب خوفًا؟

ـ هل الإرهاب اقترن بالخوف في النصوص الفصيحة؟

ـ هل الإرهاب أضيف إلى الخوف أو وصف به؟

ـ أليس للإرهاب مقترنات خاصّة تمنح الدلالة مفهومها من القصد في المعنى؟

ـ أليس للخوف مقترناته هو الآخر التي تفارق الإرهاب؟

. ألا يكون من الخوف أن يُعدّ الخائف العُدَّة التي تُرهب الآخرين حتى يتحرّر من الخوف إلى الأبد!

في الحكم على ما تقدم لا نتسرّع القول، ولا نقول حتى نأتي بالدّليل، ودليلنا في استنباط الحكم من نصوص لا يختلف على فصاحتها اثنان من أهل لغتنا، ألا وهو القرآن الكريم الذي أورد نصوصا كثيرة في مادة: (ر هـ ب) ومشتقاتها، وفي مادة: (خ و ف) ومشتقاتها، لنقف على كلّ مادة لغوية من (الرّهب والخوف) وما اقترن بها وما وصفت به وما أضيفت إليه أو ما أضيف إليها في النظم مع سياق الكلام، وهنا نستعرض بداية آيات الرّهب:

. قال تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[40].

. قال تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[41].

. قال تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[42].

. قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[43]

. قال تعالى: {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}[44].

---

[40] – البقرة 40.

[41] – النحل 51.

[42] – الأعراف 154.

[43] – الأنفال 60.

[44] – الأعراف 116.

. قال تعالى: {كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[45].

. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاس بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[46].

. قال تعالى: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}[47].

. قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[48].

. قال تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ}[49].

إنَّ هذه اللغة لها مفرداتها الدقيقة التي توصِّل مفاهيمها من خلال دلالاتها على معَاني ألفاظها إمّا بنفسها، وإمّا بقرينة موضِّحة لها نقف من خلالها على المفهوم من الدلالة المقصودة في المعنى، وجميع الآيات التي وردت لم يقترن بها إلاّ ما يدلّ على الإرهاب نفسه في الصورة التي يستشعرها المرتهب أو الذي يتّصف بالإرهاب، أي أنّ الإرهاب يحمل صفات ويمنح صفات

[45] – الأنبياء 90.

[46] – التوبة 34.

[47] – المائدة 82.

[48] – التوبة 31.

[49] – الحديد 27.

بعيدة كلّ البعد عن الخوف إمّا من خلال اللفظة نفسها، أو من خلال ما اقترنت بها من سوابق أو لواحق تؤشّر الدلالة وتؤطّر المفهوم لتوضّح المعنى المراد.

ومن الملاحظ أنّ قرائن الإرهاب في الآيات تراوحت بين الرأفة والرَّحمة والرَّغبة والهدى والوفاء والعبادة، وربّما يتجلى معنى الخشية في السياق تلميحا لا تصريحا، لأنّ الخشية أوَّلى بهذه الصفات، والخشية لا تكون خوفًا بحال من الأحوال، لأنّ الله تعالى في الموضع الذي يريد به الخوف يذكره صراحة في الموضع الذي يحتمله المعنى ويتطلّبه السياق؛ فتذهب دلالته إلى مفهومه دون لبس كقوله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[50].

ولذا؛ فالإرهاب إرهاب ليس إلاّ، هو مصطلح نسيجُ وحدهِ، وفريدُ لفظهِ، واضح المفهومِ، بيّن الدّلالة، إن كان يداخله معًانٍ أخرى؛ فإنّ الخوف أبعد ما يكون عنها، لهدوء الأوَّل واضطراب الثاني، حيث أنّ الإرهاب استشعار السكون والطمأنينة، والخوف انتياب القلق والذعر وما يترتّب عليه من الفزع والهلع وما يؤدّي إلى حُزنٍ، وما إلى هذه الصفات التي تنتاب الخائف بعد وقوع الخوف في نفسه وعلى مستقبله، حيث يتّضح ذلك من القرائن التي ترافق الخوف أو تكون نتيجة له ويكون الخوف مسببًا لها.

وأمّا الخوف فقد وردت مادة: (خ و ف) في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة جاء معناه في معجم مقاييس اللغة: "خوف الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على الذُّعْرِ والفزَع. يقال خِفْتُ الشّيءَ خوفًا وخِيفةً، والياء مبدَلةٌ

---

[50] - آل عمران 175

من واو لمكان الكسرة، ويقال خاوَفَني فلانٌ فخُفْتُه، أي: كنتُ أشدَّ خوفًا منه، فأمّا قولهم تخوَّفْتُ الشَّيءَ، أي: تنقّصتُه، فهو الصحيح الفصيح"[51].

وكذلك بقية المعَاجم فإنَّ الخوف لا يدلّ فيها بوجه من الوجوه على الإرهاب لا في مفهومه ولا في معناه، وإنّما جميع المعَاجم تذهب في مفهومه إلى الفزع والذعر والهلع وما يترتّب عليها من نتائج يكون الخوف مسببًا للأسف أو الحزن أو الندم أو الألم.

ومن المفارقات العجيبة بين الإرهاب والخوف، أنّ الإرهاب يكون صفة القوي المطمئن، بينما الخوف قد يصدر من الإنسان في أضعف حالاته وهو لا يملك حيال الخائف شيئًا في وقته الحاضر ممّا يجعله يفكّر ولو قليلًا في مستقبل أكثر أمنًا، مصداقًا لقوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[52]. فالموصي قد يحدث الخوف للآخرين وهو على فراش الموت في أضعف حالاته، أو فيما بعد موته، وهذا لا يكون من الإرهاب البتّة، ومن الملاحظ هنا أنّ الخوف كان من الابتعاد عن الحقّ ومفارقته له، بينما وجدنا الإرهاب هو اتباع الحقّ فيما أمر الله تعالى من الأخذ بالإرهاب به؛ فكيف يلتقيان؟

ربّما يقول قائل: إنَّ الخوف ارتبط بالله تعالى في مواضع كثيرة فيما عوّلنا عليه من الاستشهاد بالنصوص في القرآن الكريم؛ فهذه حجّة أوهن من أنّ يدحضها دليل، ذلك أنّ الله تعالى كما يكون من صفات أسمائه ومن صفات أفعاله جلّ جلاله إيجاد الموجودات وإعدام المعدمات من الأشياء كالرزق والرَّحمة والقوّة والقدرة والعلم والحكمة؛ فالخوف شيء من هذه الأشياء التي صدرت عن صفات الأفعال، وهو المخيف المطلق، كونه سبحانه وتعالى خالق

---

[51] – معجم مقاييس اللغة، ج2، ص230

[52] – البقرة 182.

الخوف والخائف والمخيف؛ ولذلك أجرى الخوف على جميع مخلوقاته مصداقًا لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[53].

فمن هذه الآية نتبيّن أنّ الخوف كتبه الله على خلقه، بينما لا نجد هذا في الإرهاب وإن تساويا في الطلب (الأمر):

قال تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[54].

وقال تعالى: {وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[55].

فانفرد الخوف دون الإرهاب بأنْ أجراه الله تعالى على خلقه، ولم يجرِ عليهم الإرهاب.

وكما ابتعد الخوف عن الإرهاب في مفهومه ودلالته، كذلك ابتعدت مترتّباته ونتائجه، لأنّ ما يكون نتيجة للخوف لا يمكن أنّ يكون نتيجة للإرهاب، وأوّل مفارقة بينهما أجلاها ظهورًا وأوضحها مفهومًا أنّ الإرهاب نتائجه إيجابيّة كما أوضحنا من الآيات والأدلة، بينما الخوف نتائجه بين سلبٍ وإيجاب، ولا يذهب ذاهب إلى إقحام الخشية والخشوع والتحسّب والتوجّس والحذر في مفهوم الخوف، بحيث أنّ هذه المفردات تأتي بنتائج إيجابيّة، فيكون بذلك قد خلط مفاهيم هذه المفردات بالخوف كمن جعل الخوف إرهابا.

[53] – النحل 50،49.

[54] – النحل 51.

[55] – آل عمران 175.

الخوف يسبب عِلّة لا تسببها تلك المفردات، ومنها أنّه يسبب الحزن، قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[56].

لقد علم الله سبحانه وتعالى أنّ الخوف سينتاب أمّ موسى صلّى الله عليه وسلّم ممّا كان يجري على المواليد الذكور من القتل الذي يمارسه فرعون خوفًا، ولذلك أوحى إليها إذا وقع الخوف في قلبها أن تقذفه في اليمّ.

والسؤال الآن: هل هناك أعظم من حزن أمٍّ ألقت رضيعها في اليمِّ خوفًا عليه؟

. الخوف دفعها بما أوحى الله إليها أن تقذفه في اليمّ.

.كان الخوف مسببًا لأن تتخلّص من ابنها بهذه الطريقة.

. هذا الأسلوب في التخلص من الوليد، ولّد عندها حزن أمٍّ ثكلى.

. هذا الحزن كان الخوف مسببًا له.

ومن الملاحظة الدقيقة في سياق الآية، أنّ الخوف خوفًان والحزن واحد، فالخوف الأوّل: خوف الذبح من قِبَل فرعون، وبه يقوم حزن الأمّ على ولدها، والخوف الثاني: الذي استبدلته بالخوف الأوّل عندما ألقته في اليمّ، فلم تعد تفكّر بالذبح، وإنّما تفكّر في الغرق، فتلاشى خوف الذبح والقتل وحلّ محلّه خوف الغرق والحزن نفسه قائم، وهذا يعني أنَّ تبدّل نوع الخوف ومصدره لم يؤثّر في النتيجة وهي الحزن الثابت، ودليل أنّ الحزن أخذ منها كلّ مأخذٍ في الخوف الأوّل الذي مصدره القتل، وفي الخوف الثاني الذي مصدره الغرق، هو قوله تعالى: (ولا تخافي ولا تحزني).

---

[56] – القصص 7.

ولقائل إن يقول كيف عرفتم أنّ أمّ موسى قد خافت وحزنت وأنّ الله تعالى نفى عنها ذلك؟

والجواب على هذا قائم في النفي ذاته، ذلك أن: (لا) النافية تنفي وجود الحاصل وتزيله، كما قال تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ}[57].

فنفى الفزع الواقع نتيجة الخوف (بلا) النافية، ولو لم يجرِ الخوف والحزن على أمّ موسى صلى الله عليه وسلّم لنفاه بعدم وقوعه (بلم) التي تنفي حدوث الفعل وتحوِّل معناه من المضارع إلى الماضي فكان قال (لم تخفْ ولم تحزنْ) فيكون بذلك نفى جنس وقوع الفعل مطلقا، ولو أراد المستقبل، لنفى حدوث الفعل (بلن) فكان قال (لن تخافي ولن تحزني) فيكون قد أثبت لها الخوف والحزن في الماضي، ونفاه عنها في المستقبل، ولكن عندما كان الخوف واقعا وما ترتّب عليه من الحزن حاصلا، أثبت أنّ الخوف والحزن قائمان في نفسها لسببين:

الأوّل: أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في نفسها، وهو أدعى لثقتها بما أوحى إليها.

الثّاني: بثّ في نفسها الطمأنينة مكان الخوف والحزن.

ومثل ذلك قوله تعالى: {وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}[58].

---

[57] - ص 22.

[58] - العنكبوت 33.

ولو استعرضنا جميع الآيات التي وردت فيها مادة: (خ و ف) لن نقف على قرينة واحدة من القرائن الموضحة للمفاهيم مشابهة للقرائن التي ذكرت مع الإرهاب أو مماثلة لها أو قريبة منها، إن لم تكن على النقيض تماما، فإذن أين الإرهاب من الخوف؟

وهذا يعني أنّ الإرهاب غير الخوف بمعناه ومفهومه ودلالته:

. قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا}[59].

. قال تعالى: {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}[60].

. قال تعالى: {أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[61].

. قال تعالى: {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}[62].

. قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[63].

. قال تعالى: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا}[64].

---

[59] – النساء 3.

[60] – الذاريات 37.

[61] – النور 50.

[62] – النور 37

[63] – التوبة 28.

[64] – النساء 101.

ثمّ إنّ الأمر الفارق والحدّ الفيصل بين الإرهاب والخوف الذي يجعل الإرهاب والخوف لا يلتقيان في مفهومهما على دلالة المعّاني المقصودة من كلّ واحد منهما على مستوى الذات الإنسانيَّة تحديدا، أنّ الإرهاب ينتج خوفًا ليس في نفسه وإنما في نفس الآخر، بينما الخوف لا ينتج إرهابا لا في نفسه ولا في غيره، وإنّما يترتّب عليه الحزن والفزع والجزع والهلع.

ومن هنا؛ لا يمكن للمصطلح أن يوافق من ذهب إلى أنّ كلّ تخويف للنَّاس أو إيذاء لهم بغير حقّ أو صدّ عن سبيل الله، أو اعتداء على الأموال وإشاعة الذعر بين النَّاس، أو القتل والتخريب والإفساد هو نوع من الإرهاب، ثم بعد ذلك لا يجدون لاحتلال الدول وقهر الشعوب وغصب الأرض واستعباد أهلها ونهب ثرواتها، من مصطلح غير التحرير ونشر الحرية والديمقراطية.

فإذا قارنَّا بين هذا وذاك في تحديد المفاهيم للمصطلحات، أو فرض مصطلحات وفق مفاهيم أريد بها أن تستخدم وفق المفهوم المفروض، علمنا الغاية التي يريدون أن يصلوا إليها من خلال سلوكهم مسلك الضلال الاصطلاحي.

**العنف:**

جاء في لسان العرب: "العنف الخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ به وعليه يَعنُفُ عنفًا وعنافة، وأعنفه، وعنّفه تعنيفًا، وهو عنيف، إذا لم يكن رفيقًا في أمره، واعتنف الأمر: أخذه بعنف والتعنيف: التعيير واللوم"[65].

[65] – لسان العرب ج 9، ص257.

وحقيقة العنف: أنّه الشدّة في قول، أو رأي، أو فعل، أو حال من الأحوال! وهو ما يُولِّد عنفوانات كثيرة مثل العنف العَقَدي، والعنف العلمي، والعنف الفكري في الرأي والفهم والتصوُّر، وهو نتيجة طبيعية للغلو والتطرُّف، وليس نتيجة للإرهاب أو سبب من أسبابه.

ولكي نقف على حقيقة العنف لا بدَّ من معرفة الغلو، لأنّه المسبب المباشر للعنف، ولو لم يكن الغلو موجودا لما كان للعنف من أثر في الظهور والممارسة

فالغلو تدور حروفه الأصلية ومشتقاتها على معنى واحد، يدلّ على: مجاوزة الحدّ والقدر.

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الغين واللام والحرف المعتل: أصل صحيح يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوًا إذا جاوز حده"[66].

وضابط الغلو هو: تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: {وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي}[67].

ويتّضح من هذه التعريفات أنّ الغلو في ميزان الشرع والحقّ والعدل هو مجاوزة الحدّ في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحدّ الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده الله سبحانه وتعالى لعباده من الاعتدال في الأمور، كي لا يتعدّى هذا الحال، ويخرج إلى العنف الذي يترتّب عليه مضار كثيرة للبلاد والعباد.

---

[66] – معجم مقاييس اللغة، ج4، ص387

[67] – طه 81

فإحقاق الحقّ والاعتراف به من خلال الوقوف عند العدل إنصافًا، يكون منفاة للغلو الذي يترتّب عليه العنف، وغياب الحقّ يكون مدعاة لظهور الغلو الذي يريد أن يفرض نفسه بالعنف.

فالعلاقة بين الغلو وبين العنف، علاقة جدلية قائمة على أنّ وجود أحدهما مدعاة لوجود الآخر؛ ذلك أنّ أحدهما سبب والآخر نتيجة، فإن وقفنا على الغلو ولمسناه من أيّ طرف في أيّ اتجاه، كان الاستنتاج العقلي أنّ ذلك سوف يترتّب عليه عنفًا، وإن رأينا العنف يُمارس بطريقة أو بأخرى كانت دلالة العقل على ذلك أنّ المسبب لهذا العنف هو غلوٌّ سبقه؛ فكان العنف نتيجة له، علما أنّ العلاقة بين الغلوِّ والعنف لا يداخلها إرهاب ولا يشوبها بوجه من الوجوه، ذلك أنّ الإرهاب فعل إعداد واستعداد للقوَّة المرهبة التي تحافظ على توازنها في يد المرهب المتّزن، ومن هنا لا يكون في الإرهاب غلوٌّ ولا عنف، ولا يمكن أن يوصف العنف أو الغلوّ بالإرهاب.

فمن الغلوّ العقدي الذي ولّد العنف، ادعاءات أهل الكتاب مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[68].

فادعاء أهل الكتاب وافترائهم على الله تعالى، بأنَّ المسيح عليه الصَّلاة والسَّلام (هو ابن الله، وقالوا هم ثلاثة) ـ تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا ـ إنّما هو غلوٌّ في عيسى صلى الله عليه وسلم، وهذا الغلوّ أصبح جزءً من العقيدة التي يعتقدونها، ومن جانب آخر، هناك الذين أقرّوا بوحدانية الله تعالى من بني

[68] – النساء 171.

عقيدتهم وأنكروا ذلك الغلوّ، ولذا لجأ المغالون إلى العنف في فرض ما يعتقدونه على الآخرين.

إنَّ الإرهاب الذي دعا إليه القرآن الكريم في أخذ الحيطة والحذر تحسبا من اعتداء الأعداء، كان ذلك من أجل إرهاب هؤلاء وأمثالهم من الذين يغالون فيما يعتقدون، ومن ثمّ يعمدون إلى العنف وسيلة في مواجهة من يخالفهم سواء أكان المخالف لهم من ملّتهم أم من الملل الأخرى، ليفرضوا عليه ما يعتقدونه فرضا يعتمد العنف وسيلة، ولذا نجد أنّ الذي دعا إلى الإرهاب احترازا وتحسبا، قد أنصف عيسى ابن مريم وأمّه الطاهرة من افتراءات أهل الكتاب، وأنصف العقيدة الصحيحة في حكاية صلب المسيح صلّى الله عليه وسلّم وأنصف الحقَّ نفسه، وبيّن أنّ الإرهاب نقيض للغلو والعنف، ولذا فإنَّ الإرهاب من إيجابيته أنّه يحجّم الغلوّ ويمنع العنف إن لم يقضِ عليه.

إنّ الفكر المغالي الذي يولّد العنف والذي تولّاه القرآن الكريم بالتصحيح ليدرأ المغالاة ويدحض العنف المترتّب عليه، قد عمد إلى إظهار إيجابيات الإرهاب التي تقف حدّا فاصلا وحصنا مانعا بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون، ولذا كان توضيح خلل الغلوّ المولّد للعنف في تصحيح المفاهيم وإظهار الحقائق، هي معطيات إرهابيَّة عقليَّة تحمل الحجّة على الغلوّ والعنف وليس مرادفة لها في المفهوم ولا الدلالة، وإن كانت بعيدة كلّ البعد في اللفظ والمعنى، وهنا لم يكن الإرهاب سببًا لهذه أو نتيجة لتلك، بل جاء ليتولّى تصحيح العقيدة في الله للبشرية بانتزاع الغلوّ ودحضه ودرا العنف ونفيه بالحجّة الإرهابيَّة العقليَّة والمادّيَّة، وبهذا ينقذها من كلّ انحراف واختلال وغلوّ وعنف في تفكير البشر وممارساتهم؛ فصحّح اختلالات تصوّر التوحيد في أراء أرسطو في مدينة أثينا قبل الميلاد، وأراء أفلوطين في مدينة الإسكندرية بعد الميلاد، وما بينهما وما تلاهما من شتى التصوّرات في فلسفات شتّى كانت

تخبط في تيه الغلوّ والعنف، معتمدة على بقايا تفكير العقل البشري، الذي لا بدّ للعقل أن يرشده النقل لاسيما في الغيبيات والإلهيات التي يبقى العقل قاصرا عن تصوّراتها.

ومن المعلوم أنّ العقيدة التي أنتجت العنف كانت قائمة على الغلوّ في عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوّة المسيح لله سبحانه وتعالى، ومثلها عقيدة ألوهية أمه مريم، ودخولها في التثليثات المتعدّدة الأشكال، وجميع أنواع هذا الغلوّ الذي ولّد العنف لم يكن مصاحبا للنصرانية التي جاء بها المسيح صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما دخلت عليها في فترات متفاوتة التّاريخ، مع الوثنيين الذين دخلوا في النصرانية، وهم لم يبرؤوا بعد من التصوّرات الوثنية والآلهة المتعدّدة، فأرادوا أن يسقطوا تصوراتهم الموروثة على دينهم الجديد بما تمكّن في قلوبهم من تعدّد الآلهة في دينهم السابق؛ فكان هذا الغلوّ الذي ولّد العنف، ثمّ وقع على أصحاب العقيدة الصحيحة.

ولذا؛ ظلّ الموحدون من أهل الكتاب يواجهون العنف بالقتل والاضطهاد الذي أنزله بهم الأباطرة الرومان، وكنائس التثليث، والمجامع المقدّسة الموالية للدولة الرومانية إلى ما بعد القرن السادس الميلادي؛ فلو أنّ هؤلاء الموحّدين كانوا على قدر من الإرهاب الذي يخشاه خصومهم، لما جرى عليهم العنف الذي أتى به الغلوّ.

وما أصحاب الكهف إلاّ ضحية العنف الذي كانت تمارسه الدولة الرومانية بحق الموحدين من أتباع المسيح صلى الله عليه وسلّم، فقد ورد ذكرهم في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}[69].

فبسبب الاضطهاد والعنف الذي كانت تمارسه الدولة الرومانية بحقّ من لم يعتقد التثليث الذي تبنّته الدولة عن الكنيسة وبدأت تقتل الموحدين الذين اعتُبروا خارجين عن الدين وعن الدولة؛ فقد خرج هؤلاء الفتية فرارا بدينهم خوفًا من العنف وهم يحذرون أن ينكشف أمرهم ويُعرف مخبؤهم، فيأخذهم الإمبراطور الروماني ويقتلهم رجما كما صرّح أحدهم بقوله: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}[70] بوصفهم خارجين على الدين، لأنّهم يعبدون إلها واحدا في مجتمع يقول بالتثليث وألوهية المسيح، أو يفتنونهم عن عقيدتهم بالتعذيب، فإنْ رجموهم فهو القتل وهو أشدّ أنواع العنف، وإنْ أعادوهم في ملّتهم؛ فبممارسة أنواع شتى من العذاب وهو العنف أيضًا، واتقاءً لهذا العنف؛ فهم يوصون رسولهم الذي أرسلوه لينظر أيّها أزكى طعاما ويأتيهم به، أن يكون حذرًا (وليتلطف ولا يشعرنّ بكم أحدًا).

وصفوة القول أنّ الغلوّ ينتج عنه العنف، والعنف لا علاقة له بالإرهاب، لأنّ هناك بونا شاسعا في مفهوم كلٍّ منهما، حيث أنّ العنف مدعاة لنشر الذعر والاضطراب وعدم الاستقرار، بينما يكون الإرهاب على النقيض من هذا المفهوم بحيث يؤدّي إلى الاتزان الداعي إلى التفكير والتأمل وصولًا إلى الأمن والطمأنينة.

[69] – الكهف 9- 15.

[70] – الكهف 20.

**الفزع:**

إنَّ الفزع مفاجأة الخوف في أمر غير متوقّع للمطمئن، والفزع انقباض في النَّفس وانزعاج القلب بتوقّع مكروه، يدفع إلى النِّفار ممّا يعرض للإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع الذي هو أكثر درجة من الخوف.

جاء في لسان العرب من معنى الفزع: "الفَزَعُ الفَرَقُ والذُّعْرُ من الشيء وهو في الأَصل مصدرٌ فَزِعَ منه وفَزَعَ فَزَعا وفَزْعا وفِزْعا وأَفْزَعه وفَزَّعَه أَخافَه ورَوَّعَه فهو فَزِعٌ"[71].

ومن الملاحظ في الفرق بين الخوف وبين الفزع، أنّ الخوف يتعدّى إلى مفعوله بنفسه، وأمّا الفزع فيحتاج إلى واسطة أخرى لبلوغ مفعوله والوصول إليه؛ فنقول فزعت منه؛ فتعدّيه إلى المفعول كان (بمن)، وأمّا خفته؛ فتعدّيه جاء بنفسه، وهنا يكون معنى خفته، أي: هو نفسه خوفي (فخفته)، ومعنى فزعت منه أي هو ابتداء فزعي، لأنّ من لابتداء الغاية، فكان الفزع لا يصل إلاّ بالخوف، وهذا يعني أنّ الخوف مباشر، والفزع يكون بواسطة الخوف، بمعنى أنّي فزعت من خوفي منه. ثمَّ الهلع يكون أشدّ من الجزع وكأنّ هذه الصفات من الخوف والجزع والهلع موجودة مع الإنسان في فطرته وهو مهيّأ لها، مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}[72]، ولا يكون الإنسان هلوعا حتى يجتمع له الخوف والفزع والجزع.

ولهذا فالفزع مفارق للإرهاب من حيث معنى أنَّ الإرهاب مدعاة للخشية التي تدفع إلى التأمّل والتفكّر والتدبّر، بينما الفزع يعطّل العقل ويوقفه كثيرًا عن التفكير، ثمّ إنّه يثير العاطفة التي تدفع بالغريزة إلى النجاة دون التفكير بالوسيلة أو اختيار الطريقة المثلى في النجاة، لأنّه ربّما تسلك الغريزة سلوكا

---

[71] – لسان العرب، ج 8، ص251.

[72] – المعارج، 19- 21.

يفضي إلى حالة أسوأ من حالة الفزع، وأمّا من حيث المفهوم؛ فالفزع سيرٌ على غير هدى، واضطراب في النَّفس وانشغال للقلب بما لا يعرفه ولا يدرك كنهه، بينما الإرهاب نوع من الخشية والطمأنينة تفسح المجال لاختيار الوسائل وسلوك السبل للتهيّؤ والإعداد والاستعداد والتأهُّب.

ولذا؛ لم نجد ما حُمل على الإرهاب من معًانٍ، قد حُمل على غيره من الألفاظ التي تحتمل تلك المعًاني في مفاهيمها؛ ذلك أنَّ الإرهاب يستوعب الإعمار والإصلاح والمنافسة في ما هو مشروع، ومن هذا الباب أُريد له أن يكون مفهومه غير ما يحمل من دلالة، بينما نجد الفزع الذي ألصق بالإرهاب ولم يستخدم لفظه في مفهومه الذي منحوه للإرهاب قد غُيِّب لفظه تماما على الرغم من حضوره فعلا وممارسة؛ لأنّ الذين مارسوا الفزع من قبل أرادوا أن يستمرّوا في ذلك تحقيقا لأطماعهم بطرق أخرى ووسائل فكريَّة تهدم بنيان الآخر وتقوّضه، فاستبدل مفهوم المصطلح بدلالة أخرى تجرّم من يمارسه على أنّه يفزع الآخرين بمفهوم الإرهاب، غير أنّ نظرة بسيطة إلى تاريخ الحروب الكبرى تجعلنا نقف على حقيقة من كان ينشر الفزع، بحيث أخذوا أفعال الفزع التي كانوا يمارسونها وألصقوها بمصطلح الإرهاب الذي سعوا جاهدين إلى تأصيله بمفاهيم الفزع الذي كان لهم باع طويل في نشره بين الأمم لما ظهر من نتائج الحروب الطامحة إلى تحقيق المصالح عن طريق نشر الفزع بما له من آثار خطيرة ونتائج ضخمة أوَّل ما أصابت الأمم الأوربية بفقد زهرة شبابها وخيرة أبنائها، حتى يكاد لم يعدّ بيت في أوروبا دون قتيل أو جريح، ومن ثمَّ علت الصيحات من هذا الفزع الذي تفرضه أخطار السياسة، وصراع الدول على المجتمعات الآمنة بما يهدّد الحياة، ويجعل أهلها يعيشون في فزع دائم لِمَا ترتّب على الممارسات من نتائج، وقد ازداد الفزع لدى المجتمعات في العالم من الآثار الخطيرة التي خلفتها القنابل الذرية التي ألقيت على اليابان، فكان هذا

الفزع مدعاة لأن يستجيش النفوس بالدعوة إلى تأكيد الذات وإعلائها من الفزع الذي ينتابها، ومن ثمّ الدعوة إلى تحريرها من كل قيود المجتمعات والقوانين والعقائد، ثمّ اندفاعها إلى تحقيق الرغبات في سباق مع الفزع الذي ينتابها ممّا حدث كي تضمن الحياة الهادئة المستمرة.

ولذا؛ وجدنا أنَّ الفزع الذي أحدثته الصراعات والنزاعات المسلّحة تحت مسمّيات سياسيَّة وفكريَّة وعقائدية، دفعت بعض المفكرين إلى إنكار كلّ هذه المصطلحات لفزعها منها والإتيان بمفاهيم جديدة وفلسفات لم تكن معروفة من قبل؛ فكانت الفلسفات الجديدة نتيجة فزعها من استمرار تلك الأفكار التي تقوم عليها الحروب وتتخذ منها غطاءً في تحقيق مآربها، ولا أدلّ على ذلك من الفلسفة الوجودية التي أنكرت الدين فزعا ممّا كان يجري تحت مسمّاه سواء من الكنيسة أم من السياسيين الذين كانوا يتخذون من أفكار الكنيسة والكتاب المقدس شعارا لنشر الرعب والفزع، على أنّ الوجودية التي كانت ردّة فعل على الفزع قد خرجت من سيء إلى أسوأ.

فهي تركّز على الفرد والاعتزاز بحقِّه، وهو الكيان الثابت، وتقدّم وجود الفرد على المجتمع؛ وترى أنَّ الفرد له الحرية التامة في تحديد مكانه في الحياة؛ فإذا اختار لنفسه؛ فعليه أن يتحمّل نتائجه؛ وهو صاحب الحقّ في أنّ يحكم على الأمور بأنّها خير، أو أنّها شرّ، حتى لو كان الحقُّ في نظره هو شرّ في نظر غيره، أو في نظر المجتمع.

ثمّ أنّ هذه الوجودية وغيرها من الفلسفات والأفكار التي انتفضت على الفزع، ترفض قيم الالتزام والضمير والفضيلة والخير والعدل والمسؤوليَّة، وتقف في أنانية عالية النبرة لتقول: لا تنكر وجودك حتى تصير مجرد أداة للآخرين، وهي بهذا تكون قد خرجت من الفزع إلى المذلّة مع أنّها تجنح إلى الوجدان، وتعلي شأن الحدس، ثمّ ترفض العقل والحكمة، وتسخر بهما.

ولا ريب أنَّ رفض فكرة الالتزام هي أخطر مقوّمات الوجوديّة التي نشأت مناهضة للفزع والخوف، ويكمن خطرها في معًارضاتها للفطرة الإنسانيَّة وللدين مطلقا سواء أكان الدين الحقّ أم غير ذلك من الأديان الوضعية.

وهي في مجموع القيم التي ترفضها إنَّما ترفض كلّ ما يضبط الشخصية الإنسانيَّة، ويحميها ويرتفع بها ويقيّم لها وجودها الحقّ؛ فهي بذلك تدفع الإنسان إلى أهوائه لتدمّره، وإلى مطامحه لتحطمها.

بينما الالتزام هو حقّ الجماعة على الفرد الذي يُعلي القيم والفضائل، وكذلك يحمي الذات في حقوقها وواجباتها من خلال تحمّل المسؤوليَّة الجماعيَّة والفردَّة التي تميّز بين القيم خيرها وشرّها الذي من خلاله تتمّ معرفة دلالة مفاهيم الأفكار عامة، والمصطلحات التي نحن بصددها على وجه الخصوص من الإرهاب والخوف والغلو والعنف والفزع وما إلى ذلك ممّا يمتّ للحياة بصلة؛ فإذا رفضت النَّفس الإنسانيَّة المسؤوليَّة، فماذا يكون موقعها في المجتمع، وفي الحياة عامة؟

ثمّ إنّ الفزع من الصفات البشرية التي تنتاب أيّ إنسان عندما يفاجأ بالممكن غير المتوقَّع، حتى أنّ ذلك يجري على الأنبياء صلى الله عليهم وسلّم أجمعين مصدقا لقوله تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ}[73].

وسبب فزع داوود صلى الله عليه وسلّم على ما نعتقد، وهو نبي ملك جمع بين صفات النبوّة وصفات الملوك، ومعلوم أنّ من له هذه الصفات يكون أبعد من غيره من أن ينتابه الفزع، ولما وقر ذلك في نفسه، كان دخولهم عليه

[73] - ص، 22.

دون إذن سببًا في فزعه منهم، ومن جانب آخر أراد الله تعالى أن يدلل على بشرية الأنبياء، بأنّهم ينتابهم الفزع كما ينتاب غيرهم من البشر إلاّ من يشاء الله له ألا يفزع مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ}[74].

ومن الملاحظ في الآية أنّها أكّدت على أنّ الفزع ينتاب من في السماوات ومن في الأرض إلاّ من يشاء الله له غير ذلك من الأمن والطمأنينة لحظة الفزع، فأنزل الفعل الماضي (فزع) منزلة الفعل المضارع (يفزع) لأنّه أصدق في الدلالة على حدوث الفعل، وهو دليل على أنّ الفزع تحقّق في علم الله تعالى مع أنّه لم يحن وقت ظهوره، ولو جاء بالفعل المضارع (يفزع) لكان هناك شكّ، لأنّ الفعل لم يقع بعد وقد لا يقع، فكان الفعل الماضي أصدق في الدلالة على الحدث من الفعل المضارع الذي يجب أن يكون تعبيرا عن المستقبل في مراعاة الأزمنة.

ومن الملاحظ في الآية أيضًا أنّها لم تستخدم لفظة الإرهاب، فداوود صلى الله عليه وسلّم لم يرتهب من الخصمين اللذين تسوّرا المحراب، وإنّما فزع منهم، علما أنّه كان في محرابه، والذي يكون في محرابه إنّما هو يتعبد ويتضرّع وهو في خشية، وهذا التعبّد والتضرّع والخشية يدخل المتعبد في حالة من الرّهبة لاستشعاره عظمة الله تعالى وقوّته وقدرته بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ الرّهبة التي تداخله كان مصدرها الحالة التي يعيشها لحظة التعبّد والتضرّع، ومن هنا نقول: أنّ داوود صلى الله عليه وسلّم كان في حالة من الرّهبة في اللحظة التي دخل فيها الخصمان ففزع منهم، وهنا بيت القصيد.

لقد أشرنا في ثنايا بحثنا، أنّ الإرهاب طارد للخوف وما يترتّب عليه من خلال الركون إلى معطيات الإرهاب التي توفّر الأمن والطمأنينة بما يُعدّ من

[74] – النمل 87.

عدّة وقوّة ورباط خيل، ممّا يجعل النّفس مطمئنّة إلى تلك المعطيات الكفيلة بإيجاد الإرهاب وإخراجه إلى الوجود، غير أنّ الفزع أحينا كونه مباغتا، لا نقول أنّه يطرد المعطيات الإرهابيّة، وإنّما يطرد الحالة النفسيَّة التي وفّرتها تلك المعطيات كما حصل لداوود صلى الله عليه وسلّم عندما كان في حالة رهبة بين يدي خالقه عزّ وجلّ فدخلوا عليه ففزع منهم.

ثمّ إنّ الفزع هو من مترتّبات الخوف، وإن كان الخوف هو الأصل والفزع والجزع والهلع فروع عليه، ولقائل إن يقول:

كيف تكون هذه المسميات فروعا على الخوف وهي أشدّ منه؟

فنقول:

إنّ هناك مسببًات وأسباب، ولا يقوم سبب إلاّ بقيام مسبب سابق عليه، فالله سبحانه وتعالى قيّوم السموات والأرض هو المسبب المطلق لجميع الأسباب، ثمّ تأتي المسببًات النسبية وأسبابها مترتّبة على بعضها، وفي هذا السياق أنّ مسبب الفزع لداوود صلّى الله عليه وسلّم هما الخصمان اللذان تسوّرا المحراب، ولكن قبل هذا هناك سبب ترتّب عليه سبب أحدث الفزع، فالخصمان كانا مسببًان لسبب، والسبب صار مسببًا لسبب آخر. ولكن كيف؟

نقول:

عندما فزع داوود صلّى الله عليه وسلّم قالوا: لا تخف، ولا بدّ من وقفة عند قولهم (قالوا).

فلو كانوا (هم) شخصين كما يظنّ كثير من النّاس، لكان الكلام (قالا لا تخف) ولكن عندما جاء الكلام بصيغة الجمع دلّ على جنس الخصم، هؤلاء خصم لهؤلاء، ولذلك قالوا جميعا لا تخف، إذن هما قومان وليسا

شخصين، وهذا أدلّ على فزع داوود صلّى الله عليه وسلّم من كثرتهم؛ فقولهم لا تخف، هو أنّ المسبب الأوَّل وهما الخصمان أزالا السبب الأوَّل وهو الخوف الذي أحدث الفزع، وهنا يتحوَّل الخوف من سببٍ إلى مسببٍ كونه أحدث الفزع، وعليه عندما يترتّب على السبب سبب آخر يصبح الأوَّل مسببًا ويبقى الثاني سببًا أحدثه المسبب، وعليه يكون الأمر:

. مسببًان وسببًان.

. الخصمان مسببًان لسبب الخوف.

. الخوف مسبب لسبب الفزع.

. الخصمان والخوف مسببًان.

. الخوف والفزع سببًان.

وقولهم: قالوا لا تخف، ولم يقولوا لا تفزع، إنّما أرادوا إزالة المسبب (الخوف) الذي أحدث الفزع، ولو قالوا لا تفزع لانتهى الفزع وبقي الخوف قائما، ولكن عندما أزالوا المسبب، أزالوا بزواله السّبب، وبقولهم لا تخف انتهى الفزع والخوف معًا.

**العدوان:**

قال ابن فارس في مقاييس اللغة قوله: "والعُدْوان: الظُّلم الصُّراح، والاعتداء مشتقٌّ من العُدْوَان. فأمَّا العَدْوَى فقال الخليل: هو طلبك إلى والٍ أو قاضٍ أن يُعدِيَك على مَن ظَلَمك أي يَنقِم منه باعتدائه عليك. والعَدْوَة: عَدوَة اللّصّ وعدوة المغِير. يقال عدا عليه فأخَذَ مالَه، وعدا عليه بسيفه: ضَرَبه لا يريد به عدوا على رجليه، لكن هو من الظُّلم"[75]

[75] – مقاييس اللغة، ج4، ص203.

فالعدوان هو مسبب لترويع الآمنين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأوطانهم وتدمير مصالحهم، ومقومات حياتهم والاعتداء على حرياتهم وكرامتهم الإنسانيَّة بغيا وإفسادا في الأرض بغير حقّ.

والعدوان لا يقتصر على نوع معين من البشر أو جنس أو لون أو عرق، بل الذي يصدر منه شيء ممّا تقدّم ذكره من البغي والظُّلم بحقّ الآخرين هو معتدٍ ويمارس العدوان سواءٌ أكان مسلما أم مسيحيا أم يهوديًّا أم بوذيًّا، أم غيرهم، أي: إنّ العدوان ليس له دين أو عقيدة أو ملّة غير العدوان، لأنّه لا يندرج إلاّ تحت باب البغي والظُّلم؛ فالعدوان يحمل في مضمونه ظالما والذين يمارسونه ظالمون، لذلك شرّع الله تعالى الردّ على العدوان بعدوان مثله مصداقًا لقوله تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[76].

ولن نغفل هنا عن البعض الذين يتراود إلى أذهانهم تساؤلات خبيثة، بقولهم: إن كنتم ترفضون العدوان، فكيف تعتدون على من اعتدى عليكم؟

نقول:

إنَّ العدوان على العدوان هو ردٌّ عادل بمثل ما اعتدى، فمن حقّ من اعتُدي عليه، أو وقع عليه العدوان الظَّالم، أن يبدأ بردّ العدوان، وتسميته من باب: (اعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) هو من قبيل التذكير أنّ الظَّالم هو الذي بدأ العدوان وباشره، والعدوان على العدوان بالمثل هو من باب العدل والإنصاف لدفعه وردعه، وقد نبّه الله تعالى على عدم الإفراط في العدوان الرادع للعدوان عندما ذكر التقوى منعا للبغي في الردّ، لأنّ ردّ العدوان بمثله هو عدل وإنصاف، وأمّا إذا تجاوز الردّ في الإفراط والتنكيل بمن اعتدى عليكم

---

[76] - البقرة 194

فقد خرج هذا الردّ عن حدود المثل إلى البغي، فمن اعتُدي عليه كان له حقّ الشروع بالعدوان المضاد على من اعتدى عليه في تقوى الله تعالى بما لا يخرجه إلى البغي.

ومن جانب آخر لا يكون العدوان الرادع على العدوان المعتدي مساوٍ له في الظُّلم، لأنّ الذي يباشر العدوان يكون ظالما، والذي يدفع العدوان الظَّالم بعدوان مضاد يكون قد مارس حقّه في الدِّفاع عن النَّفس، وهذا واضح جلي في أعراف النَّاس كما هو جليّ في القرآن الكريم، وذلك أن كتاب الله تعالى يفسّر بعضه بعضًا، حيث قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[77].

إنَّ العدوان سيئة من السيئات، وجزاء السيئة أمر مشروع، فلماذا سمي الجزاء بالسيئة؟

نقول:

إنَّ السيئة بداية هو ما يسوء من يقع عليه فعلها، فلمّا كان العدوان يسوء من يقع عليه، كذلك العدوان على العدوان الذي هو جزاء السيئة، سوف يسوء المعتدي، ومن هنا كان صدق الدلالة على المفهوم لكلا الحالين، لأنّه ما يسوؤني يسوؤك؛ ولذا فنحن معًا: (سويًّا) في هذا الأمر، ذلك أنّ العدوان والردّ عليه بعدوان كلاهما سيحمل ما يسوء للآخر، وذلك لما ينزل من المصائب والضرر من كلا العدوانين اللذين لم يصبحا على التثنية لو لم يقع العدوان الظَّالم أوّلا ممّا يجعل ردّ العدوان حقّ مشروع في كلّ الأعراف والدين السماوي مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}[78].

---

77 - الشورى 40.

78 آل عمران 19.

ومن جانب آخر إنّ ردّ العدوان بعدوان هو مشروع ليس في الأديان السماوية فحسب، وإنّما في القوانين الوضعية والأعراف الاجتماعيَّة أن تقابل كلّ جريمة لا نقول بمثلها وإنّما بدفعها ومنعها، فإن لم تندفع ولم تمتنع؛ فوجب القيام بمثلها ضمن باب التقوى الذي يمنع البغي والإفراط والإهدار، ذلك أنَّ الإهدار والإفراط في الانتقام عند ردع العدوان، يفتح بابا للشرّ عظيم، ولذا وجب العدوان على العدوان بمثله من أجل الزجر والردع، وأمّا الزيادة عن مقدار ذلك العدوان فهو بغي، ولمنع البغي وجب أن يكون العدوان على العدوان بمثله، مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}[79]. فمن سماحة النصوص الشرعيَّة حضّت على العدل حتى في العقاب وأمرت به إنصافًا.

وأمّا تسمية الردّ على العدوانِ عدوانٌ، فهو من باب أنّ الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}[80]، فالسيئة الأوّلى ظلم وعدوان وأمّا السيئة الثانية هي جزاء الظُّلم والعدوان، وهو من الجزاء على الفعل بمثل لفظه، كما قال تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}[81].

وهذا مفهوم قوله تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[82]؛ ولذا فالعدوان الأوَّل ظلم، والثاني جزاء، والجزاء لا يكون ظلمًا بحال من الأحوال.

ثمّ أنَّ النهي عن العدوان أمر واجب الطاعة، وممنوع به العدوان على أيّ أحد طالما لم يعتدِ عليك دون النظر إلى دينه أو معتقده أو لونه أو عرقه

[79] - النحل 126.

[80] - الشورى 40.

[81] - آل عمران 54.

[82] - البقرة 194.

استدلالا بقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[83].

إذ ليس المطلوب قتال المخالفين في الدين أو العقيدة أو الرّأي، وإنّما قتال (الذين يقاتلونكم) فحكمة القتال وسببه ليس قتال المخالفين في الدين، لأنَّ الدين بيّن الرشد من الغي ولا إكراه فيه بعد التبيين، والأمر جاء لمقاتلة الذين يقاتلونكم، والذين يبدؤون بالعدوان، وما دون ذلك وجبت مودّتهم والقسط إليهم طالما وقفوا عند حدودهم ولم يبادروا بالعدوان أو يبدؤوه.

**معطيات الإرهاب:**

بدون شكّ لا يُعدّ الإرهاب مُعطية إلّا بعد إعداد العدّة؛ فبعد إعداد العدّة الحربيّة يصبح معطية يحسب له الخصم ألف حِساب، والإرهاب بطبيعة الحال مصدره الآلة المرهبة، ولم يكن الإنسان؛ فالإنسان يخيف؛ ولهذا ينبغي أخذ الحذر منه، أمّا الآلة فلا تخيف، أي: الذي يخيف هو الذي يستطيع أن يقرّر، أمّا الذي يُرهب هو الذي في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يُلحق دمارا وتدميرا ماديا ونفسيًّا بلا رأفة.

ولذا؛ يشكلّ مصطلح الإرهاب حضورا واضحا في هذا الزّمن، بوصفه النقطة التي يلتفّ حولها الكثير من الإحالات التي لم تجد لها مكانا إلا فيه، فالتوجّه الفكري الذي قاد هذه الإحالات اكتنفته عشوائية مغرضة خلقت له حالة من الانزواء الظني بعد أن حملت معها إدراكات متباينة في الوقوف على العتبة التي يمكن من خلالها الانطلاق نحو الوصول إلى تعريف يكون هو المرجع الذي يحدّد من خلاله المعايير التي يمكن أن تكون هي الملبّية للكثير من التساؤلات المتحقّقة.

[83] – البقرة 190.

فمصطلح الإرهاب غير مفهومه، المصطلح هو ما يتمّ التعرّف عليه وفقًا لِما يسوّق له، وما يسوّق اصطلاحًا للإرهاب لا علاقة له في اللغة العربيَّة والدين الإسلامي من قريب ولا من بعيد بالمفهوم الدلالي للإرهاب؛ وهنا تكمن مشكلة تستوجب التصحيح والتصويب أو على الأقل التنبيه إليها ولفت الانتباه حتى لا يؤخذ أحد بذنب أحدٍ.

في اللغة العربيَّة والدين الإسلامي الإرهاب فعل مترتّب على إعداد العدّة المضادة للعدّة والمتماثلة معها في القوَّة، والأخذ به واجب طاعة لأمر الله الذي لا يُقر ظلمًا.

أمّا لدى أهل الغرب؛ فإنَّ الإرهاب هو فعل مخيف للآمنين، القانون يُجرمُ مرتكبيه، وهو ما يرتبط بالفعل المضاد لاستقرار الأمن واحترام حريات الآخرين.

إذن: مدى المشكلة بين اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، وبين اللغات الغربية مدى جعل الهوة متّسعة دلالة ومعنى، ولهذا فالمصطلح الذي يُقرّه أهل الغرب، لا يقبل بإقراره المسلمين، وفي اعتقادنا كلًا الطَّرفين على حقّ، من حيث أنَّ:

1 ـ لغة العرب: لا تُقر الإرهاب وفقًا للمصطلح الذي تُقرّه اللغة الغربيّة؛ ولهذا لم يأخذ العرب بمصطلح الإرهاب كما يراه أهل الغرب، وفي مقابل ذلك لم يأخذ أهل الغرب بمصطلح الإرهاب الذي تُقرّه اللغة العربيَّة؛ ولهذا وجب الالتقاء لصوغ المصطلح الحلّ.

2 ـ المسلمون: دينهم حدّد لهم ماذا يعني الإرهاب دلالة ومعنى، ولهذا فهم لا يرون الإرهاب والأفعال الإرهابيَّة هي ما يقصده ويُفسّره أهل الغرب؛ ولذا فهم لن يأخذوا بغير ما يرونه أمراً بالنسبة لهم مسلمين طائعين لأمر الله

الذي أمرهم بإعداد العدّة المرهبة للعدو، وليس المرهبة لغيره، مصداقًا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[84].

3 . أهل الغرب: هم الذين يجرّمون الأعمال الإرهابيَّة ويلاحقون أصحابها سواء أكانوا من أهل الشرق أم من أهل الغرب ولا فرق في ذلك. ولكن ما يلاحقون بأسبابه من يلاحقون في حقيقة أمره لم يعدّ ذلك المقصود بمفهوم الإرهاب في اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، بل هو تلك الأعمال والأفعال التي تجري بهدف التخريب والتدمير وسفك الدماء بغير حقّ، وهذه الأعمال والأفعال لا يُقرّها الدين الإسلامي ولا تعرّفها اللغة العربيَّة بالإرهاب، بل تُعرّفها بالأعمال المفسدة في الأرض، وهذه الأعمال حرّمها الدين الإسلامي ونهى عنها، مصداقًا لقوله تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاس جَمِيعًا}[85]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}[86].

ولأجل هذه الاختلاف وغيرها كثير لِما لا يكون الجلوس على طاولة مستديرة يديرها الحقّ بين المسلمين وأهل الغرب من أجل كلمة سواء، مصداقًا لقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شيئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بعضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ

[84] – الأنفال 60.

[85] المائدة 32.

[86] البقرة 30.

التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين}[87].

وعليه: فالإرهاب الذي يكون ضمن دائرة التوافقات الإسلاميَّة يستند على أسس تمنحه سمة الحضور الفعلية التي يكون بها تحقّق الدِّفاع والنصرة، إذ يقول تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)، هذه الآية الكريمة تطرح الاحتراس الذي يجب أن تكون عليه الأمّة الإسلاميَّة، ولذا فالإرهاب لا بدّ من تحقُّقه كي يخلق حاجزا منيعا لكلّ من تسوّل له نفسه المساس بالأمّة التي رسالتها تحقيق السَّلام، عليه يكون التشكلّ الذي حملته هذه الآية الكريمة مدعاة للوقوف عنده كي نتبيّن من خلاله أهم معطيات الإرهاب، وهي:

**القوّة:**

القوّة طاقة تمتدُّ مَقدِرةً من مكامنها إلى ما يُحقّق الفعل ظهورا لحسم قضيَّة أو إيجاد حلٍّ، وهي في مقابل مفهوم الضعف الذي أصحابه هم في حاجة لمن يُقدِّمَ لهم المساعدة من أجل النهوض ممّا هم فيه من ضعف، ولذلك فالقوَّة يمكن أن تستمد استمدادا، والضعف يمكن أن يلمَّ بصاحبه إلماما، وفي كلا الحالتين في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقَّع الأمر قابل للتبدُّل والتغيّر من حالٍ إلى حالٍ.

[87] آل عمران 64 . 68.

ولأنَّ شعوب الأرض تعدّدت؛ فكان فيها الصراع سمة من السمات التي منحها نظرة استشرافية لتحقِّق البقاء الحياتي ضمن الدائرة الإنسانيَّة، فكانت القوَّة هي الميزان الذي حدّد ويحدِّد الكثير من الحدود الإنسانيَّة، فضلا عن التصدُّر لكثير من الدرجات الترابطية التي تستفيق مرارا على بروز حالة من القوَّة الجديدة يكون لها دورا مرحليا يغيّر الكثير من المفاهيم، وبطبيعة الحال إنَّ هذا التحقّق يخلق صراعا جديدا يكسر من خلاله حواجز جديدة، فتنفتق الكثير من الآراء، ممّا يمنحها حضورا فاعلا في دائرتها المكانية، فضلا عن المكانة الزمانية التي تتركها.

إنَّ ظهور الإسلام خلق حالة من الالتفاف المنظّم حينا والمبعثر حينا آخر حوله، أُريد من خلالها تهشميه وردِّه عن الدعوة التي جاء بها، ولهذا حتى البينيّة المفترضة كانت خاوية من الإحاطة الشاملة التي تمنحها مكانة في التنظير الديني، فأعداء الإسلام في كلّ تاريخه سلكوا كلّ مسلك في سبيل النيل منه والقضاء عليه، وهنا لا بدَّ أن تكون القوَّة حاضرة لتكون اليد الطولى للدفاع عن الإسلام، والقوَّة ليست محدّدة وغير مرتبطة بشيء يمنحها شكلًا واحدا أو سمة واحدة، بل هي أمر مطلق ذلك أنَّ الحياة كما هي متغيّرة من جميع جوانبها كذلك تكون القوَّة متغيّرة، فالانفجار المعرفي الحاصل خلق حالة من الاكتشافات المتعدّدة والمتنوِّعة في أنواع القوَّة ممّا أكسبت من يمتلكها مكانة عالية، مكانة وقتية سرعان ما يمكن أن تتغيّر أو أن تتبدّد حين تظهر مخترعات جديدة على يد أناس آخرين؛ فبذلك تنتقل القوَّة وتتغيّر بحسب من يحقّق تفوقا كبيرا في هذا المجال، ولهذا عندما نقف عند التَّاريخ نجد فيه اختلافا في نسق القوَّة المتحقِّقة، ذلك أنَّ على مدى التَّاريخ من بداية الوجود إلى هذا التَّاريخ لم يكن أصحاب القوَّة مستمرين بأسباب عدم استخداماتهم للقوَّة في محلّها المناسب لها؛ فالذي كانت الشمس لا تغرب عن مملكته أصبح فيما بعد

لا يتجاوز أرضه التي وُلد فيها ممّا أكسبه مكانا للتقوقع الزماني والمكاني، وحفّته ريح الخوف بعد أن كان يحكم بمنطق القوَّة والرَّهبة والوعد والوعيد، هذا التباين في القوَّة يخلق أنساقًا مختلفة يُرى من خلالها تحقُّق المعايير المتباينة التي أفضت إلى هذا الاختلاف، والقوَّة التي أمرنا بها الله تعالى قوَّة لم تحدّد إعدادا لا بالكيف ولا بالنوع ممّا كان الإطلاق حاضرًا، وهذا يدفع بالمسلم إلى البحث عن كلّ أنواع القوَّة التي تجعله يرهب أعدائه، وتكون مكانته حاضرة دائمًا في كلّ تصرُّف يمكن أن يخلّ به أو حتى أن يقلل شيئًا من هيبته .

والإرهاب الذي يدعو إليه الإسلام يمثل حالة من الالتفاف الأسلوبي على كثير من المرتكزات التي قوّتها المادية والمعنوية حاضرة ضمن سباق النيل من الدين الإسلامي، هذه المرتكزات المتعدِّدة لم يكن تصرُّفها كفيلا بخلق حالة من التعايش السلمي بين النَّاس جميعًا، وإن كانت منتمية إلى أصول دينية تمثّلها أو حتى تدّعي أنَّها منتمية إليها، وبهذا يكون الافتراق حاصلًا إلا أنَّ ما يحفظ الوجود الإسلامي هو القوَّة التي يجب أن يعدّها ويمتلكها المسلم؛ لتكون سوره القوي الذي يسقط عنده كلّ ما من شأنه أن يؤثّر بهذا الدين العظيم وإن كان ذلك أبسط ما يمكن أن يكون.

تتباين القوَّة لدى المسلم؛ فالقوَّة الذاتية يجب أن تكون حاضرة لديه؛ فنفسه مطمئنة واثقة من عزيمتها وإصرارها من أجل الدِّفاع عن الدين، وهنا تكون الصيرورة التي يجب أن تتحقّق؛ فالمسلم يجب أن يتهيّأ نفسيا فيكون حريصا حاضرا في ذهنه عظمة المهمة الملقاة على عاتقه، ليكون تصرّفه متشكّلا مع إيمانه و ذلك أكثر مدعاة للمضي نحو تحقيق الأهداف المنشودة، وهنا تكون هذه القوَّة حاضنة لكلّ العُدّة التي يمكن أن تكون حاضرة في المعركة، فيكون استخدامها بأيدي قويّة متهيئة نفسياً، يدفعها إحساسها العالي بما اعتنقت وبما ينتظرها من مستقبلٍ أفضل.

إنَّ الإرهاب الذي يتحقّق من إعداد العُدّة يخلق حالة من الانكفاء الفكري والمكاني؛ فالفكري يكون من خلال ضمور الأفكار المستشرية التي أراد أصحابها من ورائها أن يخلقوا حالة من الانشطار لهذا الدين العظيم، فيكون تسلّلها مؤجلا بعد أن نشطت في حالة الضعف التي تمرّ بها الأمّة، أمّا الانزواء المكاني فيكون من خلال الابتعاد عن الأمّة في كلّ أماكن تواجدها والمكوث في أرض تكسبها التفافا على نفسها وإن كان وقتيًّا في بعض الأحيان إلا أنَّه يدلّل على فاعلية القوَّة التي يجب أن تكون عليها الأمّة، وهنا نرى أنَّ القوَّة في الإرهاب فهو يمنح من يمتلك عُدّته قوَّة في التصرّف في حدود واضحة المعَالم تجاه منع الاعتداء، ولكنّ إن تحقّق الاعتداء ظلمًا فلا حلّ للردع إلا باعتداء مماثل حتى يستقرّ الأمن والسَّلام مع وافر التقدير والاعتبار؛ ولهذا لا يُعدّ مروره من باب الاستيلاء في المنظور الإسلامي، ولكن من باب إزاحة الخطر الذي أراد أن يعصف بالأمّة الإسلاميَّة ويُفكّكها ويفتح أبواب الفتن التي من شأنها أن تغيّر ما تستطيع أن تغيّره من مفاهيم أو تشريعات.

بدون شكّ الحقُّ في هذا العالم لا تحميه إلا القوَّة، فالعالم وكأنّه غابَةٌ كبيرة، إن لم تُعدّ فيه العُدّة لإرهاب الذين يمتلكون القوَّة ستكون المعَادلة دائمًا بين خائفٍ ومخيف؛ ولهذا إعداد العُدّة هو الذي يرهب المفسدين في الأرض ويُحفّز على العمل ويؤدّي إلى تحقيق الأمن والسَّلام، قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}[88]، وقوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاس بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كثيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ

[88] – النساء 75.

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[89]؛ فالقوّة التي تُستمد من إعداد العُدّة هي التي تقوّي الإرادة التي تُحفّز المؤمن على التأهّب بما تمّ إعداده من عدّة، وهي المرهبة لمن لم يكن يتوقّع أنَّ الخائفين سيأتي يوما يصبحون فيه قادرين على المواجهة.

ولذا؛ فالإرهاب هو الذي يمثّل الخط الأحمر لكلِّ من يفكِّر أن يعتدي على الآخرين ظلمًا، والقوّة (الماديّة والمعنويّة) وحدها هي اللغة الحاسمة للجدل والصّراع؛ ولذلك فرض الإسلام إعداد العدّة (القوّة) الرادعة واستنفاد الاستطاعة في ذلك، من أجل إرهاب الأعداء وإيقافهم عند حدّهم، ومنْع ظلمهم، وردْع طغيانهم، ومن أجل إقامة العدل في الأرض، وجعَل القبول بالسَّلام لا يكون إلا بعد جنوح الأعداء إليه وانصياعهم إليه تحت تأثير القوّة.

ورغم أهميّة القوّة المادية وضرورة العناية بها، إلّا أنّ الأمَّة الإسلاميَّة تمتلك من مقومات القوّة والنهضة ما هو أهم من القوّة المادّية البحتة، تمتلك القوّة الإيمانية، التي كانت السبب الأوَّل في نهضتها وعزّها، وهذا كفيل اليوم بخلق حالة استدعائية تحث الخطى من أجل الوصول إلى حالة جديدة مغايرة للواقع الذي تعيشه، فلا بدّ من البحث عن أسس القوّة أيّا كانت ومحاولة الوصول إليها وتملُّكها، وهنا تكمن قوّة الإرهاب الذي يجب أن تتحقّق بإعداد العُدّة الكفيلة بحسم الصراع مهما تجدّد وتكرّر، لأنَّ العالم اليوم لا يُقدِّر أيَّ شيء إلا لغة إعداد العُدّة فهي سيدة المواقف والتي يتُخذ من خلالها كلّ القرارات التي من شأنها أن تبني ركنا للأمّة أو أنْ تهدّ أركانُ الأمّة بكاملها.

**العُدّة:**

العُدّة هي مجموع ما يُعدّ لِما يناسبه من أفعال، سواء في حالة الحرب أم في حالة السلم، ولكلٍّ عُدّته، عدّة السلم تتعدّد وتتنوّع؛ فما يلزم البناء ليس

---

[89] - الحج 40.

هو ما يلزم الطبيب، وما يلزم الحلّاق ليس هو ما يلزم المزارع، وهكذا، أمّا في حالة الحرب فالعُدّة تتنوّع وتتعدّد وتُطوّر عبر الزَّمن، فلكلِّ زمن عدّته التي تناسبه لحسم الصراع أو الحرب والقتال، ولهذا تعدّدت الأسلحة العسكرية وتنوّعت فكان حضورها في المعّارك يمنح صاحبها سمة نيل الاعتبار، وهذا يشرع إلى أنّ من يمتلكها يمتلك مقاليد أمره في حسم المعركة إذا ما أُشعلت نيرانها من قِبل المفسدين في الأرض وسافكي الدماء فيها بغير حقّ، فيكون لمعدّ العُدّة ومالك القوّة الحاسمة للصدام والصراع الحصن الحصين واليد الطولى في كلّ الوقائع التي تحصل؛ ومن الأجدر بالمسلم أن يمتلكها كي يرهب أعداءه وتمنحه ثقة بالنَّفس، فتفتح له آفاق جديدة في البحث عن زوايا جديدة يكون من خلالها الوصول إلى أعلى الدرجات في إثبات إرهاب الأعداء، ذلك أنَّ الحياة اليوم لا تكتفي بما هو موجود، بل أنَّ تفاعلها المعرفي مستمر يبحث له دائمًا عن مستجدات جديدة يحقّق من خلالها مآربه التي يرتضيها، والإرهاب المراد لا يتحقّق من تعلُّق مستمر بما هو موجود أو بما يكون ضمن دائرة الامتلاك الحاصلة، بل لا بدَّ من البحث عن أرضية جديدة يكون فيها أسباب الرَّهبة للأعداء؛ فطلب العلم بفروعه المختلفة يخلق حالة من البحث عن القوَّة التي يجب أن تكون، ولذا فالعالم اليوم به يجري تسابق في كلّ لحظة من أجل الوصول إلى أعلى درجات التطوّر في جميع المجالات كي يخلق حالة من التفوّق تكسبه منعة وحصنا في كلّ المجالات.

إنَّ التقابل الحاصل في الحياة أو بعبارة أخرى الضدية المتحقِّقة تملي على أصحابها حضورا متنوعا ليس من باب الاكتفاء، بل من باب الالتفاف على الطرف الآخر ومحاولة معرفته جيدًا في كلّ الجوانب التي تلتقي فيه نقاط قوَّته، هذه المحاولة يكون فيها إعادة إنتاج يكون من ورائه خلق كينونة ترهيبية فعّالة تفوق المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فيكون للأمّة عُدّة جديدة بيّنة من خلال

الوقوف على عُدّة الأعداء، وهذا الأمر يخلق إرهابا للأعداء لم يكن بالحسبان؛ فتكون الآصرة الترابطية لأبناء الأمّة قويّة بقوَّة العُدّة التي يمتلكونها، ولهذا يكون الخرق ضئيلا إن تحقّق، ذلك أنَّ قواعد الأعداء حين يتمّ الإغارة عند ردّ العدوان بعُدّة مغايرة لما يتوقّعونها تحصل القوَّة التي يجب أن تكون، وهنا يكون التفوّق من السُّلوك الصحيح في إتباع المناهج الضدية، فضلا عن كلّ ما يتّفق مع التوجيه الإرهابي المنبعث من عقيدة راسخة لا تريد إلا إعلاء كلّمة الله تعالى والإصلاح في الأرض.

عليه: تكون العدّة ركنا مهما في ترهيب الأعداء ومحاولة ثنيهم عن التفكير بما يسيء للأمّة أو أن يؤذيها؛ فالخلاص يكون من خلال الترهيب الذي يدور في أروقة الأعداء فيكسبها ضمورا حقيقيا يكون من ورائه التقوقع المراد، ذلك أنَّ التحديث المستمر يمنح كلّ الأطراف تبعات متعدِّدة ومتنوّعة، فيكون التوقُّف أو الانزواء أرضية للتقهقر والخروج من دائرة الترهيب التي يريدها الدين الإسلامي، ذلك أنَّ الإرهاب لا يمكن تحقُّقه دون فاعليّة مؤثّرة، فالعُدّة عند تحقُّقها يكون الإرهاب سيد الموقف حتى في خلق شروط لم تكن حاصلة قبل حصول الإرهاب، ممّا يجعل نعمته متحقِّقة وان لم تتحقّق فاعلية العُدّة إلا إنَّ فاعلية العُدّة تحقّقت وإن لم تستخدم، وهنا نرى أنَّ الإرهاب أدّى فعله الحقيقي الذي يكون دون الوصول إلى حالة الإفساد في الأرض التي تتحقّق في حالة استعماله، فيكون الكسب كبيرا للأنا والآخر، للأنا يحصل الحماية والمنعة والثبات، وللآخر الموافقة مع تفّهُم وعن تفاهم، فالذي كان رافضا لِما يُطرح عليه من أجل تحقيق الأمن للجميع أصبح اليوم يوافق على المطالب مع فائق الاعتبار للآخرين. وهنا تكون فاعلية الإرهاب المنشودة، فإيجابيَّة الإرهاب تكون متسعا للبحث عن تصورات جديدة تتكئ على الإرهاب وتتحقّق به، فالفاعلية المنشودة للإرهاب يجب أن تكون حاضرة في كلّ الخطوات التي يمكن

أن تُتّخذ، وهنا تكون العُدّة قد أدّت دورها في الإرهاب ضمن صيرورة مستمرة تتقلب بين جوانب عِدَّة تبحث لها عن قوَّة بيّنية خارقة للمتحقّق.

الإرهاب لا يتحقّق إلا بإعداد المستطاع من العُدّة الممكِّنة من بلوغ القوَّة، وقد تعدَّدت وسائل القوَّة، واختلفت صورتها من جيل إلى جيل، ولهذا على الأمّة أن تعُدّ العُدّة ما استطاعت لذلك من سبيل في كلّ عصرٍ من العصور التي تتطوّر عُدّتها وتتنوّع وتتعدّد.

ومن فوائد إعداد العُدّة أنّها المنبّه للآخر الذي كان غافلا عمّا بلغه الأنا من إعداد عدّة وما تأهّبه من تأهُّب وما رابط عليه من وسيلة (خيلا أم آلات وفقًا لظروف العصر والتقدُّم العلمي والتقني)؛ فاستعداد أبناء الأمّة وتحصّنهم بالآلات والوسائل القتالية المناسبة لعصرهم، يلقي في قلوب الأعداء الذين لا نعلمهم أو لا نعلم بعداوتهم الرُّعب الذي يجعلهم يلتفتون إلى كلِّ ما من شأنه أن يقيهم دمار ما أُعدّ من عدّة؛ فلا يكون هناك تكرار للعدوان في المستقبل حيث لكلٍّ حِسابه (إن عدتم عدنا والبادي أظلم).

وفي قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ)، تكون بذلك دائرة الرَّهبة مكتملة على الأعداء، فيتحقّق بذلك الانتصار بسمة عريضة يكتنفها التصريح بقوَّة العُدّة التي من شأنها أن تحقِّق ما لا يمكن تحقُّقه في أوقات أخرى.

**الإنسان:**

الإنسان في خلقه قوَّة قادرة على صناعة وإيجاد وإعداد العُدّة التي تُظهر قوّته التي شاءها الله تعالى أن تكون في مرضاته، لا في عصيانه والكفر به أو الشرك، ولهذا خلقه تعالى في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ

أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[90]، ولأنّ حُسن التقويم يستوجب تدبّر وحُسن إدارة وجودة علاقة، لذا فمن يخالف ذلك يُعدّ خارجا عن المشيئة الخَلقيّة التي عليها قد خُلق، ومن حُسن الخُلق أن يعد المؤمن العُدّة لمن أعدّ له عُدة لمقاتلته أو احتلال أرضه وهتك عِرضه والاستيلاء على ثروات وطنه.

ولهذا يمثّل الإنسان العمود الفقري للإرهاب بوصفه المرتكز لهذه العمليَّة المهمة التي بتحقُّقها تتحقق أهدافا بالغة الأهميَّة على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، ولذا فللإنسان المؤمن هو الذي يعدّ العدّة بدون أهداف ظالمة؛ فحين يكون إعداد الإنسان إعدادا صحيحا مواكبًا للتطوّر الحاصل في جميع الأصعدة، يكون الفعل الإرهابي متحقّقًا وفق نظرة معرفية تدرك ما يجري وتستوعب ما يجب دون إفراط في استخدام القوَّة إذا ما كُتبت الحرب أو القتال على أبناء الأمّة.

وعليه: يكون الإنسان هو الطرف المهم في إيجاد تفرُّعات متنوِّعة لرفد الإرهاب بكلّ ما يمنحه التحقّق، ذلك أنَّ التنوّع المعرفي غير مرتبط بجهة دون أخرى، وهذا يجعل كلّ الأطراف تحاول أن تبعثر الذي أمامها فتوجد بذلك فوضى مقصودة تريد من خلالها إيجاد تعالقات جديدة تكتب ما تريده بفاعلية جديدة، وهذا حال الإرهاب الذي يحاول جاهدًا أن يجد مدارات جديدة تكون له دون غيره؛ فيمسك العصا من أي طرف ليحقّق له ما يريد، وهذا بطبيعة الحال ليس على سبيل التحقيق الفعلي المدمِّر، بل يكون إرهابا متحقّقًا من شأنه أن يؤتي أُكله دون اللجوء إلى التحقيق الأوَّل، وهنا يتشكّل أسلوب الافتراق المنضوي على قراءات مسبقة تكون المعين الدائم للوصل إلى تحقيق أهداف متنوّعة، هذا التنوع سيحدِّد الكيفيّة التي يجب أن تكون؛ فالإنسان في هذا الموقف هو المحفّز لأيِّ أسلوب يمكن أن يُتخذ ليس بوصفه طرفا رئيسيا

[90] التين 4 . 6.

في عمليَّة الإرهاب فحسب، بل بكونه طرف يحقّق الإرهاب ويتحقّق عليه، ممّا يخلق حالة مزدوجة يمكن من خلالها الوصول إلى كلِّ ما من شأنه أن يطرح الأساليب المتنوِّعة لتحقيق الإرهاب المنشود.

إنَّ الإنسان بطبعه يبحث عن سبل كثيرة يريد من خلالها الوصول إلى مبتغاه، هذا البحث يكتنفه تبعات في حالة الحصول على المبتغى، فالإرهاب الحاصل من هذا المبتغى يكون سلاحا واقعا ضمن دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع، فالمتوقَّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلا وحدوده يمكن ردِّها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم وحتى للتقويم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصد والتحليل وللتمثّل، أمّا غير المتوقَّع تكون حدوده غير واضحة المعَالم أو ممحيّة نهائيا، فيكون الاستغراق الفكري حاضرا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفيّة التي يكون فيها التسابق حاصلا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبيا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب، ذلك أنَّ الإرهاب يمرُّ دائمًا بحالة من الخرق ممّا يحمله إلى البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه المنعة والنصرة، فالإرهاب لا يكون حالة مستقرّة، إنّما هو حالة متجدِّدة، تتجدّد بالإنسان الذي تمَّ تهيئته تهيئة صحيحة يستطيع أن يقود الإرهاب نحو تحقيق أهدافه المرسومة، فلا يكون هناك تراجع، بل يكون هناك استمرار يقوده ذلك الإنسان الذي اكتسب فاعلية البحث في إيقاع الترهيب بأعدائه الذين يتربّصون به الدوائر.

ولأنّ الإرهاب فعل لا يتحقّق إلا بعد إعداد عُدّة فاعلة في الميدان؛ فإنَّ توعيّة النَّاس بأهميّة الإرهاب في نيل الاعتبار والتقدير يُعدّ ضرورة حتى يتبيّن أبناء الأمّة أهميّة الإرهاب في صون الكرامة وحفظ البلاد من العدوان

وحفظها من بث المفاسد الظَّالمة بين النَّاس، لذا ينبغي أن لا تغفل المقرّرات الدراسية عن تضمين دلائل الإرهاب موضوعيًّا حتى تشبّ الأجيال على المعرفة الواعية التي تُسهم في صناعة المستقبل الأفضل، وكذلك لا ينبغي أن تتجاهل وسائل الإعلام عرض العُدّة التي تَمكّن أبناء الأمّة من صناعتها لردع من تسوّل له نفسه إن سوّلت له ما سوّلت، ولكن إن غفلت الأمّة عن أهميّة إعداد العدّة المرهبة لمن يجب أن يتمّ إرهابهم ستكون المخاوف مبثوثة في كلِّ فرد وفي كلِّ أسرة حتى تعمّ الأمّة بكاملها، ولأنّ الله تعالى شاء للأمّة أن تكون على القوَّة أمرها أن تعدّ العُدّة التي تجعلها على القوَّة والمنعة وتجعل السَّلام سائدًا بين النَّاس آمنين.

هذه الثقافة تمثّل رأس الحربة والجسر الذي يعبر عليه المسلمون لفهم واقعهم على الوجه الصحيح، وفهم أعدائهم وخططهم وطرقهم، كما أنَّ توحيد قوى الأمّة كافة، وإزالة ما بينها من فرقة واختلاف، أو شحناء، وإشاعة التراحم بين النَّاس، وحثِّهم على التعاون والتكامل، وشحذ الهمم نحو البذل والعطاء، والجهاد في سبيل الله الذي لا مظالم من ورائه، بل إحقاق للحقّ؛ فمن خلال العمل على تحقيق هذه الأهداف يقوم التثقيف بخلق إنسان يستطيع أن يكون جزءا لا يتجزأ من الترهيب الذي هو شفاء لداء التخويف الذي ألمَّ بالمستضعفين في الأرض.

إن هذه المعطيات تمرّ بحالة من التناوب المادّي والمفاهيمي، وذلك تبعا لمستجدات العصور حتى أنَّ حضورها في الإرهاب حضورا متباينا أيضًا، لأنَّ كلّ الأعداء لا يمكن وضعهم في حقل واحد من التماثل العقدي والإجرائي، وهذا الأمر يكسب المعطيات تجددا مستمرا؛ فتكون متابعته من باب الإلحاق به مدعاة للنهوض بتجدّد الفكر وخلق حالة من التتبُّع تُمكّن من استدراك ما يمكن استدراكه كي لا نصل إلى الهاوية.

## المجالات

## الغائية لاتجاهات الإرهاب

### أوَّلًا: مجال الإرهاب الاجتماعي:

المجتمع عندما تتمركز إرادته على الوحدة الاجتماعيَّة والوحدة العرفيّة أو الدينيّة يستطيع أن يظهر القوَّة التي وحّدته أمام الآخرين الذين يفتقدون إلى هذه الّلحمة الاجتماعيَّة التي تحفّز وتدفع إلى التعاون والمشاركة والمشاورة، والتي بها يتخذ القرار، ويتمّ الإقدام على تنفيذه وحدة واحدة بإرادة واحدة وأهداف واحدة؛ ولذا إنّ الأهداف الواحدة تقوّي المجتمع، والآمال الواحدة تدفع المجتمع بكلّ الأساليب من أجل بلوغها وتحقيقها، مجتمع هذا حاله وحدة وقوَّة ألا يكون مخيفًا للآخرين لمن لم يمتلكوا القوَّة ومرهبًا لمن يمتلكها.

إنّ هذا التمركز يسير نحو بناء أسس صحيحة حاضنة لنظرة واعية تستطيع أن تقرأ الواقع ضمن تقنيات تجدها تلائم كلّ ما هو مطروح؛ فالتمركز بكلّ أصنافه وجذوره المطلوبة يسعى نحو بناء نفسه بناءًا قويًّا مستمدًّا قوَّته من الآخر أيّا كان، وهنا تنبري حالة من البحث المستمر التي ترافق عمليَّة البناء لتكون منقادة للنهاية المطلوبة، فتتشكّل نظرة فاحصة تستطيع أن تلتفَّ حول كلّ ما من شأنه أن يغيّر النهايات المرادة؛ فيكون الاتِّساع هذا رافدًا مهمّا لخلق صيرورة فاضحة تجذب الأنظار لها من باب التحذير الذي يعطي وجود تحديث دائمٍ ومستمرٍّ يكمن فيه الخوف ويغيب عنه الإرهاب.

إذن: متى يكون المجتمع مخيفًا، ومتى يكون مرهبًا:

– ألا يكون المجتمع مرهبًا بوحدته الوطنيَّة!

– ألا يكون المجتمع مرهبًا بترابط أسره وعشائره وقبائله ومكوناته الاجتماعيَّة وإن تعدّدت وتنوَّعت!

– ألا يكون المجتمع مرهبًا بإعطائه للأبوة حقها.

– ألا يكون المجتمع مرهبًا عندما يكون للأخوة معنى ودلالة!

– ألا يكون المجتمع مرهبًا عندما يكون للعمومة معنى ودلالة!

وفي مقابل ذلك ألا يكون المجتمع المفكَّك ضعيفا وعلاقات أبنائه لا ترتقي إلى درجة يمكن أن تخلق نوعًا من التلاحم الذي يسدّ جزءًا من المخاطر التي يمكن أن يتعرّضوا لها أو من ممكن أن تلوح لهم بالأفق من باب التحذير ليس إلا.

إنَّ مثل هذا المجتمع يكون في حالة خوف مستمرّ على نفسه ومستقبله، فيكون الخوف مدعاة للدخول إليه والوصول إلى كلّ مواطن الضعف التي يكون من ورائها السيطرة عليه، فتُفتح بذلك بوابات كانت مغلقة ومنزوية لم تكن بالحسبان؛ فتتعاظم الأمور وتزداد حدّتها لتنحدر نحو الهاوية التي لا يكون فيها إلَّا الخسران.

ولذا؛ تتكالب على المجتمع الضعيف، فالقوى الخارجيَّة الطّامعة تجد فيه صيدًا سهلًا، ممّا يعرِّضه للاستضعاف والاستعباد، وبهذا الخرق يكون المجتمع قد سقط في وحلٍ لا خلاص منه، فتتكاثر فتنه ممَّا يجعل الاعتداء عليه من الخارج محفِّزا على زيادة الوهن والضعف والتفرقة والفرقة لكلّ من هبَّ ودبَّ.

وعليه: ألا يكون إعداد القوّة الاجتماعيَّة والمادّيَّة بحق هو المنقذ من الخوف الذي كلّما تحرّر منه نال الاعتبار والاحترام والاعتراف وتحقّق له التوازن الاجتماعي مع الآخرين.

وعليه:

- ألا يكون إعداد القوّة عملًا موجبًا؟

- ألا يكون العمل الموجب مرضيا لله وطاعة لأمره مصداقًا لقوله جلّ جلاله: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[91].

- ألا يكون ذلك ترسيخا لأمر الله تعالى وأخذا به في سبيل تحقيق الطموحات الإرهابيّة التي تتمثّل في:

1- المجتمع المطمئن.

2- المجتمع الآمن.

3- المجتمع الذي يمتلك مقاليد القوّة.

4- المجتمع الواحد وان تعددت ثقافاته وأشكاله وألوانه.

هذه المعطيات إن صح تسميتها بذلك تتشكلّ منها القوّة المطلوب؛ فالقوّة لا تكون ضمن اتجاه واحد هو الذي يحميها دون اتجاهات أخرى؛ فبعض الدول تكون مرهبة ليس فقط للذين يحيطون بها، بل للدول البعيدة أيضًا، وهذا الأمر نابع من التركيبة التي نسجتها تلك الدول المخيفة لتغلق على نفسها الأبواب ولا تسمح لأحد أن ينظر ما بداخلها؛ فكان النظر إليها من بعيد دون معرفة ما تخفيه من قوّة تخلق حالة من الخوف على مستوى المتوقَّع وغير المتوقَّع، هذه التوقعيّة هي أيضًا تخلق في كثير من الأحيان موازنات

[91] - الأنفال 60.

افتراضية غير متحقِّقة في الواقع، إلّا أنَّها متحقِّقة في القراءات المتعدِّدة التي تحاول إيجاد تبريرات لما يحصل.

**ثانيا: مجال الإرهاب السياسي:**

السياسة مرهبة من حيث كونها قوّة إن استخدمت أو وجّهت فيما يجب أو تجاه ما يجب كانت مرهبة بما تُقدّر به من مكانة، أي (المقدّرة والمعتبرة لدى الآخرين).

ولكن من خلال ماذا يتمُّ إظهار السياسات المرهبة؟

نقول:

في دائرة الممكن يتمّ إظهار السياسات المرهبة من خلال:

1- المشاورة في الأمر دون إكراه ودون تغييب ودون إقصاء، وذلك لكي يكون صوت النَّاس جميعا (نحن سويًّا) وعندما يصبح صوت النَّاس (نحن سويًّا) ألا يكون هذا الصوت مرهبًا للذين يمتلكون القوَّة!

2_ تنفيذ القرار الجماعي: الذي تمّ اتخاذه من أجل الأمر الذي تمَّت المشاورة عليه، ولذلك تعدّ المشاورة في الأمر حقّ، ويُعد التنفيذ فيها واجب، ولهذا الحق يؤخذ أو ينتزع انتزاعا، والواجب يؤدّى من قبل الذين أخذوا حقوقهم أو انتزعوها انتزاعا، ولذلك فانَّ التنفيذ بإرادة قوَّة ترهب الآخرين الذين يسلِّمون بموجبّات التنفيذ عندما تكون متعلِّقة بالأمر الذي هو شورى بين النَّاس؛ فتنفيذ القرار الجماعي يدلُّ على الارتباط الحاصل بين الاتفاق والإرادة، وهنا يكون التعالق حاصلا ضمن سلسلة من الاتكاءات التي يتبيَّن من خلالها وجود سمة جمعية مقترنة بروابط لا يمكن المساس بها؛ فالتنفيذ يولِّد قوَّة فاعلة على كلّ المستويات؛ ذلك لانَّ الحقائق الماثلة تكون دائمًا مدعاة للنظر كي يُؤخذ منها الدروس والعبر.

3_ التقييم بموضوعيَّة: الذي به تتمّ مراجعة خطوات التنفيذ ومن قبلها مراجعة الكيفية التي تمّ بها إقرار الأمر ليتمَّ التمكُّن من معرفة نقاط القوَّة واعتمادها ومعرفة نقاط الضعف وتجنب تكرارها وتفاديها، أي ألا تكون هذه السياسة التي فيها تتمّ المراجعة والتقييم مرهبة للذين يعرفون الكيفية التي يصنع فيها المستقبل؟

إنَّ التقييم يولِّد حالة استدعائية قائمة على استحضار كلّ النقاط التي تمَّ بها اتخاذ الأمر وتمَّ بها تنفيذ القرار، وهنا يكون الأمر مفتاحا لبلورة حالة من الارتقاء التنظيري المرتبط بوقائع حاصلة؛ فيكون التزاحم المعرفي ملبّيًا للكينونة المرادة؛ فيظهر المطلوب بهذه الاستدعائية ليكون فيما بعد أمام أنظار من يقوّم.

4_ التقويم: بعد معرفة الأسباب والعلل من خلال مرحلة التقييم ألا يكون من الواجب تصحيح الأخطاء، وتصويب الاعوجاج، وتغيير الانحرافات إن وجدت من الاتجاه السالب إلى الاتجاه الموجب، سياسة مرهبة بها يتمّ التقدير وغرس الثقة في الإرادة وما يترتّب عليها من أفعال، ويكون التقويم أداة فعَّالة ليس على مستوى الحاضر فقط، بل على مستوى المستقبل، ويكون التصحيح سمة موجودة لا يمكن تركها بأيِّ حال من الأحول، حتى أنَّ المبرِّرات التي يمكن طرحها في كثير من المواقع تكون عبئا ثقيلًا في المستقبل؛ فالتجاوز يمكن أن يحصل لكن يحصل بتحديث مستمر، يستمر على الصحيح ويصحح الخطأ أن وُجد، وهنا تكون هذه الآلية قد حقّقت فاعليتها المطلوبة، وأعطت دفعة جديدة من دوافع التقدُّم والرقي.

5_ إعطاء أهمية للتخصُّص: وذلك لأجل الاستفادة من العلم والبحث العلمي في الاستنهاض بالأمَّة ورسم سياستها بموضوعيَّة، ولذلك فإنَّ للتخصّص أهمية به تنهض السياسة وعلى ضفافه ينهض الاقتصاد وينهض

الاجتماع وينهض بما هو أفيد، سياسة هذه حالها ألا تستوجب التقدير والاحترام؟

وإذا كان الأمر كذلك، ألا تكون هذه السياسة هي سياسة مرهبة للآخرين؟ وإذا كانت الإجابة بنعم.

ألا يدلُّ ذلك على أنَّ الإرهاب خير وفيه كلّ خير.

إنّ إعطاء أماكن الحياة المختلفة للمتخصّصين يمنح الفاعلية للعجلة التطوّرية مواكبة وتقدما؛ فيكون الإبداع والارتقاء حاضرا عن المتخصّصين؛ فهؤلاء يستطيعون الولوج إلى مداراتهم ليلتقطوا منها ما يفيد العمليَّة التصحيحية والعمليَّة التطويرية؛ فيحصل بذلك النهوض المرتقب، ذلك النهوض الذي بتحقُّقه يكون الإرهاب حاصلا للآخرين؛ وذلك لأنَّ زمام العُدَّة والقوَّة أصبحت بأيدٍ متخصِّصة تستطيع أن تفعل الفعل الذي يكمن فيه الإرهاب ويظهر.

6_ الصلاحيَّات: على مستوى الدولة تؤسّس السياسة تشريعا ودستورا وقانونا، فيتمّ بها تحديد الحقوق للمواطن وتحفظ له كما تحدّد له الواجبات وتحفظ، ولهذا يقدم المواطن إرادة على حمْل المسؤوليَّات المناطة به تجاه نفسه والآخرين، ولكن في حدود الصلاحيَّات، ولهذا فلولي الأمر صلاحياته في رعاية أبنائه، وكذلك للمسؤول من الصلاحيَّات ما يكفله القانون ممّا يجعله حريصا على تطبيق القانون وعدم الإخلال به.

ولذا؛ عندما تؤسّس سياسة الدولة على صلاحيَّات مشرّع لها، ألا يكون ذلك دليلًا على قوَّة السياسة؟

وعندما تكون السياسة على هذا المستوى من التقدير ألا تكون هذه السياسة مرهبة؟

وعليه: المسؤوليَّة عامة على مستوى البلد والأمّة بكاملها وهي حقّ يجب أن يمارس وفقًا للصلاحيات والاختصاصات والتخصّص، وواجب يجب أن يؤدى، ومسؤولية يجب أن يتمّ تحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام.

وهنا ينبغي القول أنَّ مجال الإرهاب السياسي هو مجال امتداد العلاقات بين الأفراد والجماعات، وكلّ التنظيمات المكونة للمجتمع أو للأمّة الواحدة التي كلّما تأسست معطيات سياستها على قوَّة اتخاذ القرار، وقوَّة تنفيذ القرار، وقوَّة تقييمه وتقويمه، كانت أمّة مرهبة تنال الاعتبار والتقدير من الآخرين وإن كانوا أعداء، ولذا كلّ ما كان المستهدف من حمْل المسؤوليَّة هو الإصلاح في الأرض بناءًا وإعمارا وفلاحا، كان أمر حمل المسؤوليَّة على المستوى السياسي مرهبًا للذين يمارسون السياسة عن مسؤولية.

**ثالثًا: مجال الإرهاب الاقتصادي:**

الاقتصاد بدون شكّ قوَّة عندما يؤسّس على الإنتاج، وعندما تطوّر وسائل الإنتاج وتقنياته الصناعية، ولذا فشعوب العالم اليوم وحكوماته وسياساته وعلمائه وبحاثه جميعًا منعكفون على العمل من أجل صناعة المستقبل الأفضل وفي كلّ المجالات، ولذلك فإنَّ المجتمعات التي تمتلك رأس المال وتمتلك الإنتاج الفائض من الإنتاج، وتمتلك الآلة وتقنياتها وأساليب العمل بها ألا تكون هذه المجتمعات بحقٍّ مجتمعًات مُرهبة؟

أمَّا تلك المجتمعات الاستهلاكيَّة التي تعتمد على الاستيراد من أوَّلئك الذين ينتجون وينوِّعون مصادر إنتاجهم ألا يكون أوَّلئك المستهلكون هم عالة على حساب الجهد العالمي الذي يبذله المنتجون والمبدعون؟

إنَّ وجود هذا الأمر (مجتمع منتج ومجتمع مستهلك) لدليل إثبات أنَّ الإنسان في أساس خَلقه (حُسن التقويم) الذي شبّ من شبّ عليه وشاب، في مقابل من ركن مستسلما للبطالة فكان عبء على كاهل الأمّة بكاملها.

وعليه:

. ألا يكون المجتمع المستهلك هو المجتمع الخائف على حاجاته ومشبعاتها، ويكون في مقابل ذلك المجتمع المنتج هو المطمئن على حاجاته ومشبعاتها؟

. ألا تكون الدعوة إلى الإنتاج تؤدِّي إلى الإرهاب؟ الذي به تتعادل كفتا الميزان بين ذلك المنتج الأوَّل وبين ذلك الضعيف الذي أصبح بعد ذلك منتجا ومبدعا ومستوعبا للعصر، وللآلة وأساليب استخداماتها وتقنياتها.

وإنْ تحقّق هذا الأمر، ألا يكون المستقبل للجميع هو أفضل ممّا لو كان عليه بعضًا من المجتمع منتجا والبعض مستهلكًا للمنتج؟

إذن؛ نستطيع القول:

إنَّ الاقتصاد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع ينتج الخوف أو ينتج الإرهاب؛ فهو ينتج الخوف عندما يتمّ تحكّم القوي في مقاليد الأمر ويُحرِم الضعيف من الأخذ منها، ولذا فانَّ الاحتكار يؤدّي إلى قاعدة (الخائف والمخيف)، أمَّا التساوي في حقّ التملّك والإنتاج بإرادة فيؤدّي إلى الوفرة وإشباع الحاجات المتطوِّرة، وتحريرها ونزع الخوف من قلوب الخائفين بما وصلوا إليه من إنتاج يرتفع به إلى المستوى المرهب وذلك بما يحقِّقه من إشباعات للحاجات المتنوّعة والمتطوِّرة.

## اتجاهات الإرهاب

### أوَّلًا: الاتجاه الوقائي بالإرهاب:

يبين هذا الاتجاه الفعاليّة للوقاية كونها تمنح الكثير من القوَّة والمنعة دون الخوض في التقابلات الضديَّة الفعليَّة التي تكون مخلفاتها مؤلمة وإرهاصاتها حاضرة في كثير من الدوائر الظنية التي يرتسم فيها المكوث المطلوب، وهنا تنبري حالة من الدفع الضدي المبطن الذي يتوارى أمام العيون ليستقر في أماكن يستطيع من خلالها التواصل لخلق صيرورة دائمة يُبنى من خلالها الجدار الذي يحمي من يريد أن يكون داخله، فيكون التوافق الترابطي حاصلا في تداعيات تظهر وتختفي لتحقِّق بعد ذلك سياج واع من التشكيلات المرحلية التي تدخل فيها المعًالجة بعد طور من التغييرات أو حتى من التقلبات المقصودة، بوصفها انفراج متوقّع في فضاء متداخل لا يهمه إلا أن يكون عتبة آنية يكتنفها غموض بسيط ممزوج بحضور منتظر، فيكون سمة لمن يرتبط به.

والوقاية هي تجنُّب المتوقَّع في السالب وغير المتوقَّع لكي لا يحدث، ذلك أن الواعين يحتاطون من حدوث المفاجأة في دائرة الممكن، ولكن الاحتياطات التي ينبغي أن يؤخذ بها لترهب المخيفين أو المعتدين يجب أن تكون حاضرة حضورا يمنحها الفاعلية التي يجب أن تكون، وقد يكون هذا الحضور ماديا أو معنويا؛ فيكون التقلُّب بين هذا الحضور حالة من البحث عن أسس صحيحة تكون فيما بعد مفتاحا لما سيكون ضمن التوقّعين، ولتدخل بعد ذلك مرحلة من التغيّرات التي تكون مدعاة للنهوض وللتبصرة، فالأحوال لا بدَّ أن تتغيَّر وتكون مرتبطة بواقع يجد صداه فيها، هذا الواقع متعطش لكي ينتقل من حالة الضعف إلى حالة القوَّة ومن الركون إلى النهوض، وهذه ثنائيات متغلغلة في التفكير كونها تمثّل حقيقة واقعة، وتحقّقها وفق

الموجب لا بدَّ أن يكون من ورائه آليات متعدّدة ومتنوِّعة أيّا كان في سبيل تحقيقها، لكن هذا التحقيق لا يرى النور حين يكون بعيدا عن الأفعال الحقيقة التي يكون من ورائها الانفراج الكلّي المرتقب، ولذا يكون إعداد العُدّة نقطة البداية التي يكون بعدها الموجب يلوح في الأفق، فيكون النهوض في كلّ الجوانب سمة حاصلة مترابطة بصحوة متفاوتة تبعا للمخاطر المترتِّبة حين يكون التفكير بعيدا عن إعداد العدّة ويدور في مدارات بعيدة غير حاصل فيها الارتباط الفعلي بما يدور، وهنا تكون العدّة المركز الرئيس الذي تكون فيه نقطة البداية في تبديد المخاوف واستجلاب كلّ ما من شأنه أن يبني سورا متينا مستندا على أصول حقيقة في تقدير المخاطر وحجمها، ونحن إذ نرى هذا البناء فإننا نرى فيه امتداد متواصلا، امتداد فيه من الامتداد ما يرتبط بالنسق الإنساني الذي أراده الله تعالى أن يكون خليفة في الأرض إذ يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[92]، هذه الخلافة لا تكون على الضّعف بل تكون على القوّة، فالضعف والوهن هما الداعيان إلى الاستكانة والقبول بالأمر الواقع الذي لا يرتضيه الله تعالى، كما أن خلق الإنسان كما قال الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[93]، حُسن التقويم هذا يستوجب حسن المعرفة والتفكير والتدبُّر والتخطيط، وبهذه الأربع إذا عرف، وفكَّر، وتدبَّر، وخطّط،

[92] - البقرة 30 – 33.

[93] - التين 4.

ليس له إلا أن يكون قويا فينال بها الاحترام والاعتراف من الآخرين، أمَّا إذا كان ضعيفا فيسقط الاحترام والاعتراف، وتكون الإهانات مفردات حاضره تناوشه بين أروقة ينتابها ظلام دامس لا يجد له مكانا حتى وان اتكأ على جدران من فضة.

يتّسم العصر الذي نعيش فيه بعصر القوَّة حتى يمكن القول: إنَّه أشبه بغابة كبيرة لا سيد فيها إلّا القوَّة، وهنا تكون المعضلة الحقيقية؛ وذلك بسقوط كلّ المعايير التي من شأنها أن تكون سيدة وحاضرة بين النَّاس جميعا، فالأخلاق والأعراف والقيم ليس لها مكان؛ فانتفاؤها يمنح القوَّة الغاشمة المكانة المتقدِّمة، فتُختزل الحياة بهذه المفردة التي تقود النَّاس نحو نهاية بائسة يراد منها الخنوع والذلّ والهوان ممّا يكتنف الحياة تصورات بعيدة عن البينية التي يمكن أن تكون للنَّاس، فتسقط الاختيارات التي تمنحهم الحرّية في التعبير أو اتخاذ القرار أو المكوث داخل أيِّ دائرة يريدونها، وهنا تكون الوقاية عاملًا من عوامل النجاة الذي يكون من خلاله الحصول ولو على أدنى شيء وهو البقاء بعيدا بحرّية وكرامة عن يدّ البطش والجبروت، فالوقاية يرتسم فيها الانكفاء عن كلّ ما يسقط أوراق الحياة الكريمة ويبدّد الحياة، ويدخلها في متاهات لم تكن بالحسبان.

والوقاية تتطلّب عمليَّة تحديث مستمرة تكون مواكبة لكلّ التطوّرات الحاصلة في العالم في جميع الجوانب، فيكون التتابع المعرفي من الأوَّلويّات التي تكون الشغل الشاغل؛ ذلك أن أيِّ توقُّف أو تراجع يفتح ثغرات في هذا الحصن الذي يكمن وراءه كلّ قوَّة يمكن أن تكون، كذلك التبعات التي تحدث، لها دور مهم في خلق حالة من الاستدراك لكلّ المنجزات التي حصلت، فتكون نقاط العودة متسارعة تبحث عن نقطة الصفر التي ينتهي كلّ شيء عند أعتابها، وتكون الوقاية بكلّ تجلياتها حاضرة في مشاهد متعدِّدة يكمن

فيها البحث عن تقوية الضعفاء الذين يمثلون في حقيقة الأمر النقطة الأضعف، هذه النقطة يجب أن يكون لها مكان خاص يتناسب معها من أجل إعدادها إعدادا جديدا ينقلها إلى مكان جديد تستطيع أن تكون فيه قوّة فاعلة في الاعتراض على المظالم، هذا الاعتراض يحيلهم إلى قوّة تنويرية جديدة يكّمن فيها الرفض والتعبير الجديد المرتبط بحيثيات متناوبة يستشفُّ منها البحث عن الخلاص والابتعاد عن كلّ إهانة، أمّا إذا لم يكن الأمر كذلك وارتضى الضعفاء بالمظالم التي تلحق بهم ولم يحركوا ساكنا فلا داع أن يعترضوا عن المظالم إذا ما لحقت بهم، ذلك أن الحياة بكلّ تداعياتها تطرح كلّ الثنائيات التي يكمن فيها التحقّق على مستوى النّاس جميعا إلا أنَّ التمثّل لهذه الثنائيات وجعلها أمرا محتما دون محاولته خرقها أو تغييرها أو حتى البحث عن أسباب التغيُّر يعد ضربا من العبثية الحقيقية التي يكون ما بعدها خرابا مستديما، وحتى لا يرتقي الإنسان فيها إلى الدرجة التي يجب أن يكون عليها وهي محاولته البحث عن حلٍّ لتأزُّماته المختلفة.

وهنا تطرح الوقاية سمة اعتباريّة لمن يمتلكها، هذه السّمة لا تأتي من فراغ؛ فهي مبنية على الإقدام الذي يمثّل الخطوة الأوَّلى؛ فالنكوص والتباطؤ في معظم الأحيان تكون نتيجته وبالا؛ فالحياة في جميع جوانبها تسير ضمن إيقاع سريع من التطوّرات الهائلة التي تظهر يوميًّا، وكلّ يوم يختلف عن سابقه؛ فيكون الإلحاق سمة ثابتة لا يمكن التفريط بها، حتى أنَّ مفردة (وقاية) وما تعنيه لا يكون مدلولها واحدًا، إنّما يكون مدلولها متغيّرًا مواكبًا للحياة، ولذا فالتغيرات المتعدِّدة تطرح سمة جديدة أو إحالات جديدة يكون الانفتاح فيها تابعا لصيرورة متوالية، وهذا يخلق حالة من الإرباك لكنَّه لا يدخل في دائرة السّلب، بل هو يدخل في دائرة الإيجاب؛ ذلك أنَّ الإرباك أو حتى الشكّ المستمر يخلق حالة من التتابع لكلّ ما يجري؛ فتكون الغفلة معدومة أو حتى

لا يكمن وراءها تبعات لا ترتقي إلى مستوى الفشل الذريع، وبعدها تكون الوقاية متجدِّدة مع الحياة وتكتسي دائمًا بما يمنحها صلابة وبريقا، هذا الأمر كلّه يدعو إلى بلورة أفكار جديدة قوامها الاتكاء على عناصر متجدِّدة يفوح منها التحديث الواقعي الذي يبصر الفكر ويمنحه مديات بعيدة، هذه البلورة يكون من ورائها خلق أساليب متعدِّدة ومتنوِّعة تكسب الوقاية ثوابت جديدة تضاف إلى ما هي عليها، ونحن إذ نرى هنا إنَّ ثوابت الحياة يمكن أن تتغيَّر أو تتبدَّل أو حتى أن يضاف لها وذلك ضمن دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع، أي بحسب القراءة المستقبلية التي يكون فيها إجراء عمليَّة تصحيحية لكلّ ما يمكن أن يُعدّ من الثوابت.

إنَّ امتلاك القوَّة يتطلّب حزما ومسارعة؛ ذلك أن كلّ ما يجري في العالم اليوم بأسباب خائف ومخيف؛ مثل ما يجري في أفغانستان فهو بأسباب خائف ومخيف (قوي وضعيف)، وفي مقابل ذلك لو كان الأمر بين قوي وقوي ألا يكون ما يجري اليوم لا وجود له ولنتفا العدوان، وإلى ما يجري في العراق كما قالوا أو ادّعوا أنَّ العراق أصبح يهدّد الآخرين، لو كان هذا الأمر حقيقة، هل يجري ما جرى فيه اليوم؟ حتى الصومال وما يجري فيه؛ فهو بأسباب الضعف، ولذا فالضعيف دائمًا معرّض لأن تلتهمه القوى من كلّ جانب؛ فهل يشكلّ الصومال خطرًا نوويًّا حتى يكون مبررًا للقوات الأجنبية أن تغزوه وتحتلَّه؟ ثمَّ بعد ذلك تتركه وَهْنًا في صراعات وفتن داخليّة، كلّ هذه الأمثلة وغيرها كثير في العالم لو كانت هذه الدّول ومن همّ على شاكلّتها يمتلكون العُدّة أو أعدوا العُدّة مسبقًا قبل وقوع العدوان عليهم لكانوا قد وقوا أنفسهم وتراب وطنهم من العدوان الظَّالم والاحتلال الغاشم، ووقوا عرضهم ووقوا ثرواتهم وحرياتهم من الاعتداء والاغتصاب.

وعليه: كلّما كان هناك فراغ سياسي أو فراغ اقتصادي أو فراغ أمني كلّما حفّز الآخرين الذي يمتلكون القوّة على ملئه، ولذا فإنَّ الوقاية هي الحلّ الذي يحفظ البلاد وسياستها واقتصادها ومجتمعها من الاعتداء والعدوان، إذن: إعداد العدّة واجب، بل هو أمر من عند الله مصداقًا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[94]، فكلّمة (أعدوا) تحمل في مفهومها قوا أنفسكم وبلادكم وحدودها وما تملكون من ثروات وهويّة أمتكم من الاعتداء الظّالم، فالوقاية كما يقولون خير من العلاج .

وعليه: الاتجاه الوقائي في دائرة الممكن المتوقّع يستوجب العمل على تحقيق الأمن الغذائي وإلا سيكون المجتمع معرّضًا للمجاعة أو الفقر أو الحاجة؛ ولذا في دائرة الممكن قد تكون القوّة قمحًا في مقابل قوّة نقدية لشرائه، وفي دائرة الممكن من يمتلك القوّة الماليَّة بإمكانه أن يتعاقد مع الذين يستزرعون أراضيهم قمحًا لسنوات، ولكن في دائرة غير المتوقّع إذا ما احترق القمح أو أُحرق وفقًا لسياسة من يمتلك القوّة تصبح عقود الفقراء كما هو الحال في روسيا التي احترق فيه القمح، تصبح عقودهم في مهبّ الريح ويصبح ما يمتلكونه من نقود لا يشبع حاجاتهم من الطعام، ولذا من أراد وقاية من هذه المخاطر وما يماثلها فعليه أن يستزرع أرضه قمحًا أو يستزرع بدلًا نافعًا، وإلّا سيكون خير من يحافظ على ضعفه الذي يجعله في حاجة لمن يمتلك القوّة التي بها قد يساوم على حرّيته وحرّية بلده وما يتعلّق به الأمر.

عليه: فإنَّ الذي يمتلك القوّة الغذائية بفائض يمكن تصديره للذين لا يمتلكونه سيظل مخيفًا للذين هم في حاجة إلى استيرادها وبخاصّة إذا قرّر

[94] – الأنفال 60.

حرمانهم منها بأسباب احتراق القمح أو بأسباب أخرى منها الضغط من أجل تقديم الكثير من التنازلات على حساب الثروة أو الكرامة، وهنا سيظل الضعيف ضعيفا في هذا الاتجاه إلى أن يتمكّن من امتلاك مقاليد القوّة التي تجعله منتجا مماثلا للذي كان يحتكر الإنتاج ويهدّده بين الحين والحين، وسيظل المخيف مخيفًا إلى أن يمتلك الخائف الثروة ويتحوّل من الاستهلاك إلى الإنتاج حينها يدخل في إعداد العدّة، ويصبح مرهبًا للذين كانوا يعتقدون أنّهم وحدهم القادرون على الإنتاج واحتكاره .

عليه: يكون الاتجاه الوقائي بالإرهاب قوّة فاعلة حين تحقّقها؛ ذلك أنَّ حضور فاعليتها بالشكلّ المطلوب يمثّل قوّة ردع في مواجهة كلّ ما يمكن أن يحدث على مستوى المتوقَّع وغير المتوقَّع، هذا الاتجاه لم يكن بعيدا عن الفكر القديم ضمن رواسبه الأوّلى، بل كانت بدايته حاضرة فيه، فالبناء القديم للمدن يحيل إلى وجود نظرات استشرافية منحتهم تخطيطا واعيا للمدن حين يشرعون ببنائها، فالأسوار التي تحتضن المدن هي جزء من البناء الفطري العام الذي يكتنف النَّاس في كلّ زمان ومكان؛ فالبحث عن الوقاية كان حاضرا في كلّ لبنة يضعونها مجسدين بذلك قيم المعرفة التي يجب أن تكون وإن كانت الإمكانيات العامَّة بكلّ جوانبها متواضعة لا ترقى إلى مستوى الطموح إلا أنَّ هاجس الوقاية كان دائمًا حاضرًا.

### ثانيًا: الاتجاه العلاجي بالإرهاب:

يكون الإرهاب أداة فاعلة في إيجاد أرضيّة متينة يمكن من خلالها الوصول إلى تواصل حقيقي يُطرح من خلاله البحث عن معايير ممكنة تظهر فيها الاستحقاقات التي يجب أن تكون، وهذه الاستحقاقات تطرح البقاء الحياتي وفق تقلُّبات حتمية مرافقة لما يجب ضمن دوائر متعدّدة ومتنوِّعة، فيحصل بذلك الانكفاء المراد، الذي يسعى دائمًا إلى بلورة أساليب بعينها

يكون الوصول إليها مدعاة للتمثُّل والتبعيَّة، إنَّ العلاج بالإرهاب حين يتحقّق يفتح للحياة نافذة جديدة يكون من ورائها التحوُّل المنشود؛ فالعلاج بالإرهاب في دائرة الممكن يخلق صيرورة تمنح التغيُّر الحاصل موقفا جديدا يكمن من ورائه الاستبصار المراد؛ فالعلاج في حقيقته هو محاولته إيجاد تدافع حقيقي متنوّع يبطل ويعيد، يبطل الأساليب التي يتحتّم من ورائها النكوص والارتداد اللذان بتحقّقهما تنتهي الأمور إلى نهاية مأساوية، كما يبطل فيها التفاعل الحقيقي بين أطراف عدّة لا يكون الارتباط بينهما مدعاة للعلاج بل مدعاة للخراب، ولذا يعد فيها البحث عن بداية جديدة مدعاة للسخرية والجنون، وهذا يبقي الأمور في دائرة الاضمحلال الكلّي التي سرعان ما تكون عابثة وغير ظاهرة بما يجب.

أمّا كونه يُعيد؛ فذلك من باب البحث عن مغايرة يكون من ورائها تغيير ما يمكن تغييره، أنَّه المرتبط بتداعيات الحياة وما فيها من حب للوصول إلى إيجاد تقنيات متعدِّدة ومتنوِّعة يكون من ورائها التشبُّث والتغيير، فالحياة لا تكون وفق نظام ثابت يبطل كلّ ما هو متغيّر؛ فالتغيير يكمن فيه الخلاص وذلك من خلال قراءة تصحيحية تظهر نقاط الضعف والقوَّة التي يكون من وراء معرفتها الوصول إلى الحقيقية التي يكون التعامل معها ضمن فاعلية متميِّزة تسلب كلّ المواقف السابقة، وتعمل على إجراء بدائل يتحقّق من خلالها إظهار الجديد الذي سيكون من ورائه خلق تصحيحات حقيقة منقادة للعمليَّة العلاجية التي يجب أن تكون؛ فالعلاج لا يكون على سبيل الاختيار، بل على سبيل إيجاد أرضية جديدة يكون من ورائها تحقّق ما يمكن تحقيقه، ولذا فالنسبية التي يمكن القول بها هنا هي نسبية حتمية لأنَّها تابعة لمتغيّر، وهذا المتغيّر إذا لم يسير ضمن سياق واحد ومتفاعل فأنَّه سيجد نفسه في النهاية بعيدا عن كلّ التوافقات التي يمكن أن تنتظره، وحينها تصبح النهاية متفرِّعة

فيصعب بعدها الوصول إلى نقطة جديدة أو حتى إلى أيِّ نقطة يمكن من خلالها إعادة التوازنات المطلوبة.

الإرهاب فعل فاعله إمَّا مُطلق (عالم الغيب والشهادة) لأجل إعادة التوازن بين الذين هم في دائرة الممكن كانوا سببًا في اختلاله ممّا جعلهم بين ضالٍّ (مفسد) وبين مهتدٍ (مصلح)، ولأنَّ المطلق هو الذي بيده الأمر؛ فهو الفعَّال لما يُريد كيفما يريد، ومتى ما أراد، ولأنَّ الفعّال لما يريد خلق الكون على التّوازن وجاء المفسدون ليفسدوا فيه بغير حقّ، وأفسدوا ما استطاعوا إفساده وهم غافلون عن الذي بيده الأمر وهو على كل شيءٌ قدير، ولأنَّه جل جلاله هو القادر؛ فهو الدائم المطلق في إرهابهم بالقوَّة المطلقة لعلّهم يصحون من الضلالة والغفلة التي همّ فيها ويعودون إلى رُشدهم هداية وطاعة للذي هو على كل شيء قدير.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف تكون الرَّهبة من الرَّحمن الرَّحيم؟

أقول:

ولأنَّه الرَّحمن الرَّحيم؛ فكلّ شيء منه رحمة، ولأنَّ كلّ شيء منه رحمة، والإرهاب منه متحقّق، إذن: بدون شكّ الإرهاب رحمة؛ ولذا فالإرهاب المطلق لا يكون إلّا من الذي يمتلك الأمر المطلق، ويعلم الغيب والشهادة، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

ولكن: هل الله تعالى مرهبًا بذاته؟

الله تعالى مرهبًا بقوّته المطلقة؛ فهو الذي خلق ما خلق وبث في كلِّ ما خلق القوَّة، وجعل القوَّة في كلٍّ حسب ما يجب أن يكون عليها من القوَّة، ولهذا من أجل التوازن جعل بين العاقل وغير العاقل مدى، وبين داخل كلّ

نوع ممّا خلق مدى، بين الذئب والخروف، وبين الثعلب والدجاج، وبين الضباع والحمير، والأسود الأكثر قوّة إذا ما قورنت بالحيوانات الأقل قوّة منها، وكذلك جعل داخل النوع الواحد مدى؛ فجعل بين الأسد واللبوة مدى فيه تتمُّ المعَاشرة دون مخاوف وذلك بتماثل القوّة المرهبة بينهما، كما جعل بين الرجل والمرأة مودة وجعل بين النَّاس نسبا وصهرا.

ولأنَّه يملك الأمر المطلق، والإرهاب جزءا من المطلق، إذن فالإرهاب لا يخرج عن المطلق، إي أنَّ المطلق يحتوي ويهيمن على كلّ متنوّعٍ ومتعدّدٍ ممّا خلق خلقا: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[95]، فالذين أمنوا واهتدوا رُشدا همّ الذين يسارعون في الخيرات لأنَّهم متيقّنين أنَّ كلَّ الخيرات هي من الله تعالى، ولهذا فهم الذين يدعون الله عن رغبة وشوق لمودّته، وهمّ المتيقّنين بأنَّه القوي المطلق الذي إن أراد شيء قال له: كن فكان، وحتى لا يقع الفعل بأسباب من لا يُقدّر ما يُرهب؛ فهم يزدادون طاعة له وخشوعا، قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[96].

ولأنَّ الله تعالى بيده أمر كلَّ شيء، والإرهاب شيئًا، ألا يكون فعل الإرهاب متحقّق متى ما شاءه أن يتحقّق ظاهرا للعيان، ليكون حدًّا وسدّا بين من تسوّل لهم أنفسهم أن يعبثوا في الأرض فسادا؟

ومن لم يتقِ الله ربّه، ألا يكون فعله ميسّرا للمشيئة متى ما شاءه أن يكون كان؟

---

[95] الأنبياء 90.

[96] الإسراء 16، 17.

وعليه: ما الحكمة من الرَّهبة؟

ليقف كلّ عند حدِّه ولا يمتدَّ على حِساب حدود الآخرين.

إذن: الذين يدعونه رغبا ورهبا هم الذين يعرفون الحقَّ؛ فلا يعتدون ولا يظلمون أحدا. أي: أنَّهم الطائعون للأخذ بما يجب والمنتهون عمَّا نهى الله عنه.

ولأنَّ الله يمتلك أمر الرَّهبة، فهم ممّا خلق مرهبًا مرتهبون، ولهذا هم واقفون عند حدود الطاعة يدعونه رغبة في كفِّ الشر عنهم والمظالم ولا يحاسبهم بما فعل السفهاء منهم، قال تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}[97].

أمَّا الفاعل النسبي للإرهاب فهو غير عاقل ولذا كلّ ما يأتي من غير العاقل فهو مُرهب، فالحية على سبيل المثال مرهبة ومن بين ممّا تعطيه تعطي سما، والنَّار كذلك مرهبة ومن بين ما تعطيه احتراقا، والقنابل المتنوعة والمتعدِّدة لا يأتي منها إلا تدميرا، ولذا فإن الدلائل في دائرة الممكن تثبت أنَّ وراء فعل الإرهاب فاعل غير عاقل سواء أكان فاعلا بذاته كما هو حال الأفعى أو كما هو حال الصواريخ والأسلحة الشاملة وغير الشاملة، أمَّا الخوف فهو فعل متحقّق بأمر عاقل؛ فالسكِّين على سبيل المثال يُرهب ولكنَّه لا يخيف؛ فالذي يخيف هو من يستطيع أن يُقرّر استخدام السكِّين في غير أوجهه المشروعة، ولذا لا يُعدّ السكّين مجرما ولا مُفسدا ولا ظالما؛ وإنما يعدُّ أداة جريمة، أمّا المجرم هو العاقل الذي استخدمه ومع أن وراء كلّ فعل فاعل إلا أنّه من ورائه عاقل يمكن أن تفاوضه، ويمكن أن تحاوره، ويمكن أن تجادله حُجَّة بحُجَّة، ويمكن أن

[97] الأعراف 155.

تخيفه إذا ما امتلكت مقاليد القوَّة بما هو أعظم، ويمكن أن ترهبه بها عندما تكون القوَّة على كفّتي التعادل المحقِّق للتوازن وإعادة الاتزان.

نقول: هذه المرهبَات التي ترهب من هو عاقل ألا يكون من الأفضل للعاقل أن يتدبَّر أمره في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لما يُمكِّنه من حاضرٍ آمنٍ ومستقبلٍ أكثر أمنًا، فإذا فكَّر في هذا الأمر ليس له بدًّا إلا أن يعدَّ العدّة التي تقيه شرور المخيفَات ومخاطر المرهبَات.

إذن: القاعدة هي: (الشرور مصدرها مخيف) و (المخاطر مصدرها مرهب).

وبناءًا على هذه القاعدة لا علاج للخوف إلا بإعداد العدّة المماثلة لما يرهب، ولا هروب من المخاطر إلَّا بإعداد ما يرهبها، ولهذا فالخوف شرٌّ قد يكون لا بدَّ منه في حالة وجود خائف ومخيف، ولا نهاية للخوف إلا بامتلاك القوَّة وإعداد العدّة المرهبة لمن يعتقد أنَّه سيكون معرَّضا إلى قوَّة مماثلة أو أنَّها أكثر تفوقا.

إذن: فالنتيجة المنطقيَّة من امتلاك وسائل الإرهاب لأنَّها هي المحرِّرة من الخوف والمغالبة بغير حقٍّ.

ولذا؛ يتطلَّب الاتجاه العلاجي بالإرهاب استقراء الواقع ومعطياته، وما فيه من معطيات ودلائل بها يتمُّ استفزاز الآخرين وإرهابهم، وإن أردنا القضاء على الخوف؛ فعلينا بمعًالجة الأسباب والعلل سواء أكانت كامنة في دائرة غير المتوقَّع أو ظاهرة في دائرة المتوقَّع؛ ولأنَّ هذا الأمر لا يُعدُّ سهلا إلَّا أنَّ البحث والتقصي العلمي والموضوعي ضرورة لتحديد الأسباب ومكامنها وعللها حتى يتمّ استهدافها بالعلاج دون ردّة فعل؛ ذلك أنَّ ردّة الفعل تجعل الأمور تسير باتجاه جديد بعيد عن كلّ آليات المعًالجة الصحيحة التي يمكن استخدامها،

فالبناء العام لكلّ ما يجعل الأمور تسير وفق مقتضيات البحث عن حلٍ لا يكون وفق تصرُّف آني بعيد عن القراءة الواعية التي يكمن من ورائها تحقُّق المراد.

إنَّ الطرح العلمي يحيل الكثير من العوائق الصعبة إلى ركام تسير عليه الحياة من جديد، وتُعدّ هذه العوائق الصعبة من الماضي، ذلك أنَّ الاستقراء الصحيح يمنح الأساليب المتعدِّدة والمتنوِّعة الباحثة عن حلٍ نظرة استشرافيه تقدّر الأمور وتمنحها أبعادا جديدة يكون من ورائها إيجاد البدائل، بل إيجاد الحلّ الكلّي الذي يكون من خلاله سلب الكثير من الأحكام التي كانت تعدّ وكأنها شريعة لا يمكن خرقها أو حتى تعديلها، فانقلاب الموازين بهذه الطرق العلمية الصحيحة يكون انقلابا غير مبني على ردّة فعل، فردّة الفعل لا تمنح صاحبها إلا نشوة مؤقَّتة يكون بعدها الخراب الدائم الذي لم يكن بالحسبان، كما أنَّ الاتكاء على التبعيّة يسلب الإرادة التي تكون هي الموجّهة لكلّ أفعال التغيير الحقيقية؛ فالاستقلال التام يخلق كينونة واضحة حين تتخذ القرارات، أمّا التبعية فتكون حاضنة لكلّ ما من شأنه أن يعيد الأمور نحو الوراء؛ فيحصل الانكفاء المربك الذي يكون من ورائه الاستمرار في نفس الدوائر السابقة التي سرعان ما تظهر مرارا وهي تتكرّر أمام العيون لتؤكِّد وجودها غير الطبيعي الذي حصل نتيجة البقاء على التبعية العمياء التي لم تجلب إلا الهوان والذل.

عليه: يكون البحث عن أسس علمية صحيحة باعثًا لإيجاد حالة من الانفراج لكلّ المواقف التي يكون من ورائها العلاج المطلوب؛ فالتعامل المبني على هذه الأسس يغيّر التوجه العام المرتبط بتداعيات يظن أنَّها لا بدَّ من تحقُّقها، فإعداد العدّة والقوّة بأساليب صحيحة يخلق حالة من الاستقطاب المفاهيمي الجديد، والذي يكون باعثا لخلق تنظيرات تؤطّر المتحقّق بأطر جديدة؛ فيكون بذلك الاتساع المفاهيمي المنشود الذي تحصل من ورائه

استمرارية جديدة متواصلة لكلّ ما كان يسير في اتجاهه، وهنا يكون التواصل تواصلا لخلق حدود جديدة بين الخائف والمخيف، حدود تتَّسم بفاعلية متباينة غير ثابتة كما يُعتقد أو بما يجب أن يكون.

ولأنَّ المخاطر تتعدّد في العالم نتيجة امتلاك القوَّة من قبل البعض من جهة وفقدانها من قِبل البعض من جهة أخرى، لذا فإن لم ينتبه العالم بأسره قويّه وضعيفه إلى المخاطر المترتِّبة على امتلاك القوَّة وسوء التصرُّف بها، وما يترتّب عليها من أضرار فلا يمكن أن يلتقي الأنا والآخر على طاولة تفاوض مستديرة، ولهذا لن تنتهي التأزُّمات ولن تزول المخاطر، بل تزداد المخاوف ازديادا، وفي هذا الاتجاه ستظل المخاوف في حالة ازدياد، وسيظل الضعيف ضعيفا وقد يزداد ضعفا، في مقابل بقاء القوي قويا وهو يزداد قوَّة.

وعليه: لا يكون الحلّ إلَّا بامتلاك القوَّة المتماثلة مع القوَّة، فإن امتلك الضعفاء مقاليد القوَّة الخاصة بهم حتى تماثلوا في دائرة الممكن مع الآخرين الذي يمتلكونها إعدادا وعدّة واستعدادا واستخداما، حينها تصبح المعَادلة السائدة بين الأنا والآخر هي معَادلة الإرهاب الشافي من الخوف (الإرهاب الذي به تتعادل كفتي الميزان على شعرة العدل فيه).

إذن: يتّسم العلاج بالمتغيّر، هذه السمة لا تكون وفق الجانب السلبي بطبيعة الحال، بل تكون ضمن الجانب الايجابي، ذلك أنَّ تغيُّره يحيل إلى التفاعل الجاد والحقيقي مع المخاوف الحاصلة وغير الحاصلة؛ فالحاصلة يُرى فيها القوَّة الواضحة التي تخيف والتي يكون وجودها يشغل حيزا في الاستعراض الفعلي الذي يكون في المسرح الواقعي المعلن، وهذه الحالة تكون للرؤيا رحلة استكشافية معلنة، تخوض غمار الحياة بفاعلية واضحة نتيجة تحقُّقها في المواقف الفعلية أو نتيجة تحقُّقها في ساحات التجربة المرئية، فيكون الانطباع منفتحا على أكثر من جهة فيكتنفه ارتباط فعلي يزيل الكثير من التساؤلات

التي تكون بعضًا منها موضعا للشّك مما يؤدّي إلى خلق رؤيا واضحة تبنى عليها آليات العلاج التي يجب أن تكون، فمادام قاعدة البيانات صحيحة وموثقة فالعلاج لا بد أن يستند عليها أوَّلا، وأن يكون محققا للهدف المرجو ثانيا .

أمَّا المخاوف غير الحاصلة فهي حاصلة حين يكون التفكير فيها وكأنَّها متحققة؛ فيكون الإبهام والغموض الذي يكتنف الكثير من الأنباء المتضاربة موضعا لبلورة رؤى كثيرة تتناوشها القراءة المتعدِّدة المنتمية إلى مخاوف عالية الدرجة، فيحصل بذلك التطابق بين هذين الاتجاهين فيولد تعالق ضني ممتد لامتداد حالة الخوف الأوَّلى.

إنَّ العلاج يكون دائمًا وفق تجليات حاصلة فتنكشف بذلك الدوافع والأسس التي يجب أن تكون، فلا يكون للافتعال أيِّ مكان؛ لأنَّ الظهور حاصل، وبهذا الظهور تتشكّل الاستراتيجية التي ستُتَّبع، والتي ستكون الحاضنة لاستيعاب الدوافع والأسس التي سيبنى عليها ما يكون، وبهذا يكون العلاج قد قطع شوطا مهما في إرساء قواعده التي تمنحه تعبيرا حقيقيا للوصول إلى حالة التمكين الكلّي في إيجاد حلول ناجعة وسريعة للبناء وللتصدّي ولاستشراف ما سيكون في المستقبل على سبيل المتوقَّع وغير المتوقَّع، وبذلك يكون هذا الاتجاه محقّقا للعتبة الثانية بعد الاتجاه الوقائي بوصفه حالة متقدِّمة متحقّقة فيها أسس جديدة لدرء ما يمكن أن يحدث.

**ثالثاُ الاتجاه الغائي بالإرهاب:**

يكتنف النهايات الوقائيَّة والعلاجيَّة حالة من التمدُّد الواضح ضمن اتجاهات واضحة تابعة للأسس التي بنيت عليها، وهذا يمثّل بداية الوصول المرتقب إلى حدود واضحة المعَالم تفترشها التنظيرات المنبعثة من أصول حاضنة لعمليَّة الإرهاب من بدايتها، ونحن إذ نرى ذلك فهو من باب الامتداد

المضموني للعمليَّة كاملة دون التوقُّف عند محطات قد يكون مبعثها غير مقنع بما تؤول إليه الأمور في النهاية، والحقيقة التي يجب أن نكون عندها أن النهاية تكون حاضرة عند البداية عند وضع النقطة على مركز البداية، وهذه البداية بطبيعتها تنتمي إلى ما يكون مؤسّسا لها ضمن مواصفات خاصة تتآلف جميعها لبناء صرح متين يواكب الحاضر والمستقبل الواقع ضمن دائرتي المتوقَّع وغير المتوقَّع.

إنَّ التنافر الحاصل في الاستنطاق الماضوي يلبي طموح المستقبل لإيجاد أرضيّة متينة قائمة على خلق غاية حقيقية تكون ملبّية لما يمكن الوصول إليه، وهذا بطبيعة الحال يخلق تعدُّد تنظيري يفتح آفاق البحث نحو دوائر متعدِّدة ومتنوعة؛ فيكون الشاخص منها ذو أوجه عدّة غير قابلة للتبديل إلا حين تبدأ بالنكوص عن أسسها التي بُنيت عليها، والاعتراض الذي يمكن أن يكون هو محاولته إيجاد إضافات جديدة غير منتمية للأسس، تدخل على أنّها حالة استثنائية لا بدَّ من حضورها، وهنا يكون التداخل سمة افتراضية غير منصفة لأنَّها تؤدّي إلى خلق إرهاصات فكريَّة متناحرة تقود الموصل للغايات نحو نهايات عقيمة يكتنفها غموض يجعل منها أشبه بأعشاب البحر حين يكون وجودها غير مرغوب فيه أبدا.

ولذا؛ يكون الاتجاه الغائي اتجاه تتويجي لكلّ الامتدادات التي سبقته بكلّ تفاصيلها والتي ستكون حاضرة عند الخوض في التفاصيل الصغير قبل الكبيرة، وهذا يؤدّي إلى حلحلت الكثير من التساؤلات التي باتت مركونة في زوايا بعيدة عن الامتثال المرافق، ذلك لأنَّ التداعيات الحاصلة تتأبط ذراع الحياة لتقودها نحو خلق بينية متعدِّدة تفسح المجال للملمت الكثير من الخطوط المتنوِّعة أيّا كان انتماؤها، وهذا يغدق الكثير من التشعبات التي تمنح الفاعلية

الترابطية للاتجاهات؛ فلا تكون هناك بعثرة بالشكلّ الذي يغلق كلّ الأبواب؛ إنَّما تكون هناك بعثرة مقصودة يُراد منها إيجاد مسوغات للطارئ المفاجئ .

عليه: يكون الاتجاه الغائي بالإرهاب النهاية التي يسقط عندها كلّ ما من شأنه أن يغيِّر الأصول الأوَّلى التي بُني عليها؛ فهو الذي ترتبط اتجاهاته كما نعتقد باستمرارية إفضائية تتَّسم بالحيوية في خلق حالة من التواصل ضمن أبعاد مدروسة ومتيقظة لكلّ ما يحيط بها، ذلك أنَّ الإرهاب يخلق صيرورة دائميّة من الإحساس العالي بكلّ ما يدور في أفلاك الحياة من توافقات واختلافات؛ فيبحث فيها من أجل البقاء على تواصل مستمر يلبي الغاية التي ينشدها، وهنا يكون الحال متجذرا تجذُّرا بعيدا ليحاول أن يصل إلى الروافد التي تمنحه سمة الاستمرارية وإن كانت غير مرتبطة بالتجميعية المطلوبة، وهذه حالة يكون الانفراج فيها واقعا ضمن درجات متفاوتة؛ لأنَّ السمة الاعتبارية للإرهاب هو البقاء تحت أيِّ غطاء وتحت أيِّ مسمى، ونحن لا نريد أن نتركه جانبا حتى إذا وصلنا إلى الغاية المنشودة التي تكون فيها النهاية شاملة للبداية الافتراضية المطلوبة.

فالاتجاه الغائي بالإرهاب هو ذلك المسار الذي يتطلَّب نهجا مؤسّسا على مبادئ:

1- أخلاقيَّة.

2- شرعية.

3- قانونية.

والغاية في مفهومها هي ذلك البعد الذي إذا ما تمَّ بلوغه انعدم وجود الفوارق والاختلافات والصراعات والصدامات، وانعدمت من قبل ذلك كلّ العلل والمبررات التي كانت من ورائه، فتتحرَّك الأمور نحو اتجاهات واضحة

المعَالم تحيلها إلى أسس مترابطة تكون مرجعا جديدا يحاول أن يخلق حالة من الامتداد المستمر الذي يلبّي الطموح المراد؛ فالنتائج حين تكون موافقة لكلّ البدايات تكون مدعاة للتأمُّل والإحالة إلى الجذور الأوَّلى حتى يتسنّى استمرارها وفق معايير قد تكون جديدة إلَّا أنَّ جملتها لا تخرج عن المراد المطلوب، ولذا فإنَّ بلوغ الغايات هو المترتّب على تحقيق الحلول؛ فكما أنَّ الزواج حلٌ لمشكلّة العزوبية والطلاق حلٌ لمشكلّة سوء التفاهم أو عدم التكيّف أو عدم التوافق، فكذلك إعداد العُدَّة حلّ لمشكلّة الخوف، وكذلك إعداد العدة التي ترهب الخصم أو العدو تُعدُّ حلّا، ولكن لسائل أن يسأل:

ما هي الغايات التي تكمن وراء ذلك؟

أقول:

إذا كان الزواج حلًّا ألا يكون وراء ذلك بقاء النوع الإنساني الذي كتب عليه الاستخلاف في الأرض وإصلاحها وإعمارها حتى لا يكون سفك الدماء فيها بغير حقّ هو الغاية، وهكذا إذا كان الزواج هو الوئام واستمرار النوع البشري، ألا يكون الطلاق حلًّا لعدم وجود التوافق والتكيّف؟ ولذا فإنَّ هذا الحلّ قد يحقّق التوافق والتكيّف بين الزوجين بحياة اجتماعيَّة أفضل لكلّ منهما، وهذه الغاية الإنسانيَّة هي المحقّقة للرضا والمودة والتآخي دون إكراه أو إرغام، ودون مظالم أي بغاية إحقاق حقّ وإدغام باطل وزهقه، ودون أن يكون أحد الطَّرفين ساحق أو مسحوق (ظالم أو مظلوم)، وهنا نقول: أنَّ الغايات هي مكامن السَّلام والأمن والطمأنينة والمساواة التي فيها تشبع الحاجات دون منقوص.

عليه: الغاية من كلّ ذلك هو أنَّ الإنسان قيمة في ذاته يجب المحافظة على هذه القيمة تقديرا واعترافًا واعتبارا واحتراما؛ ولأنَّ الله تعالى خلق الإنسان

في أحسن تقويم إذن ألا تكون الغاية من وراء كلّ ذلك هو المحافظة على حُسن التقويم قولا وعملًا وفعلا وسلوكًا.

وعليه: فإنَّ الغاية المترتّبة على المبادئ (الأخلاقيَّة والشرعيَّة والقانونيَّة) هي تحقِّق الآتي:

1- التوافق.

2- الانسجام.

3- الطمأنينة.

4- الرّضا.

5- نيل الاحترام.

**أبعاد الإرهاب:**

إنَّ المرتكز الذي ننطلق منه في قراءة حقيقة الإرهاب كما نؤمن بها بناءً على النصّ القرآني مرتكزٌ فكريٌ ومنطقيٌ، حيث نعتقد أنَّ القرآن قدّم الإرهاب على أنَّه حلٌ لا مشكلة، لاعتقادنا أنَّ القرآن في كلِّ آياته يقدِّم حلّا لكلّ مشكل، وبناءً على هذه القناعة الفكريَّة والمنطقيَّة نقول:

. إنَّ تحقيق الإرهاب بإعداد العُدّة يعني منع العدوان بكلِّ أشكاله وصوره.

. إذا مُنع العدوان فلا شكَّ سيحلُّ السَّلام.

. إذا حلَّ السَّلام تحقّقت الآمال بصناعة مستقبلا أفضل.

ولذا ستكون النتيجة المتحقِّقة مرضية وفقًا للأبعاد الآتية:

البعد السياسي.

البعد الإنساني.

البعد النَّفسي.

البعد الاقتصادي.

**أوَّلًا: البعد السياسي:**

تُبنى السياسات المثلى في ظلِّ ظروف طبيعية حين يسود الأمن والسَّلام، وتختفي الضغوطات بكلِّ أنماطها، وتُحلُّ كافة العقد، وتتلاشى جميع التَّأزُّمات، وهذا لا يمكن أنْ يتحقّق إذا لم يتحقّق مبدأ منع العدوان بإعداد العُدّة المرهبة التي تُفضي إلى تلاشي أسباب الخوف، واختفاء أيّ أثر للمخيف على الفرد أو الجماعة أو المجتمع، حيث يشعر الجميع وعلى كلِّ المستويات بأنَّه لا عدوان يلوح في الأفق أو يتهدّد الحدود أو ربما يُضمر في الأروقة السوداء.

إنَّ الأجواء المشحونة بالتَّأزُّمات بأثر الخوف والمخيف لا يمكن أن تخلق فكرا سياسيًّا ينتج تنظيرات سياسيَّة يمكن أن تُرسم في ضوئها سياسات مفيدة ومثمرة على أرض الواقع، بل ستُملى سياسات مرتبكة وفقيرة من خلال الكم الهائل من التسويق الإعلامي والسياسي للتَّأزُّمات الحقيقة والمفتعلة على حدٍّ سواء ممّا يجعل السياسات الخاطئة أمرا واقعا لا مناص من الإذعان لهفواته وزلّاته وربما كوارثه.

ولكن فما هو الحلّ؟

الحلّ كما نعتقد يكمن في أنْ يتحقّق السَّلام، ولكن متى يتحقّق السَّلام؟

أقول:

عندما يتحقّق الإرهاب بفعل العُدّة المعدَّة للتخلّص من الخوف.

ومتى يُنتزع الخوف من الصدور؟

أقول:

عندما لا يكون للعدوان وجود داخل الحدود وخارج الحدود.

وعليه: متى ما تحقّق الإرهاب أصبح السَّلام أمرا واقعا، الأمر الذي يفضي إلى أن تكون السَّاحة السياسيَّة خالية ونظيفة من كلِّ التَّأزمات ومن تبعاتها المؤلمة التي تؤدّي في بعض الأحيان بأبناء الوطن نحو الهلاك والهاوية تحت عنوان أزمة، أو تدخُّل، أو لعب دور، أو غير ذلك من المفتعلات السياسيَّة التي تسود مخالفة للشرائع.

وحتى لا تسود المظالم وتعمّ فإنَّ إعداد العُدّة هو القوَّة التي تواجه من يكون مصدرا للخوف، وهي التي تضع للتطاول حدود، من خلال ما تضعه من إشارات قف أمام من تسوِّل له نفسه وفقًا للآتي:

1- تأسيس قاعدة (نحن سويًّا).

مع أنَّ قاعدة (نحن سويًّا) مُعطية إنسانيَّة أخلاقيَّة فإنَّها في بعض الأحيان لا تسود داخل الوطن، ولا تسود بين الأنا والآخر الخارجي؛ ذلك بأسباب امتداد الأنا على حساب الحيِّز الخاص بالآخر؛ فيضايقه في حركته وسكونه، في مأكله ومشربه، في منامه وصحوته، ممّا يدفع الآخر على المستوى الداخلي أو الخارجي إلى إعطاء التنازلات بداية من أجل تفادي الشرور المعلن عنها صراحة أو ضمنا، ثمّ بعد ذلك يُعلن نفاقه وبقوَّة للآخر الذي كلّما تمادى في ضغوطه غير المشروعة قرّب زمن التمرّد والثورة التي تأكل اليابس والأخضر إذا ما حدثت المواجهة.

ولذا؛ فإنَّ قاعدة (نحن سويًّا) قاعدة مؤسَّسة على بناء الذات العامَّة من حيث العلائق الطبيعية بين النَّاس وعلى الموضوعيَّة من حيث وجوب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليَّات.

وذلك لأنَّ الذات مجال علائقي اجتماعي ينمو فيه الضمير جنبًا إلى جنب مع نمو العاطفة، وتتّسع فيه دائرة المعارف على مستوى الأسرة والقرابة والجيرة والأصدقاء، وتتّسع إلى أن تشمل دائرة المجتمع أو الأمَّة بحالها، وعندما تكتفي ثقافة الفرد بهذا المستوى ولا تتطلّع إلى معرفة ما هو أوسع وأكبر، عندها تتمركز شخصية الفرد على الذاتية ولا تفكر في غيرها.

لذلك على الذات أن تتحوَّل من أنانيتها إلى موضوعيَّتها، وهذا يتحقّق في حال أحسَّت الشخصية بأنَّها في حاجة إلى المزيد المعرفي والمزيد العلائقي، والمزيد القيمي؛ فهي في هذه الحالة ستمتد إلى مرحلة ما بعد الذاتية، فتدخل قاطع ذاتية تميل إلى الموضوعيَّة الذي يمدُّها بالمزيد من الرّضا النَّفسي والعاطفي والأخلاقي، ويحقِّق لها الإشباع الذي كانت تفتقده في مرحلة قصور معًارفها على الذاتية، ثمّ بعد ذلك تكوّن روابط مع الآخر فتؤسِّس قاعدة (نحن معًا).

ومن المهم في تأسيس قاعدة نحن معًا أن يكون الأنا والآخر ملتقين على المشاركة الفعَّلة في رسم السياسات بعد أن تهيأت ظروف مشاركة المعية المؤسَّسة لقاعدة (نحن معًا).

إنَّ قيم (النحن) هي قيم استيعابيَّة، تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصب بلا حُجَّة وبرهان، ولهذا أصبح حال لسان العرب نحن العرب، ولسان حال المسلمين نحن المسلمون، وأهل الغرب نحن الأوروبيين. فالمنطق الذي جعل حال لسان الشعوب والأمم حال خصوصياتهم هو الذي جعل منهم طرفين في مواجهة كلّ منهم للآخر وذلك

لأنّ كل منهم متمسّك بخصوصيته وهو يأمل أن تعمَّ الآخرين، ولذا فإنّ هذه المفاهيم لن تجد مكانا عاما يستوعبها بين الأنا والآخر دون أن يمتد أحدهما على حِساب الآخر، ولسائلٍ أن يسأل:

ما جدوى تحقّق قاعدة نحن سويًّا في مجال السياسيَّة؟

أقول:

الأمر لم يعُدّ سهلًا، ولا مُيسّرا بما أنَّ السائد هو مجموعة من القواعد منها:

. أنا فقط.

. أنا أملك ما أشاء، وأنت لن تمتلك شيئًا.

. أنا الزّعيم ولا زعيم معي.

. أنا الرّئيس وغير تابعين مرؤوسين.

. أنتَ مغيّب ومُقصى وأنا السيّد في الميدان.

. أنا أمتلك القوَّة وأنت عِش ضعيفًا.

. أنا نقرّر وأنت تسري القرارات عليك.

. أنا أُحاسب ولا نحاسب.

. أنا من حقي أن أغضب وأنت من واجبك امتصاص غضبي.

هذه السياسات أنتجت الخوف، وأشعلت نيران الغضب في الأنفس، وجعلت من المواطنين منافقين يقولون ما لا يفعلون، وجعلت من الخائفين يعملون سرا وعلانية على الثورة التي تُغيّر الواقع المؤلم بآخر شافي من الآلام. هذه السياسات هي التي جعلت من القاصي يترقّب متحين الفرص المناسبة

للغزو وسلب خيرات الأوطان الضعيفة التي لم تمتلك القوَّة التي تُرهب الآخرين وتجعلهم يفكرون فيما لا يُحمد عُقباه لو لم يُقدِّروا خطورة المواقف المترتِّبة على العُدّة التي تمّ إعدادها قوّة.

إذن: لو سادت قاعدة (نحن سويًّا)، لوَجَدَتْ كثيرًا من التوجيه والتهذيب من خلال مشاركة الأنا والآخر في دائرة (النحن سويًّا)، وبهذا يتمّ امتصاص اندفاع الأنا عاطفيا وسلوكيًّا ونفسيًّا، فتتحول بهذا المشاركة (نحن سويًّا) باتجاه عقلانية القراءة وموضوعيَّة التفكير والسُّلوك والتصرُّف والاحتكام الموضوعي.

إنَّ غياب الإرهاب بحقيقته هو كما هو وسَّع مساحة القبول بتفرُّد الأنا واستبعاد النحن معًا، وذلك كله تحت تأثير الخوف والمخيف الذي يسود عندما لا يتحقّق الإرهاب على أرض الواقع، حيث يسهم الخوف في إسكات الأصوات المعَّارضة لتفرّد الأنا بأنانيتها، كما يسهم الخوف في التعتيم على دور النحن ممّا يجعل تطبيق قاعدة (نحن سويًّا) أمرا شبه مستحيل، ولكن الإرهاب المتحقّق والمزيل للخوف والمحقّق للطمأنينة يمكن أن يسهم إسهاما كبيرا في تطبيق قاعدة (نحن سويًّا) في المجال السياسي بما يسمح بمشاركة النحن معًا في الأوامر، والصلاحيَّات، والخطط المستقبلية، وكلّ ما يمكن أن يدخل في دائرة السياسيَّة خارجية كانت أم داخلية.

2- الاستيعاب بين الأنا والآخر.

الاستيعاب قيمة احتوائية لا إقصائية، تعتمد تقبل الآخر والاعتراف بوجوده وبممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته. ولذا لا تتمّ دراسة الأوضاع السياسيَّة، ولا تُحل المشاكل بين النَّاس إلا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب ويؤدّي إلى التفاهم.

ولذا؛ فالاستيعاب يُمكِّن السياسي من الإلمام بالموضوع ومتغيراته السلبيَّة والإيجابيَّة المؤثِّرة فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، ويُمكِّنه من التشخيص الموضوعي لمجمل القضايا السياسيَّة التي يجب عليه متابعتها واتخاذ القرارات المناسبة لها، دون أن يغفل السياسي عن الآتي:

أ ـ استيعاب الإيجابيَّات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة، تمكنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها.

ب ـ استيعاب السلبيَّات، وتحديدها، وإبراز عيوبها وأسبابها والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

ج- إنَّ الاستيعاب قيمة احتوائية، تقبل بالاختلافات وتعمل على احتوائها. ولأنَّ من طبيعة الخلق أنهم لا يتساوون في القدرات والاستعدادات والمهارات ولا حتى في الرغبات والحاجات، ولا في درجة الفهم والمعرفة، لذا فمن الضرورة سيكون الاختلاف الذي يستوجب التقدير، حتى تتمم الفروق الفرديَّة بين النَّاس بعضها بعضًا. ولهذا كلّ مفردة هي في حالة نقص، ولا تستكمل إلا بآخر يستوجب الاستيعاب. وإن لم يحدث الاستيعاب تصبح الفرقة بين النَّاس هي السائدة، ولأجل ذلك فإنَّ قيم ممارسة الديمقراطية في المجال السياسي هي التي تمكّن من الاستيعاب. وبدونها لا يمكن أن يتحقّق التفهم والتفاهم بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

3- اتخاذ القرار المناسب للموضوع المناسب.

يُتّخذ القرار أيّ قرار على مستوى المسؤوليَّة وفقًا لمعايير موضوعيَّة ومعطيات أو مسلّمات وإمكانات ومتطلبات ورغبات وحاجات متطوّرة من أجل تحقيق الإشباع الحقّ.

ولكن في كثيرٍ من الأحيان وخاصة عندما لا تتعادل القوّة ولا يتوازن مصدر القرار في اتخاذه بمبررات غير موضوعيَّة، تشتعل نيران الفتن، وقد تكون الصدامات والنزاعات الدامية بين قبائل وطوائف وأحزاب الوطن وطبقاته من أجل تحقيق أفعال المغالبة والإقصاء الداخلي، وقد يكون الصراع والاقتتال بين الأنا والآخر بأسباب عدم توازن القوّة ممّا يجعل الطمع سائدًا في نفوس الأقوياء والضعف راكنًا في نفوس الضعفاء المطموع فيهم أو في خيراتهم وثروات أوطانهم، ولذا لا حلّ لمشكلة الخوف على المستوى الداخلي والخارجي إلا بالعمل الذي يُمكِّن من امتلاك القوّة عُدَّة وعتادا واستعدادا و تأهبا على الرباط.

لاشكّ أنَّ البعد السياسي للإرهاب يُمكّن كلَّ المتعاطين بالسياسة من أخذ كامل وقتهم في دراسة القضايا المختلفة من أجل وصولهم إلى مرحلة مهمة يُعدُّ تحقيقها مطلبًا وطنيا وعلى كلِّ المستويات، وفي هذه الحالة يتمُّ فيها اتخاذ القرارات المناسبة للموضوعات المناسبة في الأوقات المناسبة، وهذا يتحقّق عندما تتدرّج القرارات على سلم التخصص من بدء التفكير مرورا بصياغة القرار وصولًا إلى إعلانه.

ولكن المتحقّق أن كثيرًا من القرارات غير المناسبة للموضوعات غير المناسبة في الأوقات هي تتخذ من قبل السياسيين تحت تأثير الخوف والمخيف، هذه الحقيقة تحيلنا إلى تأكيد قناعتنا بأنَّ الإرهاب يمكن أن يكون من أهم المؤثرات الإيجابيَّة في السياسيَّة لأنَّه يحقق التوازن، ويُدخل الأمن والاطمئنان، وهو بذلك يزيل أثر الخوف من المخيف، الأمر الذي يهيأ أرضية صلبة تستند عليها القرارات المناسبة للموضوعات المناسبة في الأوقات المناسبة.

4- الشّخص المناسب في المكان المناسب.

الإدارة الناجحة والمتميّزة هي التي تؤسّس على العلم والمعرفة والخبرة والمعياريّة، ولا تؤسّس على المعارف والأقارب وبطانة حكومة الظل التي دائمًا

هيّ تُقدِّم مصالحها على مصلحة الوطن والمواطنين؛ فتكون سياساتها سائدة بالإكراه تحت تأثير الخوف والمخيف نحو تنصيب أشخاص أملتْ الظروف تقديمهم على غيرهم من المختصين ومن المؤهلين معرفيا وسياسيًّا، وكلّ ذلك معلَّق على كاهل الخوف من المخيف، وعلى الاعتداء الوشيك، وغير ذلك من المبررات التي تبرّر استخدام من يكون مناسبا في المكان غير المناسب.

ولكن عندما يتحقّق الإرهاب ويأخذ كامل أبعاده ومنها بعده السياسي فإنَّ الأمر المسلَّم به هو أن تنتفي الحاجة للاستعانة بغير المناسبين للمناصب التي يجب أن يتولاها أُناس من أصحاب الخبرة والكفاءة التي تؤهلهم للقيام بواجبهم على أكمل وجه، وبهذا يكون الإرهاب مؤثرًا ايجابيًّا على الصعيد السياسي؛ وذلك بأن يتمَّ اختيار الشّخص المناسب في المكان المناسب.

والأمر هنا لا يتعلّق بشخصانيّة الشّخص المناسب، بل بمردود أن يتولى الشخص المناسب المكان المناسب، حيث يؤتي هذا الأمر ثماره على الفرد والجماعة والمجتمع على حدٍ سواء، وفي كلِّ مجال تنتظم حلقات التواصل بين المختصين في كلِّ المجالات لتكون الدولة العصرية التي تقدم لأبنائها أرقى الخدمات في مجموع المجالات السياسيَّة والصحية والاقتصاديَّة والأمنية والتجارية وغير ذلك، ممَّا يؤمِّن حياة رغيدة للجميع، بل وتتجاوز ذلك لتكون دولة مؤثِّرة ايجابيا في وسطها الإقليمي والعالمي.

5- وجوب اختفاء الاستثناءات.

الاستثناءات خروج عن القواعد المتعارف عليها في تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمع، من قوانين الطوارئ، والتعصّب بغير حقّ للطائفية والعرقية والقبلية والعنصرية والحزبية وما شابهها، ولكن لو تعادلت كفتي الميزان بالقوّة المرهبة بين طائفة وطائفة، وقبيلة وقبيلة، وأمّة وأمّة أخرى

لكان الأمر غير الأمر الذي هو عليه شأن الحكومات المؤسَّسة على الاستثناءات لا على القواعد؛ فالطائفة أو القبلية عندما تعتلي رئاسة الدولة تُسخر كلّ شيء لخدمتها وتواجه كلّ أحدٍ إن طاب بالمساواة في شؤون الدولة التي هي ملك للجميع.

ولذا؛ لو تحقَّق الإرهاب وأخذ كامل أبعاده في المستويات كافّة، لما كانت أيّ ضرورة لطرح قانون الطوارئ الذي يجعل أبناء الوطن تحت عبء سيادة المخاوف، فإذا اختفى الخوف فلن يكون هناك مبرّر لهروب النَّاس نحو طوائفهم وقبائلهم وأحزابهم وطبقاتهم طلبا للحماية من الخوف والمخيف.

ولذلك؛ إذا تمّ إعداد العُدّة المرهبة لمن كان مخيفًا بغير حقّ نتج في البعد السياسي مجموعة من المترتّبات منها:

أ ـ التوازن والاعتدال.

ب ـ التخلّص من مشاعر الخوف.

ج ـ تقبّل الآخر.

د ـ التمكّن من كسر احتكار القوّة.

هـ تحقيق المساواة في ممارسة الحقوق وفقًا للقدرة والاستطاعة والتخصُّص والاختصاص.

و ـ تحقيق المساواة في أداء الواجبات وفقًا للدور والوظيفة والتخصص والاختصاص والصلاحيَّات.

ع ـ تحقيق المساواة في حمل المسؤوليَّات على المستوى المهني والمستوى الحرفي ومستوى رأس الدولة وأدواتها المتفرعة.

**البعد الإنساني:**

تمرُّ الإنسانيَّة بمرحلة حرجة، يُمكن أن تُقسّم فيها دول وشعوب وأمم، إضافة إلى تقسيماتها السابقة؛ فداخل الأمّة الواحدة طوائف وأحزاب عقائديّة وشيع بأسباب وجود خائف ومخيف، وما يتبع ذلك من مشكلات إنسانيَّة تتفاقم يوما بعد يوما، ولذا في كلّ يوم نسمع أو نشهد اقتتالا أو حربا بين طائفتين أو عرقين أو دولتين أو أكثر وذلك بأسباب انتشار المظالم والمفاسد بالقوَّة.

وعلى المستوى الإنساني ما لم يتمّ القضاء على أسباب الخوف سيظل الصراع والصدام وسفك الدّماء سائدًا بغير حقّ، أمَّا إذا ما تمَّ القضاء والتخلص من أسباب الخوف بامتلاك زمام القوَّة على المستوى الفردي والجمعي تصبح العلاقات بين الأفراد علاقات ندّ لندٍّ حيث يكونون في حالة تساوٍ في الأخذ بما يجب، والامتناع عمّا لا يجب وفقًا للقاعدتين الآتيتين:

قاعدة: (يسود التقدير بسيادة الطمأنينة).

قاعدة: (ويسود الاعتبار بسيادة الاعتراف بالآخر).

وعبر التَّاريخ والعصور شهدت الإنسانيَّة قيام صدامات وصراعات واعتداءات وخصومات على الحدود، وداخل الحدود، هذه الصراعات لن تنتهي ولن تقف عند حدٍّ ما لم يتمَّ الاعتراف بحقوق الأفراد والجماعات والمجتمعات ويتمّ تمكينهم من ممارسة حقوقهم، فإذا ما تمَّ ذلك تمَّ استرجاع الثقة في القرارات الإنسانيَّة، وإذا ما تمَّ ذلك أيضًا ساد التسامح والوفاق والتفاهم والتفهُّم الذي يؤدّي إلى تحقيق البعد الإنساني للإرهاب الذي تُقدَّر فيه المرأة كما يُقدَّر الرجل، ويُقدَّر الصغير كما يُقدَّر الكبير ويُقدّر الأسود كما

يُقدَّر لأبيض، وفيه تُقدّر الأديان وتنتهي لغة الإكراه بين النَّاس التزاما بقوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[98]، الأمر الذي يفضي إلى تحقيق وحدة الإنسانيَّة، ويتمُّ تقدير القوَّة ولا يخاف منها، وتسود حقيقة أن نكون أنا وأنت أقوياء، لا أن تكون أنت ضعيف وأنا قوي مستأسد عليك، فالأمر إن كان كذلك كان الخوف هو السائد بين خائفٍ ومخيف، ولذلك لا يمكن التخلّص من الخوف إلا بامتلاك القوَّة، ومن لم يصح بعد سيجد نفسه في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع مطالب بالمزيد من التنازلات مهما ظنّ أنّه لازال قادرا على إعطائها، ولهذا الصحوة وحدها هي المنقذ لمن لم يصح بعد.

وإذا امتلك الضعيف القوَّة وأعدّ عُدّتها أوقع في نفس الآخر الرَّهب الذي يُمكّنه من المشاركة والتفاهم أو حتى الاندماج، ولكن أي اندماج؟ إنّه اندماج القوَّة مع القوَّة، وليس اندماج الضعيف في القوي، ولذا يجب أن تكون قوَّة الأنا وقوَّة الآخر في مستوى الاندماج لا في مستوى المواجهة والتصادم، الأمر الذي يفضي إلى تشكُّل قوَّة مهيبة، هي أوَّلى بالتقدير والاحترام، لا قوَّة تكون مصدرا للإخافة والتهديد بالاعتداءات والمظالم ومغالبة الضعفاء.

وهكذا فإنَّ تحقّق الإرهاب المانع للعدوان يأخذ بعده على المستوى الإنساني بما يحقّق من منجزات على الصعيد الإنساني ومنها:

1-الاستقرار.

يتحقّق الاستقرار على المستوى الإنساني عندما يتحقّق الاطمئنان، وتعمَّ العدالة الميدان العام بيعا واشتراءً، ونظما وتقنينا، وفضائل خيّرة وقيم حميدة، ويتحقّق في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع الإشباع في كافة المستويات؛ ذلك أنَّ المخاطر تأتي، أو تظهر الإشكاليات من فقدان مشبعات

[98] الكافرون 6.

الحاجة المتطوِّرة؛ ولذلك لا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع، ولهذا فإنَّ الجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، والإشباع والأمن والرّضا والسير وفق قواعد تنظيم المجتمع (أديانه وأعرافه وقيمه وتفصيلاته) هي الأخرى ذات علائق.

ولذا؛ يترتّب استقرار الأوطان وأمنها في دائرة الممكن المتوقَّع عندما تُشبع الحاجات ويستقر الأمن وتشبع حاجات الأفراد والجماعات والمجتمعات، ويصبح للدّولة هيبة مُقدّرة في نفوس مواطنيها. وفي مقابل ذلك تحدث القلقة والعرقلة، وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع عندما لا تُشبع الحاجات المتطوِّرة ولا يستقر الأمن للأفراد والجماعات والمجتمعات؛ فتفقد الدولة هيبتها من نفوس المواطنين.

هنا يمكن أن نتساءل:

. هل يمكن أن يسود الاستقرار بوجود الخوف والمخيف؟

. أليس الإرهاب الذي هو مانع للعدوان هو ذاته المانع للخوف وأسبابه؟

إذن: ألا تكون الحاجة إلى تحقيق معّادلة الإرهاب ضرورة؟

2-التسامح

التسامح إعلان المودة والمحبة بين النَّاس، وتجنب الفتن معهم من أجل علاقات مُرضية وطيبة. يقول فولتير "أنا أكره ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقِّك في أن تقوله" ولهذا من الفضائل الإنسانيَّة، وجوب التسامح مع الآخر في الثقافة، والدين، والمعتقد والعرف. ولذا إذا لم تَسُدْ قيمة التسامح بين الأفراد والجماعات والمجتمعات لا يمكن أن يسود الاحترام والتقدير بينهم.

وبسيادة الإرهاب وامتداد أبعاده إلى المستوى الإنساني يكون التسامح الذي يعدُّ من المبادئ المؤسَّسة للعلاقات الطبيعية والطيبة بين أفراد المجتمع سائدًا في بنية العلاقات الاجتماعيَّة، الأمر الذي يخلق مناخا من الارتباط الإنساني في كافة المستويات.

3- الرفاه

الرفاه هو تمتّع الإنسان بكامل احتياجاته بيسر ودون صعوبات تمنع تمتُّعه بالإشباع، ويتمُّ تحقيقه عندما يتّجه العمل نحو إشباع الاحتياجات الضرورية، والامتداد إلى ملامسة الكماليات منها، استجابة لرغبات وطموحها أفراد المجتمع، في حياة اجتماعيَّة وإنسانيَّة متطلّعة إلى ما هو أنفع وأفيد وأجود وأفضل.

والرفاهيَّة قيمة تربط الإنسان بطموحاته وأمانيه، والكلُّ يسعى إلى بلوغ الرفاهيَّة، حتى الماركسيَّة في زمانها كان غرضها من الشيوعيَّة هو أن يبلغ الإنسان الوفرة، ليعيش ويرى الرفاهيَّة بأمِّ عينيه، والرأسماليّة هدفها أن يعيش الإنسان الرفاهيَّة، وتلغى فوضى الإنتاج والبطالة من خريطة النظام الرأسمالي. وما نلاحظه على ذلك أنَّه عندما سقط النظام الماركسي تحوَّل بداية من حالة التوازن بفعل الإرهاب الذي كان متحقّقًا على أرض الواقع بين الرأسماليّة من جهة، والشيوعيّة من جهة أخرى، إلى حال من الخوف الذي عمَّ الدولة والمواطنين على حدٍّ سواء، ثمّ بعد ذلك في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تمَّ استرجاع القوَّة على مستوى روسيا التي تمتلك القوَّة المرهبة لمن تسوّل له نفسه أن يعتدي أو حتى يَسخر أو يظن.

وعليه: بما أنَّ هناك خائفًا ومخيفًا بمظاهر مختلفة منها الأجرة والفقر والبطالة والجريمة فلا يمكن أن تعيش الشعوب الاستقرار والطمأنينة، وستظل الرفاهيَّة بالنسبة لتلك الشعوب الخائفة أملا بعيد المنال، إلَّا إذا تحقّق الإرهاب

على أرض الواقع الإنساني قوّة اقتصاديّة وعِتاديّة مع وافر الاستعداد والتأهُّب، حينئذ سيتحقق نظام العدالة الاجتماعيَّة؛ الذي تمارس فيه الحقوق وتصان بإجراءات قانونية ودستورية، وتؤدّى فيه الواجبات وتصان هي الأخرى بضمانات لا تُهز مع أوَّل هبة ريح (تغير مفاجئ) وتُحمْل فيه المسؤوليَّات بكلِّ إرادة.

4- الإصلاح والإعمار والكفِّ عن سفك الدماء.

لاشكّ أنَّ الإصلاح مطلب إنساني، يهدف إلى إعمار الأرض، ويجعل قيم الحقِّ والعدل سائدة بين النَّاس، ولا مكان لسفك الدماء على الأرض بغير حقّ.

إنَّ تحقيق الإصلاح أمر لا يمكن حصر إيجابيّاته، بل يمكن القول: إنَّ الإصلاح المتحقّق ببعد الإرهاب على المستوى الإنساني يمكن أن يكون حلا لأغلب مشكلات الإنسان.

ومن الإصلاح ظهور الإعمار على الأرض متمثلًا بصور التطوير والتجديد والجديد، وهذا كلُّه بفعل تأثير عدم وجود الخوف والمخيف الأمر الذي يفضي انصراف كافة الجهود الفكريَّة والمادّيَّة صوب هدف مشترك يجمعها وهو الإصلاح، وعندها لن يكون هناك سفك للدماء إلا بالحقِّ، وتنتهي عندها كلّ المؤثرات التي تدفع باتجاه سفك الدماء بالباطل بأثر الخوف من المخيف.

**الإرهاب على المستوى الإنساني.**

ما من شكٍّ أنَّ للفعل والعمل الموجب فوائد، وفي مقابل أنَّ للفعل أو العمل السالب أضرارًا، ومن منطلق اعتقادنا أنَّ الإرهاب موجب لأنَّه مانع

للعدوان والظُّلم؛ فهو بذلك يهدف إلى تحقيق فوائد على الصعيد الإنساني منها:

أ- الاعتراف بالأخر وتقبله.

الاعتراف قيمة إثباتيه بوجود الآخر الذي له من الأهميَّة ما يساوي أهمية الآخرين، وهي القيمة الانتشارية التي يرغب الكلّ في نيلها من الكلِّ، فهي تربط الفرد بالمنزلة، وتربط الخصوصيَّة بالمكانة. ومع أنَّ العبودية من محرّمات الديمقراطية فإنَّ الذي تجبره الحاجة بقبول العبودية، يريد هو الآخر أن يعترف له سيده بأنَّه عبد ناجح؛ ولذلك فإنَّ جميع النَّاس يريدون نيل الاعتراف من الجميع. ولذا يحاول الوالدين أن يخلصا في رعاية أبنائهما، وذلك لكي ينالا منهم الاعتراف. ويحاول الأبناء أن يكونوا صالحين لكي ينالوا الاعتراف أوَّلا من آبائهم، وثانيًا من الآخرين. وهكذا المسؤول الديمقراطي يكد ويجد لكي ينال الاعتراف من ذوي العلاقة به، وفي مقابل ذلك نحتفظ بأنَّ لكل قاعدة شذّ.

وكذلك يجب تقبُّل الآخر؛ فالتقبُّل هو استعداد نفسي لإعطاء الآخر حيِّز من الاستيعاب وفسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين الأنا والآخر.

ولذا؛ ينبغي أن يتمّ تقبل الآخر هو كما هو، لا كما ينبغي أن يكون عليه؛ فما ينبغي أن يكون عليه هو هدف قابل للتحقّق دون إكراه، ويتمركز مبدأ حق التقبّل على الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واحترام معًارفه وثقافته والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب ثمّ التطلُّع به إلى إحداث النقلة التي تمكّنه من معًايشة المستقبل الأفضل الذي كان يأمله.

وحقّ التقبّل حالة تبادليَّة بين الأنا والآخر، فكما هو حقّ على الآخر للأنا، فهو أيضًا حقّ له؛ ولذا فحقّ التقبُّل فعل إرادي تكفله القيم الإنسانيَّة

لكلِّ إنسان حتى يتمكّن من أداء واجباته وحمْل مسؤولياته برغبة. ولاشكَّ أنَّ تحقيق الإرهاب يجعل من التقبُّل قيمة سائدة بين الأوساط الإنسانيَّة.

ب- اعتبار الآخر وتفهَّم ظروفه.

الاعتبار قيمة معرفية تربط الوجود بالمكانة، كما يرتبط التَّاريخ بالعبر. النظر فيها لا يُغض بين الأنا والآخر، وفيها لا مكانة للاستهانة التي تُفرِّق بين المرء وزوجه. ونتيجة لقيمة الاعتبار وتقديرها، لا يُغيِّب أنا آخر، ولا يسعى لتجاهله في كلِّ أمرٍ يتعلّق بهما، سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيا. من خلال حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات يتم تحملها.

ولذا؛ فالاعتبار مكانة تُعطى لمن يستحقّها من الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ فلا ينبغي أن يتمَّ الإغفال أو غض النَّظر عمن هو ذو مكانة اجتماعيَّة أو علمية أو نفسيَّة أو أخلاقيَّة. فالمكانة يُلتفت إليها وهي لا تُخفى أبدًا؛ ولذا فهي تُقدّر، والقاعدة تقول: (اعتبرني أعتبرك وإذا تجاهلت وجودي أتجاهل وجودك).

ومن المهم أن يرتبط الاعتبار بالتفهُّم؛ فيتحقّق الإلمام بالموضوع والظروف المحيطة به والمعطيات التي أظهرته على السطح أو أنتجته بين الأيدي، وهو دراية عن كثب ومعرفة تامّة بأسبابه وعلله ومبراته وخفاياه المؤلمة والمفرحة ألسالبة والموجبة.

إنَّه تقدير للظروف التي أثّرت في الآخر، أو أثّرت على سلوكه وفعله، وهو دراية بما ينبغي أن يتمَّ حيالها، وكيف ومتى وأين يتمّ؟

والتفهُّم قيمة تقديرية يُقدِّر فيها الأنا الآخر. ويفسح له مجالا واسعا يسمح له بالحركة والامتداد الحر، وباعتماد التفهُّم قيمة بين الأفراد والجماعات

والمجتمعات تقدّر ظروف كلّ خصوصيَّة وتحترم ممّا يؤدّي إلى تفعيل مبدأ التقبُّل الذي يترتّب عليه تأثير وتأثُّر موجب.

إنَّ مؤثّر الخوف والمخيف يسهم في عدم إقرار مبدأ الاعتبار وتفهّم الظروف، لأنَّه عمل ضاغط اتجاه إقرار القيم المضادة، وباختفاء أثر الخوف من المخيف بمعَّادلة الإرهاب يصبح بالإمكان اعتبار الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفها.

ج- تَطلُّع الأنا إلى الآخر.

التطلُّع قيمة امتدادية، تصل الأنا بكلِّ ما هو نافع ومفيد، فلا عيب أن يتطلَّع الفرد والجماعة والمجتمع إلى تجارب الآخرين للتعرُّف عليها وعليهم، واستيعاب ما ينفع ويفيد منهم، مع الاستثناء بالتخلي عمَّا هو ضار وغير مفيد.

ولذا؛ تُعدّ قراءة التَّاريخ والتعرَّف على ثقافات وحضارات الشعوب ذات فائدة للمزيد المعرفي، ولهذا لا تكابر الشعوب في أن تتّصل مع الآخر من أجل أن تستفيد بكلِّ ما يُسهم في تطوّر حياة أبنائها؛ فلا داعي للمكابرة ولا داعي للتردُّد الذي يجعل البعض على حالة من السّكون؛ ولذا فمن يقرأ التَّاريخ يعرف أن الشعوب والحضارات دائمًا في حالة اتصال وتواصل من أجل إحداث النُقلة للمستقبل الأفضل.

إنَّ الذي يُعطي للتطلُّع قيمة، هو أنَّ الإنسان القوي دائمًا يسعى إلى ما هو أفضل، ولذا فالانغلاق والانكفاء على المستوى الذاتي هو من الأفعال والسلوكيَّات الاستهلاكية، وليس من السلوكيَّات والأفعال الإنتاجية التي تزيد القوَّة قوَّة أعظم، أمّا الذات الضعيفة فهي إن لم تُمدُّ لها يد المساعدة قد لا تنهض من غفلتها وضعفها، ولهذا ينبغي أن تتولى العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة

رعاية المواطنين من الركون إلى الغفلة التي تلههم عن السعي لاكتساب القوَّة واستمدادها من مصادرها.

د- تحقيق السَّلام فلا اقتتال ولا سفك دماء ولا صدام.

تحتاج الإنسانيَّة للقيام بدورها في إصلاح الأرض وإعمارها إلى السَّلام الذي تحقّقه العُدّة المعدّة لإرهاب من يظن أنَّ الغافلين سيضلون دائمًا راكنين إلى الغفلة؛ ولذا فالأفراد والجماعات الضعيفة في عصر العولمة وانتشار العلوم والمعارف وتوفّرها لا بدَّ أن يتمَّ تحفيزها للنهوض بعد أن تعرف أهميّته عن علمٍ ومعرفة تامة. وإذا ما نهضت بفاعليّة تستطيع أن تصنع ما صنعه من سبقها من تقدم علمي وتقني وحينها تستطيع أن تنال الاعتراف والتقدير منه، وإذا ما بلغت القوَّة شدّتها أثرا مرهبًا في نفوس أوَّلئك العظماء الذين ظنوا أنّه لا غالب لهم ولا مغالبة من أحدٍ، حينها يتمّ القبول بهم قوَّة يُحسب لها ألف حِساب.

**البعد النَّفسي للإرهاب:**

تمتاز النَّفس بحساسيتها الواضحة وانتباهها تجاه كلِّ المؤثرات، فإذا وقعت النَّفس تحت تأثير الخوف بفعل المخيف فلا شكّ أنّها ستفقد الثقة في مصدر الخوف، وستكون على حالة عدم اطمئنان مع متغيّرات الحياة الاجتماعيَّة غير الموثوق فيها، وسيكون الخوف النَّفسي محيطا بكلِّ الأفعال وردود أفعالها.

ولذا؛ فإنَّ الاضطرابات النفسيَّة تجعل الإنسان يتخبّط تجاه ما يجب أن يفعل، ممّا يجعله في حاجة للمساعدة من قبل الآخرين القادرين، ولكن وللأسف معظم القادرين بالقوَّة يملأهم الطمع في استغلال من يتخبّط ما دام

باقيا يتخبّط، وذلك من أجل مصالحهم وليس من أجل مصالحه وما يجب أن يؤدّى تجاهه.

إذن: الخوف يؤدّي إلى الاضطراب النّفسي، ومن ثمَّ يؤدّي إلى الاستغلال الذي يؤدّي إلى زيادة الضعيف ضعفًا وزيادة القوي قوَّة، وهكذا تسود العبوديّة بين قوي وضعيف (خائف ومخيف) ولا حلّ إلا بتحرير العبيد من الخوف. ولكن من الذي يستطيع أن يحرّر العبيد؟

نقول:

الذي لا يخاف.

ومتى يصبح الإنسان متخلصا من الخوف؟

متى ما أعدَّ العُدّة واستعدَّ للمواجهة وتأهّب.

ولكن هل يُعقل أن يبلغ الضعيف القوَّة، والأقوياء في العالم يتحالفون ضدّه بالقوَّة، وإن فكّر في إعداد ما يُرهب يُضرب قبل بلوغه امتلاك القوَّة!، ولنا في ضرب المفاعل النووية العراقية والسورية التي ضربتها القوات الإسرائيلية مثال من المظالم لا يُنسى، وهكذا تُهدّد إيران وكوريا الشمالية وكلّ من يحاول أن يبني مفاعلا ولو سلميا لا يوافق عليه وإن لم ينتهِ سيُدمّر مفاعله بالقوَّة.

أقول:

الخوف: دائمًا هو العائق، وانعدام الإرادة هي العائق، والقبول بالتبعيّة هي العائق، ولكن بدون شكّ فإنَّ لكلّ بداية نهاية، ولهذا لا بدَّ أن ينتهي الخوف ولو بالمعرفة اليقينية التي تؤكد أنَّ الإنسان لن يموت قبل أن تنتهي أيَّام عمره التي أرادها الله له، ولهذا لماذا الخوف؟

حريّة الرأي هي الأوّلى التي تقضي على الخوف، ولا داعي للاستعجال؛ فالزّمن كفيل بترويض الطغاة، والأسد لا بدَّ أن يهرم، وحينها يصبح لا يخيف.

القوي أوَّل ما يُرهبه أن يتمّ امتلاك المعرفة الممكّنة من امتلاك القوَّة عُدّة وعتادا واستعدادا، ولهذا فإنَّ العلم كفيل بأن يُمكّن الضعفاء من النهوض متى ما سرت العلوم في شرايينهم وعقولهم وحياتهم بشكل عام. ولذا فالقاعدة تقول: (أكتسب العلم تكتسب القوَّة المرهبة للظالمين). ومن يكتسب العلم يكتسب المعرفة الواسعة التي تمكّنه من إيجاد تحالفات مع الشبيه الغاضب على الظُّلم ومصادره، وهنا توجد المظلّة والغطاء الشرعي لتوليد القوَّة بداية بما لا يفسد للود قضيَّة، ونهاية بما يؤكد أنَّ الضعفاء لن يبقوا دائمًا ضعفاء والأقوياء كذلك، ولهذا تسود حضارة وتنتهي لتحلّ من بعدها حضارات، ولنا في التَّاريخ العِبر إن أردنا الاتعاظ.

وعليه: إذا تمّ بلوغ العلم واكتساب المعرفة الواسعة تحقّق الإرهاب في نفوس من يعرف خطورة العلم والمعرفة التامّة في استرداد القوَّة وامتلاكها، ولذا فإنَّ امتلاك القوَّة علما ومعرفة أو عُدّة وعتادا يتجلى في العديد من المظاهر منها:

أ- سيادة الثّقة.

الثّقة قيمة معياريّة، تستوجب معطيات موضوعيَّة ومنطقيَّة، فمن يكون مَحَلا لها ينالها، ومن لا يكون سيكون محلا للظنون. التي في مقابلها تسود الخيانة والتآمر بدلا من الآمان.

وعليه كلَّما سادت الثقة بين النَّاس سادت الطمأنينة، وكلَّما انعدمت سادت المخاوف. ولا سبيل لغرس الثقة إلا بممارسة الديمقراطية بإرادة،

والديمقراطية لا يمكن أن تمارس في ظل الخوف وتحت سطوة المخيف، وهكذا فإنَّ الإرهاب المانع للخوف من المخيف يسهم في غرس الثقة على مستويات الأداء كافة.

وعندما تُبني الثقة في الأفراد والجماعات فإنَّ ذلك يعني بناء جسور مع الآخرين، سواء أكان هؤلاء الآخرون أفردا أم جماعات أم مجتمعًات، ولأنَّ العلائق الاجتماعيَّة في أساسها علائق طبيعية، فإنَّ مراعاتها وفق كلِّ خصوصيَّة من الخصوصيّات الاجتماعيَّة، يُعد متغيرًا رئيسًا من متغيرات بناء الثقة.

ويؤدّي التواصل إلى غرس الثقة بين المتواصلين سواء أكانوا أصحاب حضارات أم أنَّهم أصحاب أديان أو مصالح، فالتواصل الناجح يترك أثرًا موجبًا ويغرس الثقة المتبادلة.

والثقة قيمة أخلاقيَّة تُغرس في من يستطيع حملها، وتُنزع ممّن لا يستطيع. ومع أنَّها لا تُغرس بقرار، إلَّا أنَّها قد تنزع به، غرسها يحتاج إلى زمن ومعطيات مرضية وقبول إرادي، أمَّا نزعها فمترتّب على فعل أو سلوك سالب أو مجموعة أفعال سلبيَّة، مرتكبة عن وعي وقصد.

وفيما يتعلق بثنائية (الإرهاب والعدوان) يمكن أن نتبين الخط البياني لبناء الثقة في الفروض الآتية:

قول موجب (ادعاء المسالمة) + فعل سالب (العدوان والظُّلم وسلب الحقوق) لا يؤدّي إلى غرس الثقة.

قول سالب (ادعاء المعاداة) + فعل موجب (السلم والسَّلام). لا يؤدّي إلى غرس الثقة.

نية صادقة + قول صادق + فعل صادق = حقيقة نافعة. تؤدّي إلى غرس الثقة.

فبناء على ذلك يتبيّن أنَّ الإرهاب موجب يسهم بشكل كبير في ترسيخ الشعور بالثقة بين الأوساط الإنسانيَّة ويدعم التواصل بين الأنا والآخر ذلك التواصل القائم على أرضية قوّة تستند على الثقة المتبادلة بين الأطراف.

ب- تحقيق الطمأنينة.

الطمأنينة قيمة نفسيَّة يأمل بلوغها كلّ إنسان سوي، ولهذا اعتبار الخصوصيَّة من قبل الآخرين يطمئن الأنا والآخر ويحفّزهم على الاستيعاب والتفاعل والتفهّم أو الوحدة والاندماج.

وتتحقّق الطمأنينة عندما يتمّ التأكيد على أهميّة الأفراد وأهميّة ما يقومون به، ممّا يدفعهم إلى بذل المزيد من الجهد المرضي تجاه أنفسهم وتجاه المجتمع الذي ينتمون إليه.

كذلك فإنَّ اعتبار الخصوصيَّة الفرديَّة والجماعيَّة على حدٍّ سواء هو غاية لتأكيد الطمأنينة، فمن يشعر بعدم تقدير خصوصيته واعتبارها، تصاحبه الظنون والشكوك، وقد يساوره القلق والخوف، وهكذا من يحس بأن آخر يقلِّل من شأنه لا يحس بالاطمئنان معه.

ولذا؛ فالاعتداء على الخصوصيات الاجتماعيَّة يواجه بمقاومة مجتمعيّة عنيفة؛ فعلى سبيل المثال: العرف يشكل خصوصيَّة اجتماعيَّة، والدين كذلك يكون خصوصيَّة عقائديَّة، واللغة والثقافة والتقاليد جميعها مكونات للخصوصيّات الاجتماعيَّة، ما يجعل الاعتداء عليها اعتداء على الذات أو الضمير الجمعي.

وفي مقابل ذلك من يقدّر خصوصيتك تقدِّر خصوصيّته، ومن لا يُقدِّر خصوصيتك يدفعك إلى عدم تقدير خصوصيته، وحينها يكون الصدام بأسباب المساس بالخصوصيات الخالدة كالدين والعرف والملكية الخاصة.

وبما أنّ من لا يُعترف به لا يُعتبر ولا يُقدّر، ومن لا يُقدّر لا يكون فعّالا، ومن لا يكون فعَّالا يُقصى ويُبعد ويُستثني. ومن يُبعد ويُستثني تعسُفا يَرفض ويُقاوم ويضع نفسه في دائرة المقاومة حيث الضرورة تدعه لذلك.

إذن: من يُبعد أو يُستثني تعسُّفا يَرفض ويُقاوِم الاستثناء ليعود إلى القاعدة حتى ينال التقدير والاعتبار والاعتراف بأنَّ له حقوق ينبغي أن يمارسها وله واجبات ينبغي أن يؤدّيها وله مسؤوليات ينبغي أن يحملها. ولذلك فإنَّ امتلاك العُدّة تُحقّق الإرهاب الذي هو ضرورة من ضرورات الحياة، التي لا يكون فيها اعتراف ولا اعتبار ولا تقدير إلا لمن يمتلك العُدّة المحقّقة للإرهاب.

وبناءً على ما سبق ينبغي مراعاة الآتي:

. أن يُقدّر الإنسان.

. أن يُعترف به.

. أن تُنمى قدراته.

. أن تُهيئ استعداداته.

. أن تستثمر إمكاناته.

. أن يُمارس حقوقه.

. أن يؤدّي واجباته.

. أن يحمْل مسؤوليّاته.

. ألّا تُقيّد إرادته، ولا يطلق عنانها على حساب إرادات الآخرين.

ج- إشاعة الأمن النَّفسي.

يسود الأمن النَّفسي عندما يختفي أثر الخوف بكلِّ أبعاده، وذلك عندما تدخل النَّفس مرحلة من التسليم بعدم وجود ما يخيفها، وهنا يتحقّق الأمن النَّفسي.

إنَّ الأمن النَّفسي وإن كان في واقع الأمر هو ذاتي فردي إلا أنَّه يتحوّل من فرديته إلى جماعيته عندما يسود في الذوات العامَّة للمجتمع، فيعم دائرة النحن سويًّا، ونحن معًا من أجل مستقبلٍ أفضل للمجتمع أو الوطن أو الأمّة.

النتيجة المتحقّقة للبعد النَّفسي للإرهاب

1-التكيّف:

التكيّف موائمة نفسيَّة بين الفرد أو الجماعة والبيئة التي هم فيها أو البيئة التي تحيطهم، بعد القبول الضمني بتقديم التنازلات، أو القبول بالتغيير بما يتناسب مع من همّ في حاجة للتكيف. ولذا فالسجين الذي في بداية أمره سجين لا يمكنه التكيّف مع السّجن، ولكن بمرور الزّمن يتكيّف مع السّجن كأمر واقع لا مفرّ منه، ومهما تحقّق له من تكيف مع السّجن والسجانين، لا يمكن أن يتوافق معهم ولا مع السّجن، ما يجعل الفرق كبير بين التكيّف الذي لا يتمّ إلا بتنازلات وبين التوافق الذي لا يتمّ إلا بإرادة، وبدون تقديم تنازلات. ولذلك فالتكيّف تآلف وتقارب يتمّ به تعديل السُّلوك أو تغيير اتجاهه وفقًا لِما هو كائن.

2- التوافق:

التوافق لا إكراه فيه، به يتحقّق الانسجام، وفيه تمتد حركة العلائق النفسيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة انسيابية، لا عوائق تحول بين الأفراد، ولأنَّ التوافق إرادي فعلائقه طبيعية، حيث لا اصطناع فيها. ولذا كلَّما تحقّق التوافق كانت أساليب ممارسة الحرّية بين النَّاس ديمقراطية شفافة.

إذن: التوافق يسهم في تدعيم العلاقات الإيجابيَّة بما يُشبع حاجات أفراد المجتمع في ضوء الموارد المتاحة والتوقُّعات المحتملة، وعدم إجبارهم على ما لا يرغبون بما يترك لهم فسحة في الاختيار الإرادي ويُمكّنهم من تكوين علاقات مرضية تجعلهم في حالة توافق وانسجام اجتماعي وإنساني.

وعليه: فإنَّ غرس قيم التفاهم بين الأفراد والجماعات، على ما يجب والإقدام على إنجازه أو تنفيذه يؤدّي إلى تحقيق التوافق المؤدّي إلى علاقات تفاعل ومشاركة إيجابيَّة فيها تطمئن الأنفس وتعمل معًا وسويًّا من أجل السَّلام والأمن للجميع.

3- التواصل

بما أنَّ التواصل ضرورة تحتِّمها طبيعة الإنسان لتشرُّب القيم والفضائل، لذا فإنَّ التواصل ضرورة لا يمكن تجاوزه؛ فتجاوزه يترتّب عليه خروج وانفصال عن الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وهذا الخروج هو الذي يجعل الإنسان فاقد للهويّة الاجتماعيَّة والدينية.

وعليه: التواصل ضرورة نفسيَّة وإنسانيَّة واجتماعيَّة لربط حلقات الصلة بين الأجيال المتعاقبة، ولأنّه ضرورة يعد قاعدة لبناء الوحدة الاجتماعيَّة بين أبناء الأمّة الواحدة أو الشعب الواحد، ويقوّي الصلة والعلاقات مع المجتمع الإنساني الذي شرَّعت الأديان السماوية على تقديره واعتباره واحترامه والوقوف عند كلّ ما هو إنساني. ولذا فالبعد الإنساني بُعد مُرهب على مستوى القيم والفضائل، ولكنَّه قد لا يكون كذلك إذا فسدت أو انعدمت القيم والفضائل في المعَاملات بين النَّاس، وحينها تسود الفتن والمظالم التي تستوجب التقويم من قبل الذين لا ينحرفون عمّا تأمر به القيم الحميدة والفضائل الخيّرة بين النَّاس. ولذا فبدون التواصل تسود المخاوف، وبه يتمّ الإرهاب للذين لم يمتلكوا القوّة الممكّنِة من التواصل، فبدون التواصل يكون

الفراغ النَّفسي المسبب للعزلة، والقاضي على الطموح الذي يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل.

فوائد الإرهاب على المستوى النَّفسي.

1- القضاء على الخوف.

2- ترسيخ الثِّقة بالنَّفس.

3- التوازن السُّلوكي.

4-الاعتدال النَّفسي.

5-الاتزان العاطفي.

**البعد الاقتصادي:**

الاقتصاد فكر من إبداعات الإنسانيَّة لموائمة ما يُشبع الحاجات المتطوِّرة للإنسان، وهو استجابة لرغبة تنظيم العلاقات المشتركة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات فيما يتعلق بالإنتاج ومستلزماته، والتسويق وطرقه، والملكيّة وسبلها، والعرض والطّلب.

والاقتصاد قوَّة مُرهبة لإيقاف التهديدات من قِبل الملّاك والمحتكرين للثروات، وهو ينسجم مع مجمل القضايا السياسيَّة والإنسانيَّة والنفسيَّة؛ فهو مرتبط مع كلِّ هذه القضايا بما يجعله جزء متّصل اتصالا وثيقا معها بالقوَّة، وإذا أخذ الإرهاب بُعده في هذه القضايا، فإنَّ الاقتصاد سيكون له مناخ مناسب وخالٍ من أثر المخاوف على الصعيد الاقتصادي، وهذا الأمر يفضي إلى تحقيق منجزات على الصيد الاقتصادي منها:

1-تحقيق الأمن الغذائي:

يسود الأمن الغذائي عندما تتوافر مشبعات الحاجات المتطوِّرة والمتنوّعة، ممّا يحقق الطمأنينة التي تجعل الأفراد في المجتمع مشاركين في العمليَّة الإنتاجية دون خوف، ولذلك يتمّ القضاء على أثر الخوف بتحوَّل النَّاس من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين العظام. وعندما يلحق الآخرين الذين كانوا في خانة المستهلكين بركب امتلاك الثروة والتحوّل إلى القوَّة المنتجة حينها لم يعُدّ للتخويف مكان أمام القوَّة الإنتاجية الجديدة المرهبة للذين ضنوا أنّهم سيبقون دائمًا همّ المحتكرين لمصادر الإنتاج وقوّته المؤثّرة في السوق.

إنَّ المجتمعات الضعيفة التي تهتمّ بأمن الحكومات دون أن تهتمَّ بالأمن الغذائي للمواطنين عليها أن تصحا وإلا ستكون وجبة غذاء غير مُشبعة لنهم من يتربّصون بها فريسة في وضح النهار، وعليها أن تترك ذلك التجنيد الإجباري القهري وتوجّه المواطنين إلى مواقع الإنتاج والاستثمار الأمثل حتى تنهض وتصبح من الأقوياء المتخلّصين من الخوف.

بدون شكّ فإنَّ حالة التجنيد العسكري، هي التي تُبقي الكم من المواطنين القادرين طاقة معطلة في المعسكرات، ولذا إن أرادت البلاد أن تتحرّر وتتخلّص من الخوف؛ فعليها أن تعمل كلّ ما من شأنه أن يُمكِّنها من تحويل المجندين من الثكنات العسكرية إلى ميادين العمل واستثمار الأرض وفلاحتها وإعمارها، وذلك من أجل تحقيق الحياة الكريمة التي تُمكّن أفراد المجتمع من الإنتاج ثمّ القضاء على الفقر والحاجة والعوز، ويدفعهم إلى الاعتماد على النَّفس بدل من الاعتماد على الغير الذي يستوردون منه ما يُشبع حاجات أثناء السلم، أمّا إذا شبت نيران الكوارث فيكون المزيد الاستغلالي هو سيد الميدان الذي يستوجب المزيد من إعطاء التنازلات التي قد تكون على حِساب كرامة الأمّة بكاملها.

2- وضع الخطط والسياسات الاقتصاديَّة البناءة.

التخطيط الاقتصادي إن اقتصر على دائرة الممكن المتوقَّع قد تواجهه المفاجئات، ولذا ينبغي أن يمتدَّ التخطيط العلمي إلى التفكير في غير المتوقَّع حتى لا تحدث المفاجئات المخيفة. ولذا فالذين يرسمون الخطط والاستراتيجيات البعيدة من أجل البقاء على القوَّة هم وحدهم الذين يحقِّقون لأنفسهم السَّلام والأمن الغذائي، ولكن الذين لا يرسمون السياسات والاستراتيجيات البعيدة؛ فهم الذين يعتمدون على ما يخطّطه لهم الغير، الذي لا يمكن أن يخطّط لغيره ما يُمكّنه من امتلاك القوَّة التي تحقّق له الإرهاب، ولهذا فهم دائمًا يقعون تحت رحمته دون رأفة.

ولهذا فإنَّ العمل من أجل إشباع الحاجات مهما تطوّرت هو مُرهب لمن لم يعتقد ذلك حتى تواجهه المفاجئة بالقوَّة المنتجة؛ فالإنتاج يتيح تحقيق الإرهاب بما يحقِّقه من أمن وأمان.

3- توجيه الإنتاج.

ولأنَّ توجيه الإنتاج وفقًا للحاجات المتطوِّرة هو مُرهب، لذا فالمجتمعات المتقدمة اقتصاديا دائمًا توجّه الإنتاج وفقًا لقاعدة الوفرة المتوفِّر سوق لها، وليس توجيهه حسب ما يجب من أجل الآخرين، ولهذا سيظل الخائف خائفًا والمخيف مخيفًا إلى أن يتمّ الوصول سويًّا بالقوَّة إلى الجلوس على طاولة مستديرة من أجل الجميع (ما يفيد وما لا يفيد) و (ما يجب الإقدام عليه وما لا يجب).

إذن: يتحقّق الإرهاب حيث ينتفي الخوف من العدوان والظُّلم، ويتمّ توجيه الإنتاج نحو مستلزمات الحياة الأساسية وغير الأساسية التي تتطوّر وتتغيّر كلّ حسب الحاجة ومشبعاتها ومتغيرات العصور عبر التَّاريخ.

4- القضاء على البطالة بكلِّ أشكالها، وتوجيه القوى المنتجة.

في وجود خائف ومخيف يستدعي الأمر وجود القوى القادرة على الإنتاج في الثكنات العسكريّة بطالة مقنَّعة إلى أن يحدث الحرب وتشتعل نيران الفتنة معه، ولذا فإنَّ وجود الطاقات الفاعلة في الثكنات العسكريّة والبقيّة الباقية في المدارس والجامعَات هو بدون شكٍّ يشكِّل عبء ثقيل على ميزانية الدولة، ولهذا ينبغي أن يكون الجنود في حالة السلم قوى منتجة، وفي حالة الحرب قوى فاعلة، ويكون الطلبة في ميادين التعليم المنتج لا التعليم الاستهلاكي، يدرسون في المعَاهد والكليات التقنية والزراعيّة والصناعية والتأهيليّة والتدريبيّة مع وافر العلوم التربويّة والسُّلوكيَّة والتَّاريخية حتى لا تُطمس الهوّية تحت مبرّرات التعليم التقني من أجل التقدّم.

ولكن عندما تتساوى كفتي الميزان بأن لا يوجد خائف ومخيف، بل الوجود لمِقدَّر ومُقدِّر بأسباب الرَّهبة التي يمتلكها كلّ منهما، فلا شرعية لوجود الجيوش الجرارة، بل لماذا تجند الجيوش؟ خاصة إذا انتهى مبرِّر وجودها أو الحاجة إلى كثير منها لعدم وجود العمل الذي يستدعيها، ولذا فلا مبرر للتجنيد من جديد.

**فوائد الإرهاب على المستوى الاقتصادي:**

أ-التحوّل من الاستهلاك إلى الإنتاج.

ب-إشباع الحاجات المتطوِّرة والمتنوِّعة.

ج-تحقيق الطموحات وصناعة المستقبل الأفضل.

د- إقرار مبدأ المنافسة العدالة.

هـ- الاكتفاء بما هو ضروري والاستغناء عن حاجات الطوارئ.

أمَّا في ظلِّ قاعدة الخائف والمخيف يتعرَّض العالم للأزمات الاقتصاديَّة كما يتعرَّض للأزمة المالية والأزمة المائية، ونحن نقول أنَّ العالم سيتعرَّض لحصول أزمة غذائية وأزمة مائية، وهذا ربما يتحقّق أسرع ممّا هو متوقّع في هذه الأعوام القريبة، ولكن أذا انتهت قاعدة الخائف والمخيف وجاء بدلها قاعدة (نحن سويًّا، نحن معًا) فربما يتمّ التغلّب على جملة من الأزمات بواسطة تكاتف الجهود وسيادة قاعدة (نحن معًا نحن سويًّا) من أجل مستقبل اقتصادي وإنساني أفضل.

## المنتهيات الغائيَّة للإرهاب

الإرهاب كما وقفنا على مفهومه وحقيقة معناه، هو أمر واجب الأخذ به والسعي إلى تحقيقه بموجبًات تجعله من الثوابت المنطقيَّة ولكن بعد أن ينقى مما عُلق به؛ لذا فإنّ أيّ أمر عندما يكون مطلبًا لا بدّ له من غاية ينتهي إليها، والغائيَّة الإرهابيَّة لا تتحقّق إلا بأمور كثيرة متنوّعة كي تصل إلى منتهياتها التي تنسجم مع المتطلبات، وأمّا المنتهيات التي نعنيها فهي آخر ما سينتهي إليه الأمر.

إنّ منتهى الغاية في الوصول إلى الحالة الإرهابيَّة ينسجم مع السُنن الكونية والفطرة الإنسانيَّة الصحيحة والعقل الصريح؛ وذلك بما يمتلك العقل من فطرة الخير ومن إرثه الإنساني ومن تجارب تاريخيّة في هذا المجال، نتج عنها حضارات إنسانيَّة متميّزة، ما زالت آثارها ماثلة في كثير من الأماكن. غير أنَّ المهمّ في ذلك وجود العقل الذي يحمل الإرهاب على محمله الإيجابي والنظر إلى هذه المنتهيات على أنّها إنسانيَّة لا تقوم إلاّ بالاشتراك بين الأفراد، لأنّها لا تقبل الأحادية والتفرّد، ولا تقوم عليها، ولا تتحقّق بها، ومنتهيات الإرهاب كثيرة أهمها:

. التوافق.

. الانسجام.

. الطمأنينة.

. الرّضا.

. الاحترام.

وسوف نأتي على هذه المعطيات من مفردات المنتهى الغائي للإرهاب بشيء من التفصيل حتى تتّضح العلاقة بين الإرهاب وأثره في استقرار الإنسان ورقي الإنسانيّة؛ فهذه هي الحكمة التي يتّضح من خلالها الأثر الإيجابي للإرهاب؛ فإذا وُفِق الباحثون عن الحقيقة في اقتناص الحكمة من ذلك والتزموا بها، فسوف يعلمون أنّ للإرهاب شأن آخر غير الذي أريد له أن يكون عليه.

أمّا الذين لم يوفّقوا لحكمته؛ فقد جنوا على المصطلح وعلى أنفسهم بما حملوا عليه من معًانٍ، وبما ركبوا منه مركبا في التصرّفات بناءً على مفهوم خاطئ.

ولذا فإنّه حريٌّ بالساسة والمثقفين والباحثين أن ينظروا من زاوية واقعية إلى الإرهاب، لا من زاوية المفهوم المستورد الذي يحمل هجمة شعواء على كلّ قيمة أخلاقيَّة يمكن من خلال التمسّك بها والعمل بمعطياتها الوصول إلى الغاية المأمولة، كي تجعل من الرَّهبة في نفوس الآخرين ما يكنّون به احتراما للغير، بحيث إن لم ينتفعوا بهذا الاحترام؛ فإنهم يدفعون به الأذى المراد لهم.

ومن منتهيات الإرهاب:

**أوَّلًا: التوافق:**

التوافق قيمة نفسيَّة واجتماعيَّة وإنسانيَّة إذا سادت بين النَّاس كانت دليلا على انتشار الودّ بينهم، وإذا انعدمت كان الودُّ من قبلها معدوما.

ولأنَّ التوافق أمل المصلحين في الأرض؛ فهو لا يكون إلا على ما هو مُصلح، ولكن متى يبلغ النَّاس هذه القيمة قولا وعملًا وفعلا وسلوكا؟

نقول:

إذا انتهت الخلافات سادة المودّة والمحبَّة بين النَّاس وتوافقوا على البرِّ والإحسان، وإن سادت المظالم بينهم وعمّت تماثلوا في ارتكاب المظالم، ولهذا فالمظالم قد يتماثل النَّاس في ارتكابها، ولكن النَّاس لا يمكن أن يتّفقوا ولا يتوافقوا على ارتكاب المظالم، ولهذا هم دائمًا يختلفون إلى أن تعمّ النَّاس المودّة والمحبّة.

ولأنَّ دائمًا أسباب الخلاف من ارتكاب المظالم، إذن لا يمكن أن ينتهي أو يزول الخلاف ما لم تنتهِ وتزول المظالم.

وعليه يبلغ النَّاس قمّة التوافق عندما لا يختلفوا إرادة، وسيظلوا على الاختلاف إن أجبروا على غير إرادة.

ولكن ما هي مُحقّقات التوافق؟

نقول:

كثيرة، ومنها:

1 . تقبُّل الآخر وتقديره وتفهُّم ظروفه المتعدِّدة.

2 . استيعاب الآخر (هو كما هو) والعمل من أجل بلوغ ما هو أفضل للجميع.

3 . الاتفاق في وجهات النظر أو القرار أو الفعل أو العمل، دون ضغوط من احدٍ على أحدٍ.

4 . عدم تقديم التنازلات.

ولهذا فالتوافق مع الشيء أو مع الآخر ليس تكيّفا مرحليا وفق ظرف وبيئة بقياس الزمان والمكان، لأنّ التوافق ليس ماديًّا أو شكليًّا في المعنى والدلالة والمفهوم والآراء والاتجاهات والسُّلوك والاختيار بمعنى التكيّف، ومع هذا فلا

يوجد اختلاف كبير بينهما، مع أنّه ليس بالضرورة أن يتطابقا أو يتماثلا، ذلك أنّ التوافق لا يكون إلاّ بين العقلاء، أمّا التكيّف فينسحب على العقلاء وغيرهم كالمكان والأشياء التي نتكيّف معها ولا نتوافق معها على الرغم من اشتراك المفهومين بمعطيات كثيرة، ذلك أنّ التكيّف غالبًا ما يكون اهتمامه ماديًّا، أمّا التوافق فينصبّ على الجانب الروحي والعقلي والمعنوي من حيث الأفكار والمعتقدات والآراء والطموحات والآمال، فهو جانب فكري عماده العقل، بينما التكيّف يكون ماديا مرحليا، كأن يتكيّف الإنسان مع الغُربة أو السّجن أو يتكيّف مع جلسة معينة تُفرض عليه بوضع معيّن لمدة محدّدة؛ فهو مضطر للتكيّف مع المرحلة في فترة زمنية معيّنة لظرف خاص ليس له فيه رغبة ضمن بيئة فرضت نفسها عليه، ولهذا تنتفي فيه الرَّغبة على الرغم من القبول بالواقع، ومن هنا يكون التكيّف قائما على التنازلات، قلّتْ تلك التنازلات أم كثُرتْ، وبما أنّ التكيّف لا يتمّ إلاّ بتقديم التنازلات، مادية حينا بدفع ثمنٍ مادي، ومعنوية حينا آخر كأن يوضع الإنسان في موقف لا يرضاه لنفسه مع القبول به، أو ينزل منزلة هي أدنى من منزلته فيتكيّف معها إلى حين انتهاء الظرف والضرورة.

أمّا التوافق فيقوم على الفكرة سواء أكانت مؤدّية إلى الرفض أو القبول، انطلاقا من مبدأ يحمل وسيلة وهدفا وغاية بحيث تجعل التوافق ناتجا عن رغبة.

وهذه الرَّغبة تدفع إلى بناء جسور تلاقٍ وإقامة علاقات قويّة مع الآخرين والتوافق معهم، بحيث تقوم على أساس قناعة العقل مع منطقه وإقناعه بالحُجَّة والدليل والبرهان، والتوازن مع نظام الكون والحياة والإنسان، ومع السنن الطبيعية والبشرية، ومن هنا تظهر غاية من غايات الإرهاب التي تصبو إلى تحقيق الأمن والسَّلام والطمأنينة في إقامة علاقات طيّبة بين فرد وآخر أو

بين مجتمع وآخر أقرب إلى التفاهم منه إلى الصراعات والنزاعات إسعادا للإنسان بمعطيات الخير التي تُجنى من التوافق، وطرد الشرّ ومعطياته بمعطيات إرهابيَّة، ذلك أنّ الإنسان بفطرته نزّاع إلى الخير يقوده في ذلك عقل سليم، ومن خلال العقل يتمّ التوافق أوّلا بين الفطرة الإنسانيَّة والغاية العقليَّة على مستوى الفرد، ومن ثمَّ بين الأنا والآخر ليكون ذلك مدعاة إلى رسم طريق السَّلامة من خلال التجاوب الشامل بين أفكار الإنسان وخيالاته وإراداته ونواياه وعقائده وأعماله وسلوكه، ومنه انطلاقا إلى الأفراد الآخرين وصولًا إلى الإنسان المثال، وهذا يعني أنّ غاية الإرهاب إعداد الإنسان والرقي به إلى المستوى الإنساني من خلال التوافق.

غير أنَّ القوَّة التي تتخطّى غاية الإرهاب من التوافق إلى التكيّف، تخرج عن صفة الرَّهب إلى الإخافة التي تفرض قبول الآخر هو كما هو، فيتطلب الأمر من هذا الآخر أن يقبل الواقع ويتكيّف معه بتقديم التنازلات التي يستوجبها التكيّف، وقد لا يتمّ ذلك إلاّ بإكراه لأنّه لم ينبع من قناعات.

إذن فالتكيّف لن يكون غاية طالما هو قائم على تقديم التنازلات بالإكراه، بل الغاية هي التي تؤدّي إلى القبول والرّضا في عمليَّة توازن تفضي إلى المحافظة على المال والنَّفس والكرامة التي تشعر بالتّوافق بين جميع الأطراف على أساس حفظ الحقوق ومعرفة الواجبات وحمْل المسؤوليَّات من قبل الذين يتعلّق الأمر بهم.

إنّ إعداد القوَّة من العُدّة والعتاد والمال والسّلاح والسّيطرة الاقتصاديَّة والقسر السياسي، ثمّ التهديد باستخدام هذه القوَّة، ثمّ استخدامها عند عدم انصياع الآخر لها كما هو الحال بالنسبة للدول الاستعماريّة، جعل هذه القوَّة خارجة عن حيّزها الإرهابي المشروع إلى الإخافة من خلال التهديد تحقيقا للأطماع الخاصة وليس للمصالح المشتركة؛ ولذا فإن لم تتحقّق المصالح الخاصة

بالتهديد لجأت القوّة الغاشمة إلى مدى أكثر بُعدا إلا وهو التنفيذ اعتداء وظلمًا.

إنَّ مثل هذه التصرفات المخيفة، قد تؤدّي إلى اتفاق بين قوي وضعيف يفضي إلى التكيّف تحت وطأة الضرورة ولذلك ستؤول أسباب التكيّف إلى الزوال طال الوقت أم قصر، ولذا لا يُعدّ التكيّف هو الغاية المرجوة من الإرهاب، ومن هنا يفترق عن التوافق.

إنّ الإرهاب تقدير يؤدّي إلى تحقيق التوافق، ذلك لأنَّ التوافق فعل إرادي مؤسس على الرَّغبة دون إعطاء تنازلات من أحدٍ إلى احدٍ.

فإن حقَّق الإرهاب التوافق كُتبت له الديمومة التي يستهدفها بفعل إنساني نابع من التقويم الأحسن الذي خُلق عليه الإنسان من نعمة العقل وفطرة الخير، قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[99].

فالتقويم الأحسن للإنسان ليست الماهية التي هو عليها فحسب، من تصييره على الصورة التي هو عليها، بل إضافة إلى ذلك، هو في التعديل الذي امتاز به عن بقيّة المخلوقات من التآلف بين الظاهر والباطن في الجسد والعقل والروح والنَّفس، وهذه الملكات هي التي تعكس القول والفعل والعمل والسُّلوك المناسب لتقويمه الأحسن، ولما أمر الله سبحانه وتعالى بإعداد العدّة للإرهاب، كان ذلك مناسبا للتقويم الأحسن؛ ولذا في دائرة الإرهاب إن خرجت العُدّة إلى التخويف بداية ثمّ إلى العدوان بعد ذلك من أجل تحقيق أطماع وغصب حقوق ومنع واجبات، لم يكن الإنسان على التقويم الذي ارتضاه الله له، أمّا إذا كانت هذه القوّة والعدَّة (لترهبون) دون التخويف والعدوان؛ فقد حقّقت

[99] – التين 4

التوافق وحافظت على التقويم الأحسن الذي خلق الله تعالى الإنسان عليه وأراده له ليكون منسجما مع الآخرين.

**ثانيًا: الانسجام:**

الانسجام قيمة مأمولة ولكنَّها غير ميسّرة التحقُّق في وسط يتعرّض بين الحين والحين إلى خلل علائقي بأسباب الخلافات البشرية التي تظهر بين من يأمل الإصلاح ومن يُفسد في الأرض ويسفك الدماء فيها بغير حقّ.

ولذا؛ فالمجتمعات التي لا أمن فيها، لا استقرار نفسي لأفرادها وجماعاتها، ولا ثقة متبادلة بينهم، بل الشكوك والظنون وأخذ الحيطة والحذر هي السائدة بين النَّاس داخل الحدود، وما بين الحدود (بين مجتمع ومجتمع آخر). ومع ذلك النَّاس الذين لا يقنطون من الرَّحمة هم دائمًا يسعون لتحقيق المأمول الذي بتحقيقه يتمّ بلوغ الانسجام حيث لا خائف ولا مخيف، ولا ظالم ولا مظلوم، ولا معتدٍ ومعتدى عليه، ولكن ما الذي يمكِّن الإنسان من بلوغ الانسجام؟

نقول:

القضاء على الخوف.

ولكن كيف يمكن لنا القضاء على الخوف؟

نقول:

القضاء على مسببَّاته.

ولكن كيف؟

بالتخلّص من الضعف.

وبماذا؟

بإعداد العُدَّة التي تُسهم في إحداث النُقلة إلى القوَّة التي تُرهب من كان يظن أو يشكَّ أن الآخر لن يبلغ القوَّة، ومع ذلك ينبغي ألا يتمَّ الإغفال عن التأهُّب إلى الفعل إن لم يقف كلّ عند حدوده.

ومن بعد امتلاك القوَّة والتأهُّب وتحقيق فعل الإرهاب من نفوس الأعداء، إلى أين؟

إلى التوازن الذي فيه يتمّ نيل التقدير ممّن كان غير مُقدِّرٍ لمن لم يسبق له أن أمتلك القوَّة.

ولذا فالانسجام لا إكراه فيه، مثله في ذلك مثل التوافق لا يتحقّق بالإكراه أو الإجبار، والأهمّ من ذلك أنّه لا يتحقّق بالتخويف، ولكن لعلّ للإرهاب حكمة يتّعظ بها من يقف عليها ويلمّ بها؛ فالانسجام لا يمكن أن يكون مبدا أو هدفا، ولكنّه منتهى يُستوجب بلوغه عن بيّنة وشرعة وخلق، وكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى نيل الثقة والاعتبار.

إنّ قيمة الانسجام على المستوى الإرهابي كونه أحد غاياته، يعادل على نحو تام قيمة التوافق التي يأملها من يأمل العيش الآمن، ولذا فإنّ الذين لا يفرّقون بين الخوف والإرهاب هم الذين ادخلوا اللبس والغموض في المفهوم الدلالي للإرهاب وانحرفوا به عن المعنى الذي يُظهره هو كما هو.

فالخوف دائمًا يمتدّ بين قوي وضعيف، أمّا الإرهاب فلا يمتدّ إلا بين متوازنين ومتزنين بالقوَّة والإرادة، ولذا فمن يتوازن مع من يمتلك القوَّة والإرادة المماثلة لقوّته يصبح في حالة تماثل معه بلا مخاوف، وعندما يصل الحال إلى هذا المستوى القيمي بين النَّاس داخل الحدود وخارج الحدود، يسود بينهم الانسجام مع وافر الحرص على ألا تُستخدم القوَّة التي تقضي على ما حقّقه النَّاس من انسجام بعد أن كان الانسجام مجرد أمل ليس إلَّا.

ومع أنّ التفاهم قيمة حميدة فإنَّه لم يرتق إلى المستوى القيمي للانسجام، وذلك لأنَّ التفاهم يمثّل أهدافا مرحلية أو جزئية، كثيرًا ما تتنافر في وضعيتها أو إفرازاتها أو نتائج تفاعلها، بينما يكون الانسجام إضافة إلى الودّ والمحبة والاحترام المتبادل، قاعدة استقرار، ولعلّ من علامات الانسجام في بلوغ الغاية شعور المرء أنّه يحيا حياة طيبة بمعطيات متولّدة عن قوَّة إرهابيَّة وجدت من أجل الحفاظ على التوازن والاستقرار، وهي لا تولد من رحم الرخاء المادي، ولا من رحم التمتّع بالجاه أو الاستحواذ على أكبر كمية من الأشياء، وإنّما تولد من ماهية الشعور بالتوازن والانسجام بين المطالب الرُّحيَّة والمادّيَّة للفرد أو لجميع الأفراد الذين يتمّ بينهم الانسجام، ومن التأنق والارتياح الذي يشعر به من يمارس حقوقه ويؤدّي واجباته ويتحمّل مسؤولياته بإرادة هو أن لا يُفكِّر يوما أنْ يقدم على فعلٍ من شأنه أن يكون على حِساب حرّية الآخرين، فالذين يفكرون في هذا الأمر هم الذين يمتلكون القوَّة أمام الضعفاء، ولهذا يجب أن يسعى الضعفاء إلى امتلاك مقاليد القوَّة المرهبة للآخرين دون التفكير في حدوث مظلمة؛ فإن عملوا على ذلك وحقّقوه على أرض الواقع عُدّة وقوَّة أرهبوا من كان يُفكّر أو من سوّلت له نفسه يوما أن يُفكّر في مثل هذا الأمر، وحينها يجدون التقدير والتفاهم والتفهُّم قيميا محقّقة للانسجام الذي بسيادته على أرض الواقع ينتفي وجود القلاقل والاستفزازات والمخاوف.

فالانسجام غاية عظيمة تخلق حالة من الاندماج بين المنسجمين في المواقف والرؤى والآراء والأفعال والأعمال والتصرّفات والسلوكيَّات. ويكون ذلك مبعث لما يحتاجه الجميع من المضي قدما إلى منتهى الغاية.

ومع أنّ الانسجام غاية يأملها المصلحون في الأرض فإنَّ بلوغها لا يكون بين المتواجهين على الحدود إلا بعد قوَّة ظاهرة للعيان ومرهبة لمن يرى عُدَّتها والمرابطين المتأهّبين بها على الحدود، ولذا فالإرهاب ذو الأثر المطمئن

لمن كان خائفًا قبل امتلاكه للقوّة، وفي مقابل ذلك مرهبًا للذي كان يعتقد أنّ الخائف سيظل دائمًا ضعيفًا خائفًا ولن يستنهض من ضعفه ولن يتحرّر من مخاوفه التي غُرست في نفسه.

الإرهاب دائمًا هو فعل يوجّه للآخر الذي كان مخيفًا بأسباب تفرّده امتلاك مقاليد القوّة سياسة واقتصادا وسلاحا، ولكن بعد أن تكون المشاركة تصبح القوّة بين المشاركين فيها متوازنة، ممّا يجعل التوازن الأمني متوازنا هو الآخر دون وجود لخائفٍ ومخيف، بل الوجود للانسجام الذي به تتآلف القلوب وتطمئن الأنفس بعد أن تحقّق الفعلِ المرهب.

ومع أنَّ العُدّة المعدّة هي المتغيّر الرئيس في التعادل وإعادة التوازن المادي بين المتواجهين على الجبهة، فإنَّ التهيُّؤ والاستعداد والإرادة والتأهُّب هي المتغيّرات الفعَّالة في إظهار أثر الإرهاب في نفوس الأعداء، ولهذا فالإرهاب فعل لا يتحقّق بأثرٍ ماديا فحسب بل أنّه المتحقّق بمجموع القوّة الظاهرة من المادي والنوعي (كمًّا وكيفًا)، إي: هناك جانبان رئيسان لا ينبغي أن يُفصمان أن أردنا تحقيق انسجاما، هما: العُدّة المادية، والاستعداد النَّفسي (تهيؤا واستعدادا وإرادة و تأهبا).

ولهذا دائمًا العُدّة لوحدها لا يمكن أن تُحقّق نصرا، ولا الإنسان بدون عُدّة يحقّق نصرا، بل الاثنين معًا هما الكفيلان بتحقيق النصر المؤزر، ولذلك قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[100].

[100] الأنفال 60.

**ثالثًا: الطمأنينة:**

الطمأنينة شعور تام الاستقرار حيث لا وجود لِمُنغَّصات ولا استفزازات ولا مخاوف، بل الوجود فقط لِما يُطمئن القلب من أمنٍ وسلامٍ ووئامٍ وانسجامٍ، ولكن متى يمكن للإنسان أن يبلغ الطمأنينة؟

نقول:

بعد أن يعُدَّ لها العُدّة.

وما هي العُدَّة المناسبة لتحقيق الطمأنينة؟

نقول:

كلّ عُدّة من شأنها أن تؤدي إلى امتلاك مقاليد القوّة التي تؤدي بدورها إلى مشاركة الآخرين فيما يجب أن تكون المشاركة فيه.

ولكن كيف يمكن للقوَّة أن تُحقّق الطمأنينة؟

تُحقّقها بإرهاب من تفرّد بالقوَّة على حساب حريّة الآخرين، فهدَّد أمنهم وسلامهم وبث الخوف في نفوسهم.

وهل الإرهاب مخيف؟

نقول:

لا. الإرهاب لا يخيف، بل الإرهاب يؤدّي إلى المراجعة وإعادة الحِساب لمن سوَّلت له نفسه أن يظلم الآخرين، ويوقِفه عند حدِّه، ويُحذِّره من ارتكاب المخاطر كما كان يفعل من قبل، ويُلفت انتباهه إلى دفع الثمن إن قرّر وأقدم على الفعل.

الطمأنينة مرضاة للنفس لا تستقرّ إلاّ في القلب الإنساني، ولهذا فالطمأنينة غاية يأملها الإنسان ويسعى ما استطاع إلى بلوغها، إلاّ أنّ الأمل لا يتحقّق دائمًا، ومع ذلك فالواعون هم دائمًا يسعون إلى ما يؤدّي إلى الطمأنينة حتى بلوغها، وببلوغ الطمأنينة يتحقّق مجتمع الفكرة الذي فيه تسود قيمة الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسيّته وعُرفه ودينه ووطنه.

إنّ الوصول إلى أسباب الطمأنينة عن طريق الإرهاب قد يبدو للبعض ضربا من البُعد عن الحقيقة إذا فهم المصطلح بأنّه مدعاة للرعب والخوف، أمّا إذا حمله على معناه الحقيقي الذي يقوم على الاتزان ويصنع التوازن؛ فإنّه يصل إلى الوظيفة المناطة بالإرهاب من تحقيق الموجب دون الخوف والعدوان، في خلق الاستقرار والأمن وفسح المجال لوظيفة الإنسان في الأرض بأنّه خليفة فيها، يسعى لإعمارها في تحقيق خير البشرية ومصالحها التي ارتبطت بإعمار الأرض والفلاح فيها، إلاّ أنّ هذا الإعمار وتحصيل المصالح يكتنفه كثير من الصعاب، ويتطلّب من الإنسان بذل الجهد وتحمّل المشاقّ في سبيل ذلك، ولأنَّ الحياة ليست مذلّلة سهلة دائمًا كما يريدها البعض ويتمنّاها، بل هي متقلّبة بما يختلقه ويقدم عليه الإنسان من صراعات ونزاعات واقتتال واحتلال للأوطان بغير حقّ، لذا جاء الإرهاب نتاج إعداد العدّة وتجهيز القوَّة المادية والعقليَّة والرُّحيَّة التي تؤدي إلى التوازن وتعيد الاتزان وتُحقّق الطمأنينة.

إذن: إعداد العُدَّة لإرهاب من تفرّد بها يمنع العدوان ويمنع ارتكاب المظالم ويمنع الإفساد في الأرض وسفك الدماء فيها بغير حقّ، ويؤدّي إلى تحقيق الأمن والعدل، ثمّ الإنصاف في التعامل مع الآخر، ولهذا ينبغي أن يتمرّس الإنسان على التعامل مع الأدوات المرهبة لمن كان ظالما ومفسدًا في الأرض وسافك دماء فيها بغير حقّ.

وعليه: من بلغ امتلاك مقاليد القوَّة عُدّة وعتادا، وتهيُّؤًا واستعدادًا وإرادةً وتأهبًا، ولم يظلم أحدا، كان خليفة في الأرض كما شاء له الله تعالى أن يكون خليفة في فيها يُصلح ولا يفسد.

إذن: بطبيعة الحال لا يمكن أن يكون الإنسان مصلحًا في الأرض ما لم يكن مطمئنًا فيها، ولهذا فالبناء والإعمار وصناعة المستقبل الأفضل لن تكون إلا بالطمأنينة.

ولأنَّ الأمر كذلك، فيجب أن يَقدِم الإنسان على كلّ ما من شأنه أن يُحقِّق له الطمأنينة، وإلا سيكون ضعيفا خائفًا في حاجة لمن يحميه بثمن أو يجد نفسه معرّضا للاعتداءات المتكرّرة والعدوان الذي لا رحمة فيه على العباد.

ولذا؛ فمن حُسن الخُلق الكريمة أن يعدَّ الإنسان العُدّة التي تُمكّنه من المحافظة على مكارم أخلاقه، وخير ما يُمكّنه من ذلك هو النهوض من حالة الوهن والضعف إلى حالة القوَّة وامتلاك مقاليدها بالقوَّة التي تُرهب الظَّالمين والمعتدين المفسدين في الأرض.

فإن قام الإرهاب على هذه الأخلاق والقيم؛ فقد حقّق إرهابيَّته على الوجه الأكمل، وسادت الطمأنينة وازداد التماسك والتلاحم بين أفراد المجتمع، وبينه وبين غيره من المجتمعات، وإن حصل إخلالًا بهذه الواجبات أو بعضها، حدث الخلل في نفسيَّة الفرد أو المجتمع وتصرُّفاته وسلوكه بقدر ذلك الخلل الذي انحرف عن معطيات الطمأنينة.

وعليه: إعداد العدّة في أساسها ليس فيه تخويف، بل هدفها نيل الاعتراف والتقدير والاحترام وصولًا إلى الطمأنينة، إلاّ أنّ البعض قد أقدم على توظيفها بما لا يحقّق اعترافًا ولا احترامًا ولا تقديرًا للآخرين، ممّا رتّب عليه نشر

الخوف والرّعب والفزع، ولهذا تنتزع الطمأنينة من قلوب النَّاس عندما تسود المخاوف التي لا يمكن أن تؤدّي إلى توازن واتزان؛ فلا تتحقّق الطمأنينة، وفي مقابل ذلك يسود الرعب والاضطراب والخوف والفزع، ممّا يوجب إعداد العدّة المضادة للذين سبق لهم أن أعدّوا العدّة التي أنتجت الخوف في نفوس الأبرياء الذين تعرضوا لِما تعرضوا إليه من مآسي وآلام وأوجاع.

ولهذا فالغاية الإنسانيَّة من إعداد العُدّة يجب ألا تكون للتخويف، بل من أجل الإرهاب الذي يولّد الطمأنينة في النفوس مصداقًا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[101]. فهنا من الآثار الموجبة للإرهاب تحقيق غاياته في طمأنة النَّفس.

**رابعًا: الرّضا:**

الرّضا قيمة لا تكون إلا بما يحقِّقها، ولكن ما الذي يُحقِّق الرّضا؟

نقول:

الرّضا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع أمل إذا ما تمَّ بلوغه كان بالغه على قمّة السعادة النفسيَّة والعقليَّة والرُّحيَّة.

ولسائلٍ أن يسأل:

ما هي محقّقات الرّضا؟

نقول، كثيرة ومنها:

1 ـ ممارسة الحقوق بإرادة.

---

[101] ـ الأنفال 60.

2 ـ أداء الواجبات عن قناعة.

3 ـ حمْل المسؤوليَّات وما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

4 ـ الامتداد بحريّة داخل الحدود في دائرة الأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيِّرة، مع وافر الاعتراف والتقدير والاعتبار لامتدادات الآخرين داخل حدوهم.

5 ـ الإيمان التام بأنَّه لا مُطلق إلا من عند الله تعالى، وما دونه لا يخرج عن كونه نسبي في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

6 ـ تأسيس العمل بين الأنا والآخر وفقًا لقاعدتي:

أ ـ (نحن معًا).

ب ـ (نحن سويًّا).

7 ـ انتزاع الخوف من الأنفس.

8 ـ امتلاك ما يُرهب الذين أسّسوا علاقاتهم على قاعدة (خائفٍ ومخيف) حتى يعودوا عمّا هم عليه من مظالم.

ولذا؛ فالرّضا مرتبط بالاطمئنان ارتباطا وثيقا، ذلك أنّهما يقعان في النَّفس الإنسانيَّة، ولذا فالنَّفس المطمئنة نفس راضية، والرّضا من صفات القلب؛ فإذا رضي القلب اطمأنت النَّفس، وهذا يعني أنّ غايات الإرهاب يقوم بعضها على بعض، إذ لولا الاطمئنان لا يمكن أن يكون الرّضا، والرّضا قيمة لا تكون إلاّ بتوافر قناعة ممّا هو مرضي (للأنا وللآخر)؛ فالرّضا إنَّما يأتي بعد الاطمئنان إلى أدوات الإرهاب ووسائله من أنّه القوّة المحافظة على التوازن باتزانها في التعامل والتصرُّف والسُّلوك من قِبل الذي يمتلك تلك الأدوات والوسائل، إضافة إلى الفضائل والقيم الأخلاقيَّة الدافعة إلى إيجابيَّة الإرهاب.

ولما كان مدار الإرهاب على قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[102]؛ ولذا فلا بدَّ من الربط بين الإرهاب والرّضا من النصوص القرآنية، إذ أنّ الذين انتهى إليهم دعاء الرغب والرَّهب في قوله تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[103]. هم جملة من الأنبياء سبق ذكرهم قبل هذه الآية، ولأنّهم عرفوا معنى الرَّهبة من الله سبحانه وتعالى التي لا يشوبها خوف ولا يتخلّلها فزع ولا يداخلها رعب؛ فكانت تلك الرَّهبة من الأنبياء لله تعالى رهبة محبة وتقرُّب بما فيها من الطاعة والاعتراف والاحترام والتقدير الذي أوصلهم إلى الرّضا من الله تعالى، بل كان رضا متبادلا كما جاء الحديث عن عيسى صلى الله عليه وسلّم في رهبته لله تعالى وصدقه معه؛ فكان أن رضي الله عنه، ورضي عيسى برضا الله عنه وعن حوارييه، حيث نقف على هذا الرّضا المتبادل من قوله تعالى: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[104]. فنجد أنّ الإرهاب قد أوصل إلى الرّضا غاية، وحقَّق الفوز منتهى.

فإذا كان الإرهاب يُكسب الرّضا ممّن أمر به، فكيف لا يُكسب الرّضا بين من أُمروا به، ولذا فالرّضا لا يمكن أن يكون موضوعيًّا إذا كان رضا على حساب الآخرين أو قلقهم، أو قهرهم بفعل ما لا يرضون عنه، فإن انصاعوا

[102] - الأنفال 60.

[103] - الأنبياء 90.

[104] - المائدة 117- 119.

إليه انصياعا تعتبره القوّة المخيفة رضا عنها، بينما الحقيقة أنّ رضا الإخافة كما هو الحال في الوقت الحاضر أنّه رضا فرعوني كما قال فرعون: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}[105]. فكان يدّعي أنّ قومه راضين عن الوهيته لهم، ولم يعترف بحقيقة القبول القهري، لذلك عندما حانت الفرصة وتغيّر الظرف وكان قومه واقعين تحت قبول القهر الذي اعتبره فرعون رضا منهم، تغيّر منهم التصرُّف والسُّلوك والموقف فقالوا لفرعون: {لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[106].

فالإرهاب ما لم يرضِ الأنا والآخر، لا يصل إلى غايته ولا يحقّق منتاهه، ولكن ما يرضي الأنا على حساب الآخر إلى حين تغيّر الظرف فيتغيّر الموقف، لأنّه لم يكن رضا قائم على المبادئ التي يحتكم بها، والحُجج التي يحاجج بها، ولذلك جاء إعداد العُدّة وصولًا إلى الإرهاب وتحقيقا للغاية من منابع التشريع.

**خامسًا: الاحترام:**

الاحترام قيمة بها يراعي الأنا مشاعر ومكانة الآخر ويُقدِّره، ويتفهّم ظروفه المتعدّدة والمتنوّعة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيا ونفسيًّا كما يتفهّم قدراته واستعداداته وإمكاناته التي تؤهله للاحترام.

ولكن هل الاحترام يُعطى، أم يُنتزع انتزاعا؟

نقول:

الاحترام قيمة أخلاقيّة، والأخلاق تصدر عن إرادة بإلمام ثقافي وحضاري ومعرفي، إلاّ أنّه أحيانًا لا يسلك البعض سلوكًا يليق بمكارم الأخلاق

---

[105] - القصص 38.

[106] - طه 72.

إلاّ بما يجبر عليه خارج الإرادة وهذا التصرُّف ليس من الأخلاق ولا يؤدّي إلى الاحترام.

ولهذا فنيل الاحترام غاية يأملها الإنسان سواء أكان أبا، أم أمًّا، أم مسؤولًا، أم في أيّ مكانة وفي أيّ مكان، ولا يتحقّق هذا الاحترام إلا بمعطيات تعدّ من أجلها العدّة المادية والأدبية والأخلاقيَّة وصولًا إلى الغاية بأسبابها.

إذن: إعداد العدّة التي يترتّب عليها إرهابا يؤدّي إلى غاية عظيمة فيها يحترم كلّ من الأنا والآخر بعضهم بعضًا، ولذا فالاحترام المتبادل غاية من بلغها بلغ مأمنه الذي يرتضيه لنفسه وتُقرّه الشرائع الخيّرة.

ولهذا يجب أنّ تكون القوّة والعدَّة الإرهابيَّة قوَّة متعقّلة وعدّة عاقلة، لأنّ الذي يمتلك هذه الأدوات الإرهابيَّة ووسائلها ما لم يكن على العقل والحكمة والحقّ والعدل، لن يكون محل التقدير والاحترام.

إذن: من الذي يستحقّ الاحترام؟

إنّه المقدّر لنفسه والمقدِّر للآخرين، وهو الذي لا يَقدِم على فعلٍ فيه مهانة للنَّاس، ولا يصمت على حقّ يجب أن يقال، ولا يكتم شهادة يجب أن يُدلى بها أمام من يحكم بين النَّاس بالحقّ ولا يظلم أحدا.

ولكن، هل دائمًا يتحقّق الاحترام ولكلّ أحدٍ من النَّاس؟

نقول:

لا. ليس دائمًا، بل في كثيرٍ من الأحيان الضعفاء والفقراء يُحرمون من نيل الاحترام من الذين يمتلكون القوّة؛ فالدول العظمى التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل والمحرَّم إنسانيا، هذه الدول تُخيف الضعفاء، ولا تُخيف بعضها البعض، وإن سادت بينها حروبٍ باردة كما كانت هي سائدة، وإن اختلفت

سياساتها تجاه الآخرين تأييدًا أو معًارضة، وإن اختلفت مصالحها؛ فهي دائمًا بينها خط ساخن (الخط الأحمر) الذي لا يدقُّ جرسه إلا عندما يجب الاتفاق على عدم الإقدام على ما يُفسد العلاقات، أو يُدمّرها، ولهذا فالضحايا دائمًا هم الضعفاء وإن تمّت مناصرتهم كثيرًا أم قليا من قبل بعض الأقوياء الذين بينهم الخطوط السَّاخنة لا تنقطع مهما تعاظم الأمر بين الضعفاء؛ ولهذا؛ فالاحترام سيكون سائدًا بين الأقوياء، ولا سيادة له بين الضعفاء، ولا لهم احترام من قِبل الذين لا يُقدِّرون الضعفاء، وسيضل الأمر على ما هو عليه إلى أن يتمكّن الضعفاء من امتلاك القوّة التي تُرهب من كان لا يحسب حِسابا للضعفاء، حينها ستتغيّر وجهات النظر من وجهات نظر سالبة حيث لا مكان للاحترام إلى موجبة اعترافًا وتقديرًا واحتراما.

ولهذا يكون الوصول إلى انتزاع الاحترام بالقوّة المرهبة لمن لم يسبق له أن احترم من تمكّن من إعداد العُدّة المرهبة، ولذا إن أردنا استقرارا وأمنا سائدًا بين النَّاس أفرادا وجماعات ودولا؛ فيجب أن يكون الفعل الإرهابي محتكما بالخُلق الذي يُعبّر عن احترام الأنا للآخر، حتى تستطيع الأنا الإرهابيَّة الوصول إلى قلب الآخر عن رضا تحقيقا للاحترام، والإرهاب الذي يريد أن ينال الاحترام لا يطلق القوَّة من قيودها الأخلاقيَّة والإنسانيَّة، وإنّما يسخِّرها لتعزيز الأخلاق وخدمة الإنسان حتى يكون الإرهاب في موضع احترام طالما أنّه سلك السُّلوك الموجب الذي يبقي الإرهاب على رهبته رغبة في الحصول عليه والاستزادة منه، ثمّ إنّ الأمر الإرهابي لا يتحقّق ما لم يكن الممتلك لعُدّة الإرهاب على قدر مسؤوليته تجاه الآخر، بحيث أنّ الإرهاب يوجب عليه احترام الآخر ابتداءً، وهذا الابتداء يكون اعترافًا منه من جانب، وتواضعا من الإرهاب من جانب ثانٍ حتى لا يظنّه الآخرون خوفًا، فيتحقّق له انتزاع احترامهم برضا منهم، ثمّ توجب عليه القوّة الإرهابيَّة التي يمتلكها وإظهار

إيجابيتها، بأن يكون على علاقة بالآخر عن طريق الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل الآخر بالتي هي أحسن، وأن يقول له حسنا، وبذلك يسود الاحترام وتتحقّق غاية من غايات الإرهاب بوصولها إلى منتاهها، لا أن تتحوَّل العُدّة الإرهابيَّة إلى قوَّة تكون مصدر خوف وقلق واضطرابات بما تحدثه من مشاكل للضعفاء.

وعليه: قد يتساءل سائلًا:

متى تكون العُدّة مخيفة؟ ومتى تكون مُرهبة؟

نقول:

العدّة مخيفة من حيث كون قرار استخدامها بشري؛ ولهذا الخوف لن يكون من العُدّة، بل الخوف من البشر الذين يظلمون ويحقدون ويكرهون ويُفسدون ويسفكون الدماء في الأرض بغير حقّ.

أمّا من حيث كونها مُرهبة؛ فهي بما تُلحِقه من دمار وفتك بالبشر وما يمتلكون، ولهذا القنابل مُرهبة والصواريخ مُرهبة وكلّ ما من شأنه أن يترك دمارا هو مرهبًا، ولذا فإعداد العُدّة لردع الظَّالمين والمفسدين يُرهبهم، وذلك لأنَّهم أكثر من يعرف المخاطر والأضرار والدمار الذي يُمكن أن تُحقّقه العُدّة التي كلّ يوم تتطوّر بما يترك أكثر دمارا؛ فيتداعى الذي يمتلك القوَّة مرتهبا تجاه من لحق به وأصبح ممتلكا لها، كي لا يلحقه الدمار والهلاك ويخسر مكانته التي نال بها الاحترام تقديرا أو تجنبا لشرّه.

إذن: الاحترام لا يُفرض فرضا، وإن فُرض فرضًا يكون السُّلوك الظاهر غير السُّلوك الكامن، ممّا يجعل الإذعان هو السائد في الميدان؛ وذلك لأنّ الصدق لا ميدان له في سوق المظالم والظَّالمين والمفسدين في الأرض بغير حقّ.

## مفهوم

## الإرهاب في مرضاة الله تعالى

يسعى العبد حثيثًا إلى مرضاة ربّه جلّ وعلا، هذا السعي يرتبط بأرضيّة منفتحة تكون له بابًا كي يدخل من خلاله إلى المتّسع الذي يمنحه الوصول إلى الرّضا، والحالة التي يكنّها تتسم بالمغايرة الحتميَّة التي تحتاج إلى ارتباطات بينية تكون ممثّلة لأبعاد متعدِّدة ومتنوّعة، فيكون التواجد الحاصل بمثابة البحث عن أسس تكون منطلقًا لما يجب أن يكون، وهذا يسمح بإيجاد علاقات متضادة تخفي تحتها ما يمكن أن يحصل ضمن دوائر متعدِّدة تتناوبها حالة من الامتداد تنبلج مرات عدّة لتظهر ما تريده، والمرضاة المتوخاة تكون نابعة من الواقع الحاصل، فيكون بذلك تداخل امتدادي يحاول أن يستمدّ وجوده من هذا الواقع، ذلك أنَّ هذا البحث يحتاج إلى نظرة شموليَّة تكون منفتحة على كلّ الأطراف التي من شأنها أن تكون مساهمة بشكلّ أو بآخر في الوصول إلى المبتغى المراد، والحقيقة التي يجب الاعتراف بها أن السعي المتواصل المرتبط بنظرة معرفية متوازنة يرسم الخطوط العريضة التي تكون دائمًا مدعاة للتوجيه البيّن الذي يضع حدودا؛ فيُبنى من خلالها الفكر المرتقب الذي يحمل بين طياته كلّ ما من شأنه أن يوصل إلى مرضاة الله تعالى.

إذن:

المرضاة تكون حاصلة ضمن النظرة الاستشرافية التي تكون منطلقا للبحث عن اتجاهات متعدِّدة، فتلملم ما يمكن لها كي تصل إلى درجة التواجد الحقيقية التي يكون من ورائها خلق تبعات مرافقة، فتتّحد في سبيل تجميع نظرة واحدة وجعلها بعد ذلك متّجهة نحو نقطة واحدة، ألا وهي مرضاة الله تعالى.

إنَّ البحث عن مرضاة الله يرتبط بالفعلية المتحققة التي تحاول أن تبحث لها عن مدارات تكون ملبّية لكلّ النتائج وحتى لكلّ الاستدراكات التي من شأنها أن تكون معًادلا لكلّ ما يجري، وهذا بطبيعة الحال يسير وفق نسق واضح مرتبط بالأصول التي ينتمي إليها، وذلك بوصفها المعيار الذي يحدِّد الوجهة الصحيحة التي سيكون من بعدها تحقّق الارتباطات الكفيلة بإيجاد مساحات واضحة من البداية، ومن ثمَّ من الكيفية التي تكون بها النهاية، فالواقع المتحقّق يعكس صورا متعدّدة يكون من خلالها البحث عن مرتكزات جديدة أو إزالة مرتكزات لم تكن تنفع بعد ذلك نتيجة اضمحلال بعض القواعد التي يكون الاختيار وفقها مندرجا في لائحة بعيدة عن كلّ المسوغات التي يمكن أن تُستدعى، والحياة بكلّ تفاصيلها ينتابها حالة من الانزياحات المختلفة التي تحاول أن تغيّر ما يمكن تغييره وفق اتجاهات أو ارتباطات أو امتدادات بعيدة كلّ البعد عن المتحقّق الذي يمثل الأساس الفعلي لما يجب أن يكون.

عليه:

تكون التهيؤات الحاصلة بكلّ ما فيها حالة من الوثوب نحو انجاز ما يمكن انجازه، في تحقيق انفراجات محدّدة، يكون ما بعدها الحلّ الذي يزيح ما يمكن إزاحته، وذلك ضمن طريقة مواكبة للحاصل، فأمر إعداد العُدّة فيه مرضاة الله تعالى؛ لأنَّ مرضاته تتشكلّ منها عِدّة محاور ترتبط ارتباطا حقيقا بالأصول المتحقِّقة.

إنَّ الانزياحات الحاصلة من الآخر أيّا كان تمثّل خرقا لأسس، بل للقواعد التي يريدها الله تعالى، فمعًالجة ما يمكن معًالجته يدور في فلك المرضاة، فإعداد العدّة يمثل حالة إظهار القوّة التي من خلالها إيجاد حالة ثبات قويّة

تجاه الأعداء، ذلك لأنَّ اللغة التي يفهمونها ويقدِّرونها هي لغة القوَّة ولا لغة غيرها، فيكون البحث من جنس ما يرهب الأعداء.

تنفتح القوَّة على بيانات متعدّدة من المعلومات التي يمكن من خلالها طرح البدائل التي يجب أن تكون، فتكون الحالة أشبه باستعراض التوافقات المطروحة التي تكمن من ورائها القوَّة المطروحة، وهنا تكون الآليات الفكريَّة حاضرة في تثبيت ما يمكن أن يكون العتبة الأوَّلى في خلق حالة تضاديَّة محكّمة تمتلك مقاليد القوَّة، وذلك ضمن تفاعليَّة متشبثة بالأسس الصحيحة التي انتمت إليها، وبالقراءة الاستشرافية التي بنت عليها ما بنته في سبيل كسر الطوق وإحلال الخطة البديلة القائمة على الهجوم بدلا من الدِّفاع الذي يكون في بعض الأحيان مدعاة للتقهقر المرحلي؛ فيكون الكسب من بعده بائسا ولا يصل إلى درجة الطموح التي وضعت الأسس من أجلها، ولعلّ البدايات الأوَّلى كانت متشظّية، فلم تكن ملائمة للتنظيرات التي أرادت أن تخلق حالة جديدة يكمن فيها ما يغيّر الكثير من الرؤى والانزواءات والإحالات التي لم تكن موفّقة، هذا الأمر يسير ضمن حالة تجميعية تطمح أن تكون مستقطبة لكلّ الاتجاهات وبكلّ أنواعها وامتداداتها كي تصل إلى حالة الوعي التّام، ويكون ذلك من خلال بعثرة الكثير من القراءات والأفكار وإعادة صياغتها من جديد ضمن أسس شاملة تنظر إلى كلّ ما يحصل نظرة نقدية تتّسع لتكون فيما بعد أداة تغيير واضحة نحو إيجاد المتحقّقَات التي يكمن فيها الرّضا .

يسعى العباد إلى مرضاة الله تعالى، والمرضاة واحدة لكن الوصول إليها ليس واحدا، بل ينتمي إلى تفريعات متعدِّدة تصب كلّها في المرضاة، والإرهاب أحد هذه التفريعات، إذ يكمن فيه الكثير من الأمور التي تكون للحاضر وللمستقبل، ويمكن أن نقف على ذلك من خلال:

### 1- الحاضر

يتسم الحاضر بالتحقّق، ونقصد بذلك أنَّ الاختلافات والاتفاقات حاضرة في السَّاحة الفكريَّة وغيرها ممّا يخلق حالة من المواجهة الضديّة التي تكون تبعاتها مستوفية لكلّ ما هو مطروح؛ فالاعتداء والتجاوز والاحتلال والاستغلال بكلّ أنواعه حاصل، وهذا يجعل كلّ من ينضوي تحته يكون تحت حقل واحد؛ فتكون النظرة له واحدة، وهي نظرة بطبيعة الحال متوافقة مع الأصول الإسلاميَّة التي ارتضتها؛ فيكون التصحيح عمل مقصود به مرضاة الله تعالى، فبقاء ما يمكن بقاءه يثير حالة من الهيجان المتعدد والمتنوع، وهو يصبُّ نحو اتجاه واحد فيحاول أن يغيِّر المتضاد، لكن هذا التغيير لا بدّ أن يكون قادرا على تغيير المقابل أو خرقه أو إزالته، وربّما لسائل أنْ يسأل:

- ألا يكون هناك حلًّا آخر غير هذا الحلّ؟

نقول:

تستمدّ الحلول في كثير من الأحيان من المتحقّق الذي تعيشه بكلّ تفاصيله وتداعياته؛ فتحاول أن تصل إلى الحلّ من خلال قراءة الواقع، وعند الانتهاء من قراءة ما يمكن قراءته تجد أن الحلّ لا بدّ أن يكون مستمدا من الحاصل الذي أمامك، فالذي يمتلك القوَّة بكافة أنواعها ويعاملك على أساسها، هل يمكن أن تعامله بمنطق غير منطق القوَّة؟

إنَّ البحث عن أسلوب آخر يُعدّ من العبثية التي تكون نتائجها وخيمة وتزيد الطين بلّه، ولذلك كان الخطاب القرآني في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[107]، يتّسم بإيجاد توافقات؛ لأنَّ منطق القوّة يحتاج إلى منطق يشابهه أو يماثله كي يحقّق من بعد ذلك الرَّهبة التي يُبنى على أساسها الكثير من المعايير والنتائج لا سيما مرضاة الله تبارك وتعالى.

## 2- المستقبل

تكتنف النهائيات حالة من الارتباطات المنتمية إلى البداية الأوَّلى على سبيل التحقّق دون المغايرة، فيكون الوصول إليها أو محاولته الوصول إليها من باب نيل الرّضا المراد؛ فتكون الأسس الأوَّلى حاضرة في المستقبل؛ لأن البداية لم تكن إلا حجر الأساس للنهاية؛ فالأعمال بمجملها لم تكن نتائجها آنية، فهي مبنية على الفضاء المفتوح الذي تكون النهاية فيه متواجدة لكن ضمن ضوابط محددة، وهذه الضوابط تستطيع أن تخلق خطوط واضحة تكتسب درجة الوضوح يوما بعد يوم نتيجة الأسس الواضحة التي بُنيت عليها، فتكون العُدّة والقوّة موصّلة للمرضاة، بوصفها مرحلة تتابعيه تطرح الإرهاب حلّ واضح ودائم، واضح في أساليبه وواضح في مستقبله الذي سيكون عليه، فيكون المستقبل الحلقة التي يُرى فيها المرضاة، لأنَّ ما يتحقّق فيها يرضي الله تعالى، والبحث عن المرضاة في الإرهاب يكون هو الشغل الشاغل والأمر الذي يحاول كلّ العباد أن يأخذونه التزاما، ذلك لأنَّ الإرهاب قد شغل مساحة واسعة في هذه الحياة، ففيه تكون السيطرة التي يكون من ورائها الوصول إلى ما يراد له أن يكون الخط الأحمر، فاختلال ميزان القوى أوجد حالة من الافتراقات المتعدِّدة التي خلقت جبهات متعدِّدة كلّ واحدة تحاول الوصول إلى ما يكوّن حصنها الحصين، الذي يكون من بعده المنعة التي تتحصّن بها، وبذلك تكون الامتدادات حاصلة ضمن اتجاهات واضحة، لأنَّها تحاول الوصول إلى الحالة التي تكون من بعدها قوّة مرهبة.

---

[107] - الأنفال 60.

ونحن نجد في هذا التقسيم حقيقة الارتباط الفعلي في الامتدادات الحاصلة سواء على مستوى البداية أو على مستوى المستقبل وما تكون الأمور عليه، فالارتباطات المختلفة تنتمي إلى مجموعة من الأصول التي تؤسس للمستقبل، فيكون تحقّقها واجبا كي يتحقّق التصحيح المراد، إمّا على سبيل البيان فقط، فذلك من باب التعرّف والفضول الذي يكوّن فيما بعد افتراضات واهية تجلب الضرّ أكثر من جلبها للنفع، والحياة برمّتها تحتاج إلى إصلاحات مستمرة كي تكون ممثِّلة لرسالة الخليفة التي أرادها الله تبارك وتعالى، ذلك لأنَّ الثنائيَّات متحقِّقة في الحياة، وبتحقُّقها يكون الإصلاح واقعًا بأشكال وبصيغ مختلفة، فلا مفرَّ من المتضادات الحاصلة التي يكون من ورائها الارتماء بعيدًا عن الأصول والمرجعيات التي أراها الله تعالى للناس جميعًا، فيكون بذلك الانكفاء المتعمّد تارة والمقصود تارة أخرى، فتستفيق بعض الامتدادات الآنية فتحاول أن تعود إلى النسق الذي يمثّلها بأصولها الحقيقة لا بأصولها الجديدة البعيدة عنها كلّ البعد، فيكون التصحيح بمثابة تلمس الحدود الأوَّلية كي تكون العودة واضحة الحدود وبعيدة عن الشبهات التي يمكن أن تحوم حولها.

وتمثل الرَّهبة حالة من الدفع المتعدّد الذي يحاول الوصول إلى مرضاة الله تعالى، هذه الرَّهبة لا تكون حالة واحدة يتمثّل فيها الجميع، بل تكون مقصورة على من يعي أبعادها، ويلتمس فيها النهاية المرجوة وهي المرضاة، ولسائل أن يسأل:

من الذي يرتهب، أو مَنْ الذين يرتهبون من الله تعالى؟

نقول:

ألا يكون العقلاء هم أوَّل من يرتهب؟

وذلك لمعرفتهم بما ستكون العاقبة إن لم يعدّوا لها العُدّة، ولكن ما هي العدّة التي تعدّ لتحقق رهبة من الله تعالى؟

نقول:

التيقُّن من القوَّة المطلقة التي لا تواجهها قوَّة في دائرة الممكن، وبما تتركه من أثر في المكان والزمان وهي خارج إطارها، وعين اليقين بالنسبة للقوي المطلق أنَّه على كلّ شيء قدير، ولأنَّه على كلّ شيء قدير فهو المرهب العظيم الذي يستوجب الطاعة والتسليم حيث لا وجود لمعطيات المقارنة، ومهما عدّ الإنسان من عدّة فهي لا تخرج عن دائرة المقارنات، ولأنّها لا تخرج عن دائرة المقارنات فهي تحقِّق الإرهاب في النَّفس في مقابل ذلك فما بالك بالقوَّة التي لا تقارن إذا كانت القوَّة النسبية قادرة على تحقيق الإرهاب، ولهذا كان الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام على رأس المتيقنين بالقويّ المطلق، ولهذا فهو أشدُّ رهبة مصداقًا لقوله تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}[108].

وعليه:

فالمؤمنون أشدُّ رهبة من غيرهم من الله، أمَّا الذين لا يفقهون فإنَّهم لم يدركوا الرَّهبة من الله، ومع أنَّهم لم يدركوا رهبة الله إلا أنَّهم يدركوا أن المؤمنين مُرهبون، فلو كانوا يرهبون الله ما وقعت الرَّهبة في نفوسهم من غيره (المؤمنون) وهنا تكون حالة من التفاوت؛ فيكون الطرح فيها موافقا لحركة مستقيمة، إذ تكون مبنية على التعدُّد الموجب الذي يفرض نوعا من التعالقات التي من شأنها أن تجد محاور متعدّدة تستطيع من خلالها الوصول إلى إدراكات واعية تكون ملبِّية للنهاية المطروحة.

---

[108] - الحشر 13.

الارتهاب يرتبط بموجب كونه ينتمي إلى حالة تصحيحيَّة تريد أن تغيّر الكثير من الحاصل، لكن هذا التغيّر يستوجب الوصول إلى آليات تكون مناسبة لمن يراد له الإصلاح، وبذلك يحصل التعدّد الذي يكون عند البداية مفترضا لكن عند النهاية يكون متحقّقًا نتيجة الاتساع المفاهيمي الذي واكب البداية المفترضة؛ فيكون الأمر وكأنَّه حالة واحدة أُريد لها الحضور الكلّي حتى تحقّق ما تراه صحيحا وفق النظرة التي تنتمي إليها.

المؤمنون مرتهبون تحصيلًا لأمر الله تعالى، ذلك لأنَّهم يسعون إلى الرّضا، فالرّضا يكون وفق حالة امتدادية مرافقة للحياة ليست مرتبطة بأمر دون أمر، بل أنَّ صفة الشمولية متحقّقة في كلّ الأعمال من ناحية الأوامر والنواهي، إذ يقول تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[109]، وهنا تنبري حالة من التماثل الكلّي تجمع المؤمنين كي يكونوا في توجُّه واحد يسير بهم نحو الرّضا المرجو؛ فالرَّهبة من دلائلها إعداد ما يمكن إعداده في سبيل الوصول إلى المبتغى المراد، يقول تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[110]، وحالة الإعداد تكون منفتحة على تشكيلات واضحة المعَالم تخلق لها مساحات وحدود واضحة تستطيع من خلالها الوصول إلى الدرجة التي يمكن من خلالها إحلال نفسها محلّ الندية

[109] - الحشر 7.

[110] - المجادلة 22.

المطلوبة، فتستطيع بعد ذلك أن تساهم بشكلٍ فعّال في تحقيق أهدافها المختلفة لاسيما تحقيق البدايات الافتراضية التي نهجتها.

إذن: الرَّهبة يجب أن تتحقّق عند الكافة، فالذين آمنوا تحقّقت عندهم الرَّهبة من الله تعالى، وأخذهم بأسباب الإرهاب والسعي للوصول إليه، هذا التحقّق يشير إلى اتساع الإدراك العام بحقيقة الرَّهبة، فالأفكار والإحالات وحتى الاستنطاقات تكون حالة من البحث الحقيقي الذي تكون ثمرته يانعة نتيجة الاشتراك المفاهيمي العام المتمثل بالصيرورة المستمرة التي تحاول أن تخلق تبعات واضحة يكون أثرها حاصلا للكافة.

ولسائل أن يسأل:

كيف يكون الرَّهب في مرضاة الله تعالى؟

نقول:

1- التيقّن من عظمته.

2- الاعتراف بإلوهيّته.

3- التسليم بوحدانيّته.

4- الاعتراف بربوبيّته.

5- الإيمان بكينونة أمره.

6- مطلقيَّة قدرته.

ولذا؛ فإنَّ دعوة الله تعالى سرًّا وعلانيَّة تحمل في طياتها الرّضا؛ فتكون أشبه بحالة تعالقيَّة يحاول الإنسان أن يجد نفسه فيها بالصورة التي يعتقدها أن تصل به إلى مرضاة الله تعالى.

عليه

- ألا تكون دعوة الله في مرضاته؟
- ألا تكون رغبة الدعاء في مرضاته؟
- ألا يكون الإرهاب في مرضاته؟
- ألا تكون المسارعة في الخيرات في مرضاة الله تعالى؟

وعليه:

سارع الأنبياء ويسارع المؤمنون في الخيرات رغبًا ورهبًا، إذ يقول تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[111].

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[112]، هذه المسارعة التي عليها الأنبياء والمؤمنون ألا تخلق أسوة وقدوة حسنة للجميع في المسارعة في الخيرات والدعاء رغبا ورهبا، والخشوع الذي يؤدّي إلى مرضاة الله، وبالعودة إلى الآية الكريمة نجد أنّها تحتوي على أفعال مضارعة أي أفعال مستمرة (يسارعون – يدعوننا) هنا استمرارية الفعل بصفة ثابتة.

---

[111] - الأنبياء 89 – 90.

[112] - المؤمنون 58 – 61.

المسارعة إرادية والدعوة إرادية والرَّهبة والرَّغبة جاءت إرادية، أفعال قائمة على إرادة، وهذا دليل على انعدام الخوف وظهور الرَّهب الناتج لعظمة المرهب جل جلاله.

إذن: الرَّغبة والرَّهبة تكون في التقرّب وطلب المرضاة من الله تعالى، رغبا دالة على الموجب المحقِّق للرضا، وكذلك رهب المعطوف على رغب جاءت مؤكدة لموجب في مرضاة الله تعالى، وهذا الرَّهب هنا لم يكن من عُدّة ولكنّه من قوّة لا يدركها إلّا من تبينت له إيمانا راسخا.

ولذا؛ فإنَّ الإرهاب لا يقتصر تحقيقه على العُدّة المعدّة في دائرة الممكن، بل يتعدّاه إلى القوّة المطلقة والقوي الذي يمتلك أمر القوّة دون ضرورة لمبررات استخدامها، ذلك لأنّ أفعال المرهب جل جلاله هي (كن فيكون)، مصداقًا لقوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[113].

ولذا؛ فإنَّ الفرق بين الإرهاب المطلق والإرهاب النسبي يتّضح من خلال لقاء السحرة مع النبي موسى عليه الصَّلاة والسَّلام في يوم الزينة؛ فقوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ}[114].

جاء في الآيات الكريمة السابقة قوله تعالى (واسترهبوهم) ولم يقل (أرهبوهم)، وهنا فالفرق كبير بين قوله (استرهبوهم) التي يعود فيها الأمر إلى تلك الحبال المعدّة إعدادا لاسترهاب أعين النَّاس، أمّا لو كانت الآية (ارهبوهم)

---

[113] - البقرة 116.

[114] - الأعراف 115 – 119.

بدلا من (استرهبوهم) لكن واقع الفعل يعود إلى السحرة وليس إلى العدّة التي جاءوا بها، ولذا فالفرق كبير في المعنيين من حيث أن العدّة (ترهب) (حبالهم وعصيهم) والنَّاس يخيفون، ولهذا لم يقع أمر الخوف، لأنّ الخوف يتعلّق بالنَّاس وليس بالعدّة.

إذن: الإنسان يرهب من العدّة ويخاف من بني جنسه؛ أي فالذي يرهب هو ما يُعد من عدّة، ولهذا جاء أمر الله تعالى بإعداد العدّة ليتحقّق فعل الإرهاب دون أن يتحقّق فعل الخوف الذي فيه مغالبة.

والاسترهاب الذي يمكن أن يتحقّق هو محاولته قصيرة لقبول أمر غير متحقّق من الناحية الحقيقية حيث يساوى فيه الخيال والواقع؛ ففي قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[115]، فالحبال هنا دخلت صيرورة عينية تتماشى مع الأفعى كون شكلها لا يتماشى إلا معها، فكان التخييل باعثا على إيجاد توافق بين الحبل وبين الأفعى إلا أنَّ هذا الأمر لا يكون للأنبياء، فالالتباس الحاصل كما نعتقد هو ثمرة نفسيَّة اقتطفها فرعون من النَّاس كونها أصبحت ملازمة لهم حين يحضرون مشاهدة مثل هذه المواقف، فيستمر السحر ضمن تعاقبية مدروسة محاولًا إرساء دعائمه التي ترتبط بدعائم مُلك فرعون، فيكون التماثل حاصلا لشدِّ النَّاس نحو تشكيل واحد يُظن فيه تلاحما حقيقيا.

وعليه:

---

[115] - طه 65 – 69.

فإنَّ كلمة (يُخيّل) في سورة طه تثبت أنّهم في حالة التباس بين الواقع (حبال) والمتخيل (أفعى)، فيكون الاسترهاب هو تغيّر الفعل (الصورة) عن حقيقتها (الحبل)، فيحدث بذلك الانزياح الوقتي الذي يتمثّل فيه الخرق الآني، وهذا بطبيعة الحال يكون المرور منه حاصلا ضمن تبعية مستمرة امتدت معه بانقياد أعمى لم تستطع أن تُفعّل أيّ شيء ممكن أن يزحزح من الصورة التي تراها أمامها، وهنا يكون المتحقّق هو الاسترهاب؛ ولذلك لا يتحقّق الإرهاب وإن تحقّق في أنفسهم شيء فهو من الاسترهاب الذي لا يخرج عن دائرة التخييل؛ ولذا فالفرق كبير بين ردود الفعل المترتبة على المتخيّل وبين ردود الأفعال على الواقع، فالواقع يترتّب عليه خوف أو إرهاب، أمَّا المتخيّل فيترتب عليه استرهاب.

ولذا؛ فإنَّ المؤمنين حقًّا هم الذين يرهبون الله رغبًا ورهبًا وهم خاشعون؛ ولأنَّ فعل الاسترهاب لا يعكس الحقيقة، فلا يمكن أن يكون محققا للمؤمن مرضاة الله تعالى، ذلك أنّ فعل الاسترهاب غير قائم على مرضاة الله من جانبين:

1- أنّه ارتبط بسحر.

2- أنّه قائم على القسر.

وعودًا على بدء في قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}[116]، فإننا نلاحظ ارتباطا قويا بين ما يدل عليه هذا القول، وما يدل عليه قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

[116] - الأعراف 115 – 116.

تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[117]، من ناحية الارتباط بالأداة.

والأداة تمثل عدّة أمور منها:

1- توفّر الأداة يحلّ الإشكال المتحقّق بين العدم والتحقّق، وذلك ليكوِّن حالة من الاستبيان الكلّي الذي يفتّق الأمور ويجعلها حاضرة ضمن مدارات واضحة تكون في كثير من الأحيان نهايتها واضحة تلغي ما يجب إلغاءه.

2- الطبيعة الإنسانيَّة وتكوينها تتماشى معها الآلة كونها تعمل من أجل إيجادها أوّلا، واستعمالها فيما تريد تحقيقه ثانيا، فتكون زمام الأمور بيدها فتتصرَّف فيها كيفما تريد؛ فتكون النهائية موافقة في كثير من الأحيان للمنطلقات الفكريَّة.

3 . وجود فاعليَّة مرتبطة بالكينونة التي يكون على أساسها الوصول إلى الغاية الإرهابيَّة في الاسترهاب حال تحقّقها وقد لا يتحقّق كلّيا؛ لأنَّ الصراع الحاصل مستمر دون هوادة ممّا يجعل من النهاية متناوبة.

ولأنَّ النَّاس يتفاوتوا في استقبال أسلوب الدّعوة الذي يغيّر من توجهاتهم المختلفة؛ لذا فالكيفيَّة لا يمكن وضعها في إطار واحد يحدّدها ويجعل لها ثباتًا في مكان يكون فيما بعد معيارًا لا يمكن المساس به أو حتى محاولته إيجاد صيغ تزحزحه باتجاهات أخرى، هذا التفاوت تُبنى عليه أساليب مختلفة يكون من ورائها محاولته إيجاد تفريعات متعدِّدة ومتنوّعة، ولهذا فإنَّ دعوة النَّاس لم تكن ذات أسلوب واحد، بل أخذت أساليب متنوّعة وهذا مبعثه تنوع الفكر الإنساني في استقبال الدعوات بأساليب تنمُّ عن الحقيقة المكوّنة

[117] - الأنفال 60.

للتشكيل المتحقّق، ففي قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[118]، فالدعوة تكون بالرفق واللين بأخذ الإنسان من يده نحو برّ الأمان بطريقة تكتحل فيها العين دون أن يشعر صاحبها بذلك، ولذلك كان نسق الدعوة قائما على إيجاد ترابطات حقيقية بين الدعوة وبين النَّاس في الكيفية التي يكمن فيها الأسلوب؛ فالنَّاس بتكوينهم يتّسمون عامة بالصعوبة في تقبُّل النصح؛ فالنصح وإن كان قائما على التغيير نحو الأفضل، إلا أنَّ النَّاس يقفون منه في كثير من الأحيان موقف الصدّ والرفض، وممَّا ورد في بيان أنَّ النصح للمسلم يتّسم أيضًا بالصعوبة رغم انتمائه لهذا الدين هو ما فعله الحسن والحسين عليهما الصَّلاة والسَّلام " فيُروى أنَّهما رَأيَا رجلا لا يُحسِن الوضوء، وأراد أنْ يُعلِّماه الوضوء الصحيح دون أنْ يجرحَا مشاعره، فما كان منهما إلا أنَّهما افتعلا خصومة بينهما، كلّ منهما يقول للآخر: أنت لا تُحسِن أنْ تتوضأ، ثم تحاكما إلى هذا الرجل أنْ يرى كلّا منهما يتوضأ، ثم يحكم: أيّهما أفضل وضوء من الآخر، وتوضأ كلّ منهما فأحسن الوضوء، بعدها جاء الحُكْم من الرّجل يقول: كلّ منكما أحسن، وأنا الذي ما أحسنْتُ. إنّه الوعظ في أعلى صورة، والقدوة في أحكم ما تكون"[119].

ونحن إذ نقف على هذه الواقعة فهذا من باب بيان البحث عن مرضاة الله تعالى في محاولته النصح بهذه الطريقة العظيمة التي تدخل شغاف القلوب دون استئذان، فإذا كانت هذه الطريقة مع من آمن وعرف عقيدته فكيف تكون مع أعداء الله تعالى؟

---

[118] - النحل 125.

[119] - تفسير الشعراوي، ج 1، ص 507.

إنَّ البحث عن الكيفيَّة التي توصل إلى مرضاة الله تعالى في التعامل مع أعدائه، ترتبط بتنفيذ أوامر الله تعالى التي بيّنت ووضّحت الطريقة التي يكون من خلالها الوصول إلى حالة الاستقرار التي تكون امتداداتها المتعدِّدة والمتنوِّعة موافقة لما يريده سبحانه، فقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[120]، تطرح المرضاة حين يكون الإتباع موافقا لهذا الأمر كما كانت المرضاة حاضرة في الدعوة إلى الله تعالى بالطريقة الليّنة التي اتبعها الحسن والحسين عليهما السَّلام، وهنا يكون الأمران حاضران في الامتدادات الإيمانية التي تكون شاملة لكلِّ أمر يكون فيه مرضاة الله تعالى.

إنَّ الوقوف على سبل الدعوات يطرح التغاير الحاصل، وهو تغاير بطبعه عائد إلى تكوين الإنسان، والذي يؤدّي إلى خلق امتدادات مختلفة الطول لارتباطها بالتبعيّة الفكريَّة التي انطلقت منها، فيكون التعالق حاصلًا ضمن دوائر واضحة تمثل في حقيقتها البداية الأوَّلى للاستنهاض المراد الذي سرعان ما يكتنفه اتساع واضح، لكن هذا الاستنهاض يحكمه طوق يقيّده ويعيده إلى البداية الأوَّلى التي تكون فيما بعد الأساس للنهاية.

ويكتنف النَّاس حالة من الارتدادات الظنية التي تشكلّ فيما بعد حالة استقطاب لكلّ من يريد أن يتلّون بها، فيكون مركزها باعثًا لتخرصات كثيرة قد تكون متناوبة في بعض الأحيان إلّا أن السّمة الغالبة عليها هو الانكفاء جانبًا لكن دون انقطاع ممّا يولِّد حالة من التقرُّب المقصود لا يراد منه إلّا الانعزال ضمن دوائر واضحة المعَّالم، ولهذا يكون الإرهاب حالة امتدادية حاصلة يفيض ذكرها مرارا، فيكون حصولها مرتسما لكلّ ما يدور حولها،

120 - الأنفال 60.

فتنبلج حالة من الإدراك الواعي تحوم حول مركزية حاصلة تكون متقاطعة مع الاشتراطات التي يجب أن تكون، فقوله تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}[121]، فيه تشكيل معرفي ينساب طرح قوّة المؤمنين في الظهور، فعدوَّهم شديد الرَّهبة منهم، وهذا يزيد من قوَّة المسلمين تثبيتًا لهم في الوقوف بوجهه، فالرَّهبة الحاصلة فيها انفتاح تبصيري يسبر غور النَّفس ليحقّق من خلالها البحث عن أسس مستمرة تكون متفاوتة الحضور لتستجيب لكلّ ما يحصل، وهذا الانفتاح فيه افتراضات حاصلة على مستوى القبول أو الركون ممّا يخلق حالة من الحضور الذهني التي يكون مبعثها الارتداد نحو إيجاد قسيم مشترك يكمن من خلاله المثول نحو تبعية محايدة لا يكون الحلّ حاضرا إلا بوجودها، والرَّهبة الحاصلة تطرح الاستجابة التي يجب أن تكون، فلا استجابة لمرهب إن لم يكن قويًّا؛ ولأنَّ الله تعالى هو القوي إذن بطبيعة الحال هو أكثر إرهابًا حيث لا يقارن (يرهب المخلوقين)، فالقاعدّة: (لا إرهاب إلا بقوَّة)، أي: لا إرهاب بين النَّاس إلَّا ومن ورائه قوي في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع فما بالك بالقوي المطلق الذي يحيط بكلِّ شيء ولا يحوطه شيء.

إذن: تكون مرضاة الله تعالى في إتباع أوامره ونواهيه، ولأنَّ أمر إعداد العُدّة يحقِّق الإرهاب للأعداء؛ لذا فهو لا يكون إلّا في مرضاة الله تعالى؛ ذلك أن المسلم لا بدَّ أن يكون له حضور فاعل بين القوى الموجودة والمتصارعة على السَّاحة الدولية، فهي في سباق إلى النهاية من أجل تثبيت مركزها أو التحوّل نحو التفوّق الذي يمنحها ما تريد، ولذا فإن لم يحسّ المسلم بخطورة ما يجري من حوله واتجاهه سيظل في غيبوبة غافلا عمّا يجب عليه تجاه ربِّه ونفسه ووطنه، فعليه أن يلتفت لنفسه وأمره ليخرج عن إرادة واعية من دائرة الغافلين

[121] - الحشر 13.

إلى دوائر الصحوة الربانية التي تمكِّنه من إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل وهو فائز بمرضاة الله تعالى.

**المنطلقات الفكريَّة للإرهاب:**

خمسة منطلقات رئيسة للإرهاب

. تهيّؤ.

. إرادة.

. إعداد عُدّة.

. استعداد.

. تأهُّب.

## التهيّؤ

التهيّؤ يقظة، صحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غاية أو أملًا، واليقظة هي انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل.

ولأنّ التهيّؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفًا، وتحقيق ما كان غرضًا، وبلوغ ما كان غايةً، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهّب يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتمامًا، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

فالتهيّؤ يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفُّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنَّه الحالة التي يبدو عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقّع؛ فالتهيّؤ نضج طبيعي ونضج معرفي بما سيأتي لأن يُفعل، كنضج الثّمار لأنْ تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزّواج؛ وكالتهيّؤ للصّلاة والصّيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيّؤ لا يتمّ إلّا بمجموعة من التفاعلات المحفِّزة للقوى الكامنة في الإنسان قبل الاستعداد إرادة لفعل مخصوص؛ إنَّه الحركة بعد السّكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وعليه:

ـ هيئ نفسك لما يجب حتى لا تقودك الشّهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

ـ التفت إلى نفسك وأعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

ـ فكّر حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

ـ فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

ـ هيئ نفسك للعمل فهو المنقذ من الحاجة.

ـ هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

ـ هيئ نفسك لغير المتوقّع تجد المتوقّع بين يديك ميسّرًا[122].

ومن هنا؛ فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّةً متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئًا مفعولا، ولو لم يكن الشيء متهيئا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا عليها بالتمام؛ وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن الذي سيفعله وعقله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النَّاس لا بدَّ أن

[122] عقيل حسين عقيل، الفاعلون من الإرادة إلى التأهّب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018، ص 59.

يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد ثمّ التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النَّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوَّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتهبين ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انحيازا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائما يسبق إعداد العُدّة والفعل والسّلوك والعمل، لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها هيئة في أذهان المبدعين لها وعقولهم، ولهذا، لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئًا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة؛ فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليلا شاهدا بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه من حيث كونه صلبا ومتينا وحادّ أحد الطّرفين أو حادّا من طرفيه، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى أو سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّوئه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول، ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّوئه؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعالا متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنفّذة ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة حيث لا شكل ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي الذي يمسّ النّفس الإنسانيَّة، إلا أنَّ أثره لا يكون سائدًا في النّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا مادّيا، أي: إعدادا لِما يُظهِره وليس إعدادا لإظهاره. ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبا واستعدادا.

إذن يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوَّة العقليَّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيظل سائدًا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفا القوَّة المرهبة للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوَّة عُدّة وعتادا واستعدادا واستيعابا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادرا على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوَّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ القوَّة العقليَّة وتهيئها ولفتها للمخاطر بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولِّد القوَّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرُ ميسَّر قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل، ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابلة لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تلد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ كونه إيقاظا عقليا؛ فهو يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ الذي بدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظا هو المحدِث للفعل والمحقِّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولمّ لا يتهيأ الجميع للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض أنّ هذا القول لا يزيد على كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع أنَّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيّؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهمية خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة وفضائل خيّرة تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه، وذلك بهدف غرس الثّقة المتبادلة وبغاية تغيير الحاضر تجويدا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

**مكوِّنات التهيّؤ:**

التهيّؤ كونه قيمة عقلية ونفسيَّة؛ فهو الممكّن من المعرفة المقصودة، والمحفّز على إحداث النَّقلة إلى ما يمكن أن يؤدّى أو يفعل أو ينجز أو يتمّ

الفوز به، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق لو لم تكن للتهيؤ مكونات قابلة للاستفزاز بما هو مشاهد ومجرّد، ومن هذه المكوّنات:

### تهيّؤ مادّي عقلي:

مع أنّ العقل هو مصدر التهيّؤ، فإنّه ذاته في حاجة لأن يهيأ، أي أنّ العقل بطبعه يمكّن من التهيّؤ كما هو حال الكائنات غير العاقلة، ولكن القضايا الكبيرة تستوجب أن يلتفت العقل إلى ملكاته مراجعة وتقييما حتى تستقيم ملكاته لإنتاج الفكرة التي لم تكن من قبل في دائرة العقل متوقّعة، ومن هنا وجب التفكير في غير المتوقّع مثلما يتمّ التفكير في المتوقّع؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، خُلق مقوّما على الهيئة والصّورة {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}123، أي خلقك على المقدرة لأن تفعل ما تشاء مخيّرا في مشيئته تعالى، أي في خَلقك كانت الصّورة التي أنت عليها تمشي سويًّا والتي تستوجب حُسن الخُلق الذي به تنال المكانة والتقدير، والذي به تصنع القدوة عملا يحتذى به.

إنَّ التهيّؤ المادّي العضوي هو تهيّؤ فطري، والمقصود به ما يتمتّع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالا معيّنة؛ فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيّأة للنّظر والأذن مهيّأة للسّمع، والقدم مهيّأة للمشي، واليد مهيّأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العقل مهيّأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات العقل مع إحدى هذه الأعضاء، يتولّد تهيّؤ ثنائي جديد بين الأداة المادّية والجانب الذّهني.

---

[123] الانفطار 7، 8.

ومع أنّ العقل ليس ذلك المادّي كما هو حال الحواس الأخرى، فإنّه حاسّة، بل هو ملكة الحواس جميعها؛ فبدونه مفاتيح السّيطرة تُفقد من على كلّ الحواس؛ فلا القدمان تمشيان كيفما يجب، ولا العينين تبصران كما يجب، ولا السّمع والحركة والسّكون تكون كما هي من غير عقل سليم يضبطها توجيها وسيطرة؛ ولهذا جاء التهيّؤ العقلي خَلقا مميّزا للإنسان الذي خُلق في أحسن صورة؛ أي أنَّ العقل لم يُخلق على الخُلق، بل الخُلق لا يكون إلّا مكتسبا؛ ومن هنا؛ فمن تهيأ عقلا لأنْ يتعلّم لا شكّ أنّه سيتعلّم، وإذا تهيأ عقلا لأنْ يعمل لا بدَّ وأن يعمل، وهكذا؛ فالإنسان مهيأ خَلقا ليكون المخلوق الأرقى، ولكن في بعض الأحيان الإنسان ينحدر إلى السُفلية والدّونية طمعا أو ضعفا وشهوة. ولو فكّر الإنسان في نفسه ولِمَ خلقه الله في أحسن صورة، وشاء له أن يكون خليفة في الأرض لأدرك أنّ رسالة صعبة ستكون عبء على ظهره، ولأنّها الرّسالة؛ فهي واجبة الأداء مع حسن التدبّر والتذكّر والتفكّر الذي يمكّن من حُسن المعرفة التي لا يتمّ استيعابها إلّا بالتهيّؤ.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، فإنّه اختيارا انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقيَّة أخذته الصّحوة والحيرة تملآن نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ذلك لأنّه المخلوق على الارتقاء، ولكن بعلّة الشّهوة اختار أن يسلك سلوك المنحدرين دونية؛ فأصبح النّعت سُفليّة يلاحقه منذ تلك السّاعة التي انحدر فيها؛ حيث لا منقذ له بعلل الاختيار انحدارا.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النّشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه وحُسن خُلقه. ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه

قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء، فإنّه انحدر رغبة وغفلة، ثمّ انتبه لأمره ارتقاء؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، وجعله من المكرّمين، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}124. ومع أنّهم المفضّلون، فإنّ بعضهم غير مقدّرٍ لهذا التفضيل؛ فمنهم من ضلّ، ومنهم من اهتدى، وهم لا يزالون مختلفين وسيظلون كذلك. أي متى ما هيّأ الإنسان نفسه إلى الإقدام على الموجب أصبحت أفعاله موجبة، ومتى ما هيّأ نفسه إلى السّالب أصبحت أفعاله سلبية.

وعليه؛ فعبر التّاريخ والمنحنى التكراري للسّلوك والفعل البشري بين هبوط وصعود؛ فمع أنّ الإنسان خُلق ارتقاء (سويًّا) على صراط مستقيم، فإنّ سلوكه وفعله انحدرا إرادة عمّا خُلق عليه من ارتقاء واستقامة؛ فالإنسان لم يُخلق على الانحراف والحيوانية، بل هذه قابلة لأنّ تكون جزاء من سلوكه إذا تهيّأ لها، وهذه لا تكون إلّا من تدبّر عقله وتهيئة نفسه، فلا يليق به أن يكون مثل ذلك الذي يمشي مكبّا، {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سويًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}125، ومع ذلك، انحدر دونية عمّا خُلق عليه من حسن قوام وتقويم، عندما خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الأكل من تلك الشّجرة، ومن هنا، كانت النقطة الصّفرية التي بدأ منها رسم المنحنى التكراري للسّلوك الإنساني وفعله، ولم تكن النقطة الصفرية من دونية إلى علوٍ ورفعة، بل كانت من علوٍ إلى دونية، وهذه أوّل مخالفة (أوّل استثناء) والتي أعقبتها استثناءات وفقًا لما هيّأ الإنسان نفسه إليه دونية وانحدارا. فهو الذي خالف

[124] الإسراء 70.

[125] الملك 22.

حُسن الخَلق الذي به تميّز عن غيره من تلك الزّواحف ومكبّة الأوجه، ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق والتي إن تهيأ لها كانت صفة من صفاته الحسان، وإن تهيأ لما هو سفلي فليس له إلّا السُفلية والانحدار الذي لا يليق بمن خُلق على حُسن التقويم.

ولهذا؛ فمكوّنات التهيّؤ لم تكن مقتصرة على الوجود المادّي فقط سواء أكانت المادّة (ماء، أم نارا، أم هواء، أم ترابا، أم كلّها مجتمعة)، بل كان الكون بأسره بين مادّة تلمس ومادّة تحتاج إلى معرفة، وبين روح يصعب إخضاعها للمشاهدة، وبين عقل يدرك كلّ شيء في دائرة الممكن، وبين نفس تتأثر سلبًا وإيجابًا كما أنّها تؤثّر في غيرها سلبًا وإيجابًا. ولهذا فالكون مبنيّ على معطيات تتعدّد ويصعب عدّها، سواء أكانت طاقة، أم مجرّات، أم فراغا وظلمة، أم نجوما وكواكب، وهذه جميعها تتمدّد بين المستحيل بلوغا، والمعجز نشوءا ومعرفة، والممكن تيسيرا وصعوبة.

**تهيّؤ مادّي نفسي:**

التهيّؤ المادّي النفسي مكوّن معقّد بين الصّحوة والغفلة، وبين الحاجة ومشبعاتها، وبين المطلب والاستجابة، وبين المزاج والوعي، وبين المرونة والتصلّب، وبين المتهيئ والمأمول، وبين الصدق والتحايل، وبين الحقّ والواجب، والمشاركة والانطواء. وبين التخطيط والإقدام على العمل.

والتهيّؤ المادّي لا يكون إلّا ملموسا على أرض الواقع وجودا، وهو نتاج الفكرة المتبيّنة لأمرها، وما ينبغي أن يفعل من أجل النفس؛ فالنفس متى ما كانت مطمئنّة تحفّزت إلى التدبّر الممكّن من العمل المنتج نفعا.

ومن ثمّ؛ فإنَّ اشتراك الأعضاء المادّية مع الجانب النفسي من انفعالات تدخل في تشكُّلات التهيّؤ؛ فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف

ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات منها:

- أن تكون خائفا؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيّؤ.

- أن تكون حذرا؛ فأنت مهيّأ لتركها وشأنها.

- أن تكون مرتهبًا؛ فأنت مهيّأ لمواجهتها إمَّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنَّها ثلاثة احتمالات فإنَّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به الثُّعبان؛ فالثّعبان لا يخيف، بل الثُعبان مُرهب، أي أنَّ العاقل هو الذي يُخيف لأنَّه عاقل قادر على التفكّر والتذكُّر والتحايل، ومع ذلك فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا الثّعبان فهو غير عاقل وبالتّالي القاعدة تنصّ على أنَّ (العاقل يخيف وغير العاقل يُرهب) أي أنَّ الصّاروخ والقنبلة النووية وأيِّ قنبلة أو سلاح فتّاك، وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب، أمّا العاقل فمجال التفاوض والتسامح حيّزه واسع، والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من سيئ إلى أحسن كلّما أحسن الإنسان تصرّفه وتفكيره.

فما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، إنّه يدلّ على أنَّ الإنسان بين التسيير والتخيير (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء، وكلّ حسب ما يهيئ الإنسان إليه إرادة.

وعليه:

. هيئ نفسك علما ومعرفة.

. هيئ نفسك بنية.

. هيئ نفسك تطلّعا.

. هيئ نفسك مشاركا.

. هيئ نفسك متفهّما.

. هيئ نفسك مخيّرا.

. هيئ نفسك مستوعبا.

. هيئ نفسك منتجا.

**تهيّؤ مادّي نفسي عقلي:**

التهيّؤ كونه قيمة يمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه نفسه وعقله، ويمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه غيره. ولهذا كلّما هيأ الإنسان نفسه كلّما استغنى عن تهيئة الغير له، وهذه من موجبَّات التهيّؤ، ولكن إذا قصر الإنسان عن تهيئة نفسه تجاه الأشياء وتجاه الآخرين فيكون في حاجة لمد يدّ العون لتأخذه بما يمكن أن يهيئه لما يجب.

والتهيّؤ كونه مولود الفكرة والتفكير ومحاولة حُسن التدبّر لا يمكن أن يكون مستقلا بذاته، بل لا يكون على الدّلالة والمعنى إلّا إذا تجسّد في الشيء بعد أن ينضج فكرة تامّة، وهذا النّوع من التهيّؤ أعلى من التهيّؤين السابقين، حيث تشترك فيه الأداة المادّية والانفعال النّفسي الذي مصدره الشّعور، والجانب العقلي القائم على المعلومات وسلسلة الأفكار ذات العلاقة بموضوع التهيّؤ؛ فالذين يُخرجون من ديارهم بغير حقّ يتهيّأون مادّيّا ونفسيًّا وعقليّا للذود عن ديارهم وكرامتهم، حتَّى يردُّوا اعتبارهم واعتبار من له علاقة بهم؛ فهم

متهيّئون نفسيّا لردّ الاعتبار، ومتهيّئون ماديّا بتقديم الأنفس والأموال التي بها تخاض الحروب، ومتهيّئون عقليّا برسم الخطط وفنون القتال وما يترتَّب على الحروب من نتائج في النّصر أو الهزيمة، ولذا تتداخل معطيات القوَّة بين قوى النّفس وقوى المادّة وقوى العقل في صيرورة معرفيّة، تهيّؤ لِما يجب عندما لا يغفل الإنسان عن أهميّة التحليل الموضوعي للصغيرة قبل الكبيرة، وإن لم يراع ذلك يجد نفسه أمام المواجهة التي لا تعرف الاستثناءات.

فالتهيّؤ المادّي والنفسي والعقلي هو حُسن تدبّر يستند على التخطيط ورسم السياسات تجنّبا للغفلة وما تتركه من أثرٍ سالبٍ؛ فبنو آدم عندما لا تكون لهم آمال، لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا آمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس. ولذا؛ فلا ينبغي إغفال أهمية التهيّؤ المادي والعقلي والنفسي إن أردنا سلامة ونجاحا وتقدما.

وعليه:

ـ إن تهيأت ينسحب الجُبن من نفسك.

ـ إن تهيأت تنسحب الغفلة من عقلك.

ـ إن تهيأت ينسحب الخمول من بدنك.

ومع ذلك لا يمكن أن يكون الارتقاء المتهيأ له ماديّا ونفسيًّا وعقليا على حساب الغير، بل ينبغي أن يلتحم مع جهودهم المتهيئة لجمع الشمل وزيادة الإنتاج، أو ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليّات.

وعليه؛ فمن يهيئ نفسه لارتكاب ما يسيء للغير أو أن يأخذ بما نُهي عنه؛ فسيجد نفسه من النّادمين، كما ندم أبونا آدم بعد أن خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يهيئ نفسه للارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام التي أصبحت أملا بعد أن كانت حقيقة بين يديه.

ولأنّ بني آدم مهيّأون بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وبين ما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشّأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء يتهيأ الإنسان له مادّيا ونفسيًّا وعقليا حتى يكون عملا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل التهيّؤ للعمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوِّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤوليَّة ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا بأسباب ما يتهيأ له شخصانيا.

الارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إذا تهيأوا ماديّا ونفسيًّا وعقليّا مع الرّغبة عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إذا تهيّأوا للظلم والتشدّد والتطرّف، ولذا، في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فمن شاء الارتقاء تهيأ له وعمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار تهيأ له وعمل من أجله سُفليّة[126].

[126] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ص 243.

فالإنسان عندما يتهيأ للنّهوض ينهض ويرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما يتهيّأ إلى الانحدار يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانيَّة في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان، {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}127.

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرين فيما هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه وبين من هو في دونيّة.

**تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي:**

عندما يكون التهيّؤ في الاتجاه الموجب تصبح الرّوح والمادة والعقل والنفس قوّة موحّدة في اتجاه البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض، وفي المقابل عندما تفارق النفس العقل، أو أن يفارق العقل النفس فلا إمكانية للتهيؤ تجاه ما يجب، بل حياة الإنسان تصبح في حاجة للعناية والرّعاية، ولهذا فالتهيّؤ التّام الموجب هو الذي يمكّن من بناء الأنا الموجبة والذّات المتفاعلة والنفس المطمئنة.

إنّها المعادلة الرّباعية التي تهيئ ما يجب أن يهيأ، كما أنّها تهيئ من يمكن أن يتهيأ لفعله أو عمله، إنَّه أقوى مستويات التهيّؤ لدى الإنسان حيث وجود التهيّؤ الرُّوحي القائم على يقينيّات الإيمان الكامنة في القلب، فضلا عن عناصر

---

127 الأعراف 166.

التهيّؤ الأخرى المادّية والنفسيَّة والعقليَّة، ولأنَّه روحي؛ فمكمنه القلب الذي يدرك اليقينيَّات كلَّما تطهَّر من الغِل، والحقد والكره والظلم والحسد، وكلِّ ما هو ذميم الخلق.

وعليه:

فالتهيّؤ للارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ارتفاعا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُفليّة، وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة عيشا رغدا. ومن هنا، وجب التهيّؤ للعمل المحقّق للعيش النّعيم الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

التهيّؤ مرحلة مخاض فيه الحيرة تلعب دورا رئيسا في إيجاد مخرج منقذ؛ فهي التي تملأ الفكر وتشغله قلقا إلى أن يستبصر أملا يستوجب عملا وجهدا يُبذل في سبيل بلوغه، وهي المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

ومن هنا؛ فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازا أو ممكنا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلّا بعد تهيؤ.

والحيرة تعدّ معطية عقلية تميّز الإنسان تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وتستفز الذاكرة بما هو محيّر حتى توقظها إلى ما يجب التهيّؤ إليه انتباها، ومن ثمّ؛

فالفِكْر الإنساني يتمركز على نضج الفِكَر، وصوغها في قضيّة تجيب على التساؤل الفلسفي المحيّر وهو: (كيف؟). ذلك لأنَّ الفِكْر ملكة عقلية تثيرها مستفزّات المشاهد والملاحظ والمجرد على السّواء؛ فتتعامل معها تفحّصا بلا إشارة قف، ولكن وفقًا للمقدرة التي لا تكون إلّا تهيأ.

ولأنّ الكون قد هيّأ للحياة نشوءا؛ فنشئت الأرض فيه، ومنها الأزواج نشئت كما هو حال آدم وزوجه وغيرهما من الأزواج المعلومة وغير المعلومة، ثمّ من بعد نشوء الأزواج جاء النشوء التزاوجي من الأزواج كثرة؛ وهذا ما يلفت الإنسان لعقله تفكّرا ليهيئ نفسه لإنشاء ما هو ممكن حتى يبلغ المعجز معجزا والمستحيل مستحيلا. أي ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى كلّ شيء من حوله، ويتساءل:

كيف خلقت أشياء؟

كيف كانت الأشياء أشياء؟

ولماذا كانت على الاختلاف والتنوّع؟

أي ينبغي أن تكون هذه التساؤلات معطية تلفت العقل الإنساني إليها لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوِّرة، حيث كلّما تهيأ الإنسان والتفت إلى الأشياء معجزة، اكتشف شيئًا جديدا يمدّه بالمزيد المعرفي؛ فالأرض كونها شيئًا مليئا بالخامات والثروات الثمينة، فمن بلغها اكتشافا ومعرفة تمكّن من تشييد المزيد نشوء حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة ولا يتهيأ إلى المزيد المعرفي؛ فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونية التي لا تزيده إلّا قلّة شأن.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه

أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[128]. ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارا، ولذلك ينبغي أن يتهيأ بنو آدم ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُقلة الممكِّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

**معيارية التهيّؤ:**

معيارية التهيّؤ تتعلّق بجودته؛ فإن كان تهيؤا بغاية خيّرة كانت معاييره قيما وفضائل، وإن كانت على غير ذلك؛ فقد تؤدّي بصاحبها إلى ما يؤلم؛ فالمعايير هي تلك الثوابت التي على ضوئها يتمّ تقييم الأشياء قبولا أو رفضًا، وهي التي لا تكون أحكامها مزاجية ولا شخصانية، بل هي الأحكام الموضوعية ذات الاعتدال المتوازن حيث لا ميول عن الحقيقة وما يؤدّي إلى إظهارها بين النَّاس بلا انحياز ولا مظالم.

وهي التي تمتدّ على السُلَّم القيمي بين ما يقبله ويستحسنه ويُفضِّله العقل الإنساني، ويَقْدِمُ على فعله، وبين ما ينتهي عنه، ويرفضه ويُحرِّمه ويقاومه، ويُجرِّم أصحابه دون تردّد. أنَّها معادلة بين طرفين (مَنْ يقبل ومَنْ يرفض) وبين هاتين الكفَّتين يسعى الإنسان لأن يكون مركزا للتّوازن والاعتدال الذي لا يؤسّس إلَّا على مُظْهِرات الحقيقة (هي كما هي)؛ فمن يتهيأ لها عن بيّنة يمتدّ إلى ما يمكّن من بلوغ المأمول من ورائها، ومن لم يتمكن عن بيّنة

---

[128] البقرة 37.

تصبح تهيؤاته مجرد تهيؤات. والتهيّؤات هنا تشير إلى ما يبدو للبعض ولا يبدو للغير، أو ما يبدو للبعض وهو لا يزيد على كونه تهيؤا في حدّ ذاته.

ولهذا فمعيارية التهيّؤ تتّضح من خلال ما يؤدّيه تجاه المستهدف أو المأمول، فإن مكّن التهيّؤ أصحابه من بلوغ الغايات ومن بعدها نيل المأمولات؛ فإن ذلك لا يكون إلّا نتاج جودة معاييره.

ولأنَّ عقل الإنسان معياري؛ فهو قادر على إجراء المقارنات والوصول إلى نتائج تمكّنه من التمييز بين الحلال والحرام، وتُهيّئه لأن يختار بإرادة حلالا أم حراما أو يتَّبع باطلا أم صوابًا؛ فالقيم التي تهيّئ الإنسان لأن يقْدِمَ أو يحْجِمَ عن تأدية الأفعال، هي تلك القيم التي تسمح للعقل أن يجري مقارنات ويصدر أحكاما قد تجعله في المواجهة مع من لا يُقدِّر حقّه في اتخاذ ما يشاءه من قرارات؛ فيكون الصّدام بين من يؤيّد وبين من يعارض، ومن هنا تتولّد الأفكار التي تستدعي تصرّفا متوازنا، أو تصرّفا لا توازن فيه كلّ حسب استنتاجاته ومقاييسه التي اعتمدها لتقييم ذلك المقبول أو المرفوض، الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيّؤ بالخروج لوضع الاستعداد، ومن ثمّ مباشرة الفعل، وإمَّا كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى التهدئة وعودة الاتزان ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيّؤ المتكوّن لدى الأنا أو الآخر لفعل قد أريد به الآتي:

. إنجاز هدف.

. تحقيق غرض.

. بلوغ غاية.

. نيل مأمول.

وبالتأمُّل في كلٍّ ما حولنا نرى أنّه مهيّأ من قبل الخالق لاستقبالنا نحن البشر، ومهيّأ كذلك ليكون مسخَّرا ومذللا لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيّؤ من الخالق ما كانت المخلوقات مستقرّة على سطح الأرض التي خُلقت وهُيئت مُستقرا بالجاذبية التي يُسِّرت بها وسُيِّرت عليها؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقرّ شيء على وجه الأرض، ولما تيسَّرت السُبَل للإنسان، وتأسّست العلاقة بين الأزواج إعمارا وإصلاحا؛ فكانت للحياة مقوِّمات من ماء، وهواء، ونور، ونار، وتراب، وحركة، وزمان، ولذلك تعدّدت ثروات الأرض لتشبع حاجات الإنسان المتهيئ لإعمارها.

ولأنّ التهيّؤ من طبيعة المخلوقات، لذا فإنَّ التهيّؤ البشري لا يأخذ طابعا عامّا مثل المخلوقات الأخرى التي طُبعت به غرائزيا، بل يختلف من فردٍ لآخر، وذلك باختلاف مؤثّرات الفضائل والقيم التي عليها تأسّست الأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النّفس الإنسانيَّة من مؤثّرات بيئية سلبية وإيجابية في تشكّل التهيّؤ المعياري لدى الأفراد والجماعات والمجتمعات.

التهيّؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء مادّية وقضايا عقلية وانفعالات عاطفية ومسائل روحية، وبتلاقح بعض منها مع بعضها الآخر، يتولّد نوع معين من التهيّؤ المعياري في اتجاه قابل للخروج إلى مرحلّة الاستعداد لممارسة الفعل، ولذا لا يمكن أن يكون أحاديّ المصدر، ومن خلال تداخل ما يستفزّ العقل والنّفس والرّوح والبدن ينتج التهيّؤ كمستجيب للمستفز أو المقلق أو المحيّر، ليبحث عن باعث يشبع حاجة، بواسطة مكوناته الآتية:

ـ مادّية حركة وامتدادا ومشاهدةً.

ـ عقلية من سلسلة الأفكار الممكّنِة من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر.

. نفسيَّة من انفعالات العواطف وضغوطات الأحاسيس والمشاعر.

. روحية من يقينيّات الإيمان.

**معطيات التهيّؤ:**

معطيات التهيّؤ للفعل هي تلك المستفزّات التي لا تُقبل بأيّ حال من الأحوال، ممّا يجعل الإنسان مهما بلغ من الجبن ليس له إلّا أن يرفض ويتهيأ لتقبّل المؤلم متى ما ترتّب عليها، ولكن لا يتقبّله رغبة بل تحدّيا تكون فيه المواجهة هي العنوان.

ومع أنّ منتجات التهيّؤ مستفزّة، فإنّها لا تقتصر على سالبٍ، بل تتعدّاه إلى الموجب والمطمئن، حيث فيها من المحرّضات على العمل والبناء والإعمار ما فيها، وفي كثير من الأحيان تتجاوز المطالب الخاصّة إلى المأمولات العامّة.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو متوقّع وغير متوقّع وسالب وموجب؛ فمن النَّاس من يتهيّأ لأعمال الإصلاح والإعمار، ومنهم من يتهيّأ لأعمال الإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ، وفي كلِّ الأحوال مع أنَّ التهيّؤ مرحلّة ما قبل الاستعداد والتأهب والفعل فإنّه لا يمكن أن يكون تهيّؤا إلّا بمعطيات وفيها من التضاد ما فيها، ومن هذه المتضادات:

. الحاجة وما يشبعها.

. القيام بالفروض، واتباع السُّنن.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسؤوليَّات.

. نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام.

. غرس الثقة.

. الإقصاء والعدوان والإذلال والحرمان.

. التسفيه والاستغفال وتقديم الإهانات والمساس بالكرامة.

. الاحتكار والاستغلال ونشر الفساد.

. السخرية من الدّين أو المساس به وما يتعلّق به من أمر.

. احتلال الأوطان أو القيام بأعمال الإرهاب.

. تزوير الحقائق وشهادة الزور والعمل على طمس الخصوصيَّة.

. الاعتداء على الملكية الخاصّة ومصادرة الرّأي.

**التهيّؤ في مواجهة التهيّؤ:**

ولأنّ التهيّؤ حيوية تتمدّد من السّكون إلى الحركة؛ فهي ستكون حيويّة ذات أثرٍ موجب أو سالب على المتهيئ ومحيطه الاجتماعي، وستكون في المقابل لها ردّات الفعل بين قبولٍ ورفض.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فكما يتمَّ التهيّؤ لأداء الأفعال؛ فكذلك يتمَّ التهيّؤ يقظة لمواجهتها بأفعالٍ مضادة لها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيّأون لارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المرهِبين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكل قوَّة، أمَّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزّناد مرتعشة في حالة

ما إذا كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل أفعال المنفِّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك فمن تهيّأ واستعدَّ لفعل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ يقظة لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، أي: دائمًا عندما يتوافر حُسن النيّة تكون المعلومة الصّائبة وحدها هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة وقهرها حجّة، ولكن إذا لم تتوافر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائما تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وتهيُّؤاته التي يقوم عليها يتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفَلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سالبها وموجبها؛ ولهذا يجب أن ينتبه الإنسان إلى الآتي:

. مراجعة القيم لتثبيت المفيد والمرضي وتصحيح المشوّه منها.

. مراجعة المناهج والمقررات التعليمية وجعلها مواكبة لحركة التغيير والتطوّر، وأن تكون ملبيّة لحاجات المتعلمين إلى المعرفة.

. أن تكون المقررات التعليمية مستفزّة لعقول المتعلمين حتى تشدّهم إليها وتقودهم إلى ما يجب.

. أن تكون عقول المعلّمين مستنيرة بالمعرفة الواعية والمتجدّدة ومتفهّمة لمراحل النمو وما ينبغي أن ينتبه إليه.

وكلما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عمليَّة التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ لا يكون إلّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجًا من القوى العقليَّة والجسمانيَّة والرُّحيَّة وهي في آنٍ واحدٍ تُعِدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرّوح لتكون متهيئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وتُعد لحظة التهيّؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ أنّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ؛ والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار؛ ولهذا فلا تهيؤ بلا إرادة، ولا إرادة فاعلة بدون تهيؤ.

والتهيّؤ مع أنّه نفسي وعقلي، فإنّ أصحابه الذين تهيّأوا إلى ما تهيؤا إليه هم في حاجة إلى توجيه وإرشاد من الذين لهم في ميادين المعرفة والتجربة والخبرة باع كبير، ولهذا فعلى من يتهيأ لما يشاء ألا يغفل عن استشارة المؤهلين للمشورة قدوة أو معرفة أو خبرة وتجربة.

وللتهيؤ مصادر منها:

. الفضائل الخيّرة.

. القيم الحميدة.

. المقررات الناجحة.

. الحواضن الاجتماعيَّة الواعية.

. وسائل الإعلام المرشّدة.

. مراكز البحوث المتقدّمة.

. الأندية الرّياضية المتطلّعة.

. مراكز التأهيل والتدريب المعدّة تقنية.

. الأفكار المتفتّحة والتي يمكن استمدادها استنارة، ومن ثمّ تُكتسب وتمكّن من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسلة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

إنَّ الأفكار التي تغذي العواطف وتستفزّ المشاعر وتُوَجِّه الأحاسيس، هي التي تدفع الإنسان فكريّا ثمّ تدفعه سلوكيّا ليكون على ما يكون عليه من تهيؤ وإرهاب. لذلك فمتهيئات اليقظة كامنة في العواطف بتعدّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوج نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثّر سلبيّا عليه، وأمّا إذا اشتدّت العاطفة فإنّها تستدعي معظم الأفكار الخاصّة بالحدث بمؤثِّرات خارجيّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليّا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوَّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهتها يقظة من الضمير الذي يُقدِّر الأنا والآخر دون تحيُّز، ولذا عند ما يُصرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيّؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذّاكرة.

ولهذا فالتهيّؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتَّخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ولسائل أن يسأل:

هل يمكن للإنسان أن يُقدِم على تحقيق مُنجز غير متوقّع دون أن يتهيأ له؟

تحقيق أو إنجاز غير المتوقّع ليس بالأمر الهين؛ فهو لا يمكن أن يتحقّق هكذا ضربة عشواء، بل يتحقّق بحسن التدبّر الذي لو لم يكن صاحبه متهيّئا له ما كان متحقّقًا أو منجزا؛ فغير المتوقّع لو لم يتهيأ له وتُحدّد له الأهداف وترسم الخطط من أجله ما كان فعلا منجزا بين الأيدي.

التهيّؤ قيمة حميدة يجعل الإنسان على حالة من التطلُّع لما يجب قبل أن يحين وقت وجوبه، وهو يقظة مسبقة بالفعل المتوقّع قبل وقوعه.

فالتهيّؤ يعكس إدراك الإنسان لِما هو ممكن وفقًا للواقع الذي سيكون عليه، ولهذا يكون الإنسان منتظرا الزّمن الذي سيأتي، ليقدم على الفعل أثناء وجوب أدائه وفقًا للخطة المرسومة والمعتمدة دون تأخير، ومن هنا نجد

المتحفِّزين والمتدافعين في حالة حركة مع حركة سُنن الحياة، وهم يحقّقون المنجزات جهودا تبذل.

التهيّؤ كونه تخمينًا في لحظة الصّحوة دائمًا يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ فبدونه لن يكون العمل أو الفعل إلَّا وظيفة لا تؤدّى إلَّا بمقابل، ولا تُقدَّر إلَّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ هو المحدِث للفعل والمحقّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين، وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

التهيّؤ لا ينجز الفعل مباشرة (بمجرد اكتمال التهيّؤ أو وضوحه) بل التهيّؤ يزيح العقل من التخمين في الشيء إلى البحث عن العدّة ثمّ الاستعداد لما يأمل أن يقوم به أو يواجهه أو يفعله؛ أي لا يمكن أن يكون التهيّؤ غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه أعظم وهي بلوغ المأمول.

ومن هنا تُحدّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هو الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار عن وعي ودراية معرفية مع حسن تدبّر.

ولهذا فمصادر التهيّؤ بالنّسبة للإنسان، هي الأفكار المكتسبة والممكِّنة من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسلة

المُمكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

ومن ثمّ ينبغي على الإنسان أن يتهيأ لما يجب، حتى لا تحدث له المفاجآت المؤلمة؛ فتصبح أحواله تتبدّل من حالة المبادرة إلى حالة البحث عن منقذ. وبالتالي ينبغي أن يبحث الإنسان عن أملٍ له يشغله اهتمامًا وتفكيرًا حتى تلد له الفكرة فكرة تلد حلّا.

ولذلك فالعقل والفطنة والاحتراس والحيطة مفاهيم تتماثل ولا تتطابق، ممّا جعل للصدام والنزاع بداية ونهاية، فما يعتقده الأنا في بعض الأحيان صوابًا قد يجهله الآخر أو يغفل عنه، وما يعتقده الآخر صوابًا قد يجهله الأنا أو يغفل عنه، ولهذا تتّسع الهوّة بين الأنا والآخر بالمعلومة الخاطئة وتضيق بالمعلومة الصّائبة، ولكلٍّ حسبانه، ومهما اشتدّت قوانين الاحتراس والفطنة والحيطة ومهما بلغ العقل من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر لا يكون مُحصَّنًا من الوقوع في الفخِّ.

ومن ثمَّ فالتهيّؤات تتقابل عقلًا وغريزة وكأنّها في مناظرة بين الأنا والآخر؛ فكما أنّ صيادًا يتهيّأ لصيد الطريدة، عند مرحلّة ما قبل الاستعداد للرّمي، فإذا وصل إلى مرحلّة الاستعداد، خضع لقرار الإرادة، وبالتّالي فإنَّ الطريدة تتهيّأ هي الأخرى من خلال استشعارها الخوف عن طريق الغريزة، وهذا الخوف هو الذي جعلها تتهيّأ من أجل الاستعداد للفرار، ولهذا فالحيوان يستمدّ تهيّؤه من غرائزه، أمَّا الإنسان فتهيّؤاته مرتبطة بالعقل الذي به يتطلَّع إلى المستقبل ويُميِّزَ بين ما يجب الإقدام عليه دون تأخير، وما يجب الإحجام عنه دون تردّد.

ولأنَّ التهيّؤ البشري لا يكون إلَّا عن دراية ووعي؛ فإنَّ الدّراية والوعي تستدعيان تقدير الآخر واستيعابه، وتفهُّم ظروفه التي تتغيَّر مع تغيُّرات العصر

والتطوُّرات التي بها يندفع إلى الأمام، لذا فوقت الفراغ عند الشّباب ما لم يُملأ بدراية لا بدَّ أن يُملأ بغيرها، وهنا قد تتولّد التأزُّمات بين من يدري ولم يتهيّأ لذلك، وبين من لا يدري فلم يضع اعتبارا للآخرين. لذلك ينبغي أن يكون وقت الفراغ مهيّأ للنّفع لا للضّرر؛ فإذا لم يُحسَن استغلال أوقات الفراغ فإنّها تتحوّل إلى معطية لتدمير طاقات الإنسان كأن يلجأ الشّباب إلى تعاطي المخدّرات وتناول المسكرات، ممّا يجعلهم على حالة من القلق والملل والتوتّر، وإلى كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحراف أو التطرُّف.

ولذلك؛ فالتهيّؤات تتقابل في مساحة الحيرة العقليَّة والفكريَّة؛ فتتغلّب الواحدة على الأخرى في دائرة الاختيار؛ فيكون الظهور بما هو مقنع للأنا وقد يكون مرضيا للغير أيضًا، كلّ حسب معاييره المستخدمة في عمليَّة القياس الممكِّن من المعرفة عن بيّنة.

وعليه: لا عمل ينفع إلَّا بعد تهيّؤ للبناء والإعمار والإصلاح، ولا علم ينفع إلَّا بعد تهيّؤ لِما هو أعظم، ولا تربية تنفع إلَّا بعد تهيّؤ بالفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النَّاس لتهذيب الأخلاق وتقويم السّلوك، وبناء القدوة الحسنة المتّعظة والمتهيئة لأن تعظ الآخرين عن حُسن سيرة ودون أيّ إكراه.

فالتهيّؤ قوّة دافعة تجاه ما يجب من وجهة نظر المتهيّئ، وهو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور حتى يصبح بين أيدي النَّاس قابلا للمشاهدة والملاحظة، وهنا فالتهيّؤ هو الحالة التي يبدو عليها المخلوق في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن الموجب والسّالب (المتوقّع وغير المتوقّع).

**تهيّؤ الخائف للرّفض:**

الرّفض هو ذلك الامتناع مع تحدٍ للمرفوض، وهذا الأمر لا يكون رفضًا إلّا بعد تهيؤ تُنسف فيه جسور التردّد والخوف، والتهيّؤ للرّفض هناك من لا ينظر إليه إلّا من الزّاوية السلبيّة، وهناك من ينظر إليه موجبًا، أمّا نحن فنراه قيمة تستوجب التقدير حتَّى تنال الاعتراف بعد حوار ينبغي ألا تكون نتائجه تقود إلى المواجهة والصّدام؛ فالرّفض إن قاد إلى حوار موضوعي لا يؤدّي إلّا إلى التقبُّل الممكِّن من القبول بما هو مشترك وفقًا لحقوق يجب أن تمارس عن إرادة، وواجبات ينبغي أن تؤدّى بحريّة، ومسؤوليّات يجب أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

فالتهيّؤ للرّفض هو تهيؤ لاتخاذ قرار مترتّب على ما يمكن الإجابة عليه (نعم، أو لا)، ومن يرفض قبول الإجابة المترتّبة على ذلك السؤال بشقي الإجابة: المتوقّعة وغير المتوقّع، يكون قد اتخذ قرارًا مسبقًا بالرّفض، ممّا يجعل رفضه في غير مكانه الموضوعي؛ ذلك لأنَّ السّؤال موضوعيًّا يفتح فسحة أمام الاختيار لأحد أمرين (نعم، أو لا) دون وجوب تكميم؛ فإنْ كان قرار التكميم حاضرًا؛ فلا مجال ولا فسحة للإجابة بـ(لا)، حتى وإنْ كانت الشفافيَّة والدِّمقراطيَّة هما الحاضرتان، فلا يمكن أن يجد التكميم محلا ليحلّ فيه بين الأنا والآخر، وهما على حرّيّة الاختيار بين (نعم ولا).

وهنا تكون دلالة التهيّؤ للرّفض في مواجهة دلالة القبول؛ فالإنسان الحرّ يمتلك الفسحة المستوعبة للرّفض بالتّمام كما هي مستوعبة للقبول، وإلى هذا الحدّ لا مكان للاختلافات، فالاختلافات تظهر عندما يصبح الرّفض بين موجبٍ وسالبٍ، والقبول كذلك يتطابق معه على التساوي الحرّ.

ومع أنَّ اللغويين قد عرّفوا الرّفض بأنّه الترك"129، فإنّنا لا نتّفق معهم من حيث المفهوم؛ ذلك لأنَّ الرّفض من حيث المفهوم هو عدم القبول، أمَّا الترك فهو فعل لا يكون إلّا مترتّبًا على قبولٍ سابقٍ، أي لو لم يكن هناك قبول سابق ما كان من بعده فعل التّرك متحقّقًا؛ فالترك تخلٍ عمَّا يحمله القول الصادر من وعيد أو إصرار على الفعل، أو أنَّه تكفير عن الفعل الذي فُعل، أو العمل الذي ارتكب، أو السُّلوك الذي تمّ.

وعليه: عندما يتهيأ الإنسان للرّفض فقد تهيأ لترك ما لم يكن مرغوبًا فيه، وهو المدحور تجنّبًا أو تحرُّزًا أو حذرًا وخوفًا من التعرّض لِمَا لا يحمد عقباه؛ ولذا فالرّفض لكلِّ ما هو معيب هو قيمة حميدة مرضية للإنسان الذي لا يرى في الحياة إلّا قيمة ترسّخ قيمة الإنسان دون أن تمسّ كرامته بسوء.

والتهيّؤ للرَّافض هو الذي يجعل الرّافض لا يقبل المساومة في الحقّ؛ فهو الذي يأبى الطّاعة لغير الله وما أمر به جلّ جلاله، ولهذا فما دون ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يرفضه جملةً وتفصيلًا دون تردّد ولا جبن.

ولذا؛ فالتهيّؤ للرّفض قد يكون على الإيجابيّة، وقد يكون على السّلبيّة، فإن كان رفضًا للظلم والإفساد في الأرض كان موجبًا، وإن كان رفضًا للحقِ كان رفضًا سالبًا.

ولهذا فالتهيّؤ للرّفض يدل على التهيّؤ للامتناع وعدم القبول، والرّافض الحقّ هو الممتنع عن الإقدام على ما لا يجب، وهو الذي لا يقبل المساومة في الحقّ وإحقاقه، يتمسَّك بالفضائل ويحترم القيم ويتّبع أحسنها، أمَّا الرّافض للحقِ فهو الرَّافض لما يجب أن يتَّبع ويطاع، وعلى هذه القاعدة المنطقيّة كان سليمان عليه الصَّلاة والسّلام متهيًأ لرفض العرض المقدّم له من ملكة سبأ؛

[129] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، ج 3، ص 1078.

فرفض: {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}[130].

إذن: التهيّؤ للرّفض يظهر أسلوب وموقف منطقي عندما يوافق العقل في محاكاة حقائق الأشياء؛ فلا يمكن أن يكون الرّفض موقفًا لمجرّد المخالفة، ولكنّه في الوقت نفسه هو موقف حقٍّ مخالف للآخر عندما يكون الآخر مخالفًا لمنطق العقل[131].

---

[130] النمل 36، 37.

[131] عقيل حسين عقيل، الرفض استشعار حريّة، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م، ص 9 ـ 11.

## الإرادةُ

الإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرّغبة تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، وهي وثيقة الصّلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وتزيده ثقة، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة؛ فهي الدّالة على معرفة الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارا.

وعليه ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعي الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِمَ يتهيأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هيّ قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانا بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها، ولهذا يسعى الإنسان دائما لنيل الاعتراف لأجل تبوؤ مكانة اجتماعية أو علمية وإنسانية.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفردية هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعية وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجّودة. ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة فقد لا يحقِّق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي؛ فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة؛ فعليك ألا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعا[132].

---

[132] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 ـ 43.

فالإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما أقدم عليه من أخذ ببديل على حِساب بديل آخر، سواءً أكان ذلك المترتّب سالبا أم موجبا.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد.

ويتصوَّر كثير من النَّاس أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك؛ فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

والاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقا لتفضيلاته، أو وفقا لِما هو أقلّ ضررا، أو لِما هو أكثر ضررا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقا للمتاح مع مراعاته الظّرف الزّماني والمكاني ولكلٍّ خصوصية لا تتطابق مع خصوصيات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والاختيار والرّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ

التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب لتكون السَّبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال؛ فالتعويض مثلا هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة[133].

الإرادة، التي لا اختيار إلّا بها، ولا تقليد إلّا بها؛ فهي متى ما كانت واعية بما يراد، كان الاختيار صائبا، ومتى كانت غير واعية بما يُراد؛ فلا تكون إلّا خاطئة.

الإرادة قوّة اتخاذ القرار بلا مؤثرات خارجية كابحة، فبها تحدّد الأهداف وتنجز، وبها تحدد الآمال وتنال، وهي التي تعطي للتخيير معنى ودلالة، وهي التي لا تسقط إلّا والحرية منعدمة؛ ولذلك فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف التقدّم والارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على التّسيير فيما لا طاقة له به، فإنّه كذلك خُلق على التخيير فيما لا تسيير فيه؛ فهو بالنّسبة للمستحيل والمعجز مسيّر، أمّا بالنّسبة لدائرة الممكن؛ فهو مخيّر بين متوقّع وغير متوقّع وفقا للإرادة والمقدرة.

---

[133] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ص 117، 2011م.

فالإنسان خُلق على الفطرة والتقليد، وهو في أحسن تقويم، ثمّ جاء الإنباء ميسّرا لما تعسّر أمامه، ذلك لأنّه المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه، ولا تخيير له في ثنائية وجوده. بل التخيير كان بأسباب الاختلاف الذي خُلق عليه جنسا ونوعا، ولهذا، الإنس غير الملائكة والجنّ، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصية تجعله مختلفا عن خصوصيات الغير، وهكذا تكون الإرادة؛ فهي مع أنّها من حيث المعنى واحدة، فإنّها من حيث الممارسة فيهي بين تيسير وتعسير ولكلّ حسب ظروفه الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والذّوقية.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرا؛ فهو يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونية. ولأنّه مخيّر إرادة؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك كما يشاء، ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ هو بين يديه إرادة.

لقد تطوّر الفِكْر الإنساني من الاستئناس للفطرة، إلى الأخذ بالتقليد تخييرا؛ فكان إرادة بين مفترق طرق العشوائية الفكرية؛ مرّة يأخذ بما يؤدّي إلى الارتقاء، ومرّة يأخذ بما يؤدّي إلى الانحدار، حيث عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛ فاتّسعت الهوّة بينه وبين تلك المكانة ارتقاء؛ فكانت الدّونيّة بين يديه سلوكا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بواقع، ومع ذلك جعلته الظروف يفكّر في نفسه ومن حوله وما حوله، فبدأت الفكرة تلد بعد الفكرة حتى استقام أمره فِكْرا؛ فانتبه إلى أهميّة الأديان حتى أثارته وعيا تجاه ما يجب، ولكنّ الانتكاسات ظلّت تحفّه حتى أصبح كلما بنى حضارة أو

أسّس ثقافة، هدّها بيديه، وهنا تكمن العلّة التي تستوجب حلّا يعيد بناءها عن إرادة.

وهنا يختلف الإنسان عن بقية الكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، وهي في حقيقة أمرها بلا تطوّر، وذلك لسبب رئيس وهو: أنّها لا تمتلك الإرادة؛ فالإرادة وعيا هي خاصّية إنسانية، بها خُلق الإنسان متميّزا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص وصفات بقية الكائنات؛ فالإنسان في دائرة الممكن إرادة يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

وعليه:

الإرادة تمكّن من:

. تقبّل الآخر بلا مكاره.

. تفهّم الظّروف بغاية الاستيعاب.

. الرّفض عندما يكون الرّفض كسر قيدٍ.

. تقديم التنازلات متى ما لزمت موضوعيا.

. الانسحاب عندما يصبح التقدم مؤدّيا إلى مزيدٍ من الألم.

. المشاركة عندما تكون المشاركة فعّالة.

. التوافق عندما يكون التوافق منقذا.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسؤوليات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

**الإرادة تحدّي الصّعب:**

الإرادة مع أنّها قوّة يُمكِن أن تنجز ما لم يكن متوقّعا، ولكنّها تفاديا لما يؤلم تأخذ مساحة من التجنب، وهذا لا يعني أنّها تستسلم له، بل إنّها تبحث عن كيفية التخلّص منه حتى لا يترك أثرا وفيه تكمن العلل.

ولأنَّ الارتقاء الإرادي ممكن؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم بإرادة، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب إرادة) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها قهرا).

ولأنّ الممكن إرادة يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد

في نفس المتهيئ لأدائه، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وتنفيذه.

فامتلاك الإرادة في دائرة الممكن يمكّن من الارتقاء، الذي فيه المواجهة موجبة مع ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيّؤ والاستعداد والتأهّب إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيّأون ويستعدّون ويتأهّبون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

إذن؛ فمن تهيّأ واستعدَّ عن إرادة للعمل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ الإرادي للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ الإرادي متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول إراديا يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيّؤ استعدادا؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا

من التهيّؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما.

ومع أنّه لا إمكانية للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، حتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب إرادة يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذا؛ فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّت فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندانا.

فالصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها إرادة مع مزيد من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به.

لذا؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل إرادة على تدليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور

ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد إرادة، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب إرادة فعليك بالآتي:

. ألّا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. أصّمد؛ فالصّعب لا يصمد. أي عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض، ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[134].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

[134] الأحزاب 25.

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائما الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيا وقهرا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة تحدّيا ورغبة وإرادة، ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. أقبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل إرادة تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي إرادة تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب إرادة تجد الصّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن إرادة بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيّأون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

### مُدعِمات الإرادة:

الإرادة قرار قابل للتحقّق، والمحفِّزات القيمية تدعمها تجاه تنفيذ الفعل متى ما كان التهيّؤ حلقة من حلقاتها ومن هذه المدعمات:

### سلامة القصد:

القصد هو مدى سلامة النيّة الدّافعة لإظهار فعل الإرادة قولا وعملا وسلوكا؛ فإن لم تكن المقاصد واضحة قد توصف الإرادة بما لا يتطابق مع الفعل الظّاهر إرادةً، ولهذا ينبغي سلامة القصد حتَّى تتجسّد الإرادة فيما يتمّ الإقدام عليه من أفعال مستهدفة الإنجاز.

### وضوح القيمة:

الإرادة قيمة عندما تكون محرّرة من القيد، وهي تسبق أيِّ فعل ينال التأييد والاعتراف والتقدير العام، ومن هنا فإنَّ وضوح القيمة يحفّز الإنسان على اليقظة والاندفاع بمسؤوليّة تامّة قرارا وتنفيذا مع القبول بما هو مترتّب على تحرير الإرادة.

### وضوح الهدف:

وضوح الهدف في ذهن الإنسان يحفّزه على تحقيقه وفقا لِما يجب، أمَّا غموضه؛ فلا يجعله إلّا متخبّطا بين إقدام وإحجام، وهنا توجب الضّرورة وضوح الهدف أوّلا في عقل الإنسان الذي يمتلك معطيات اتخاذ القرار، ثمّ بعد ذلك يتم الإقدام على تحقيق الهدف في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

### سلامة الغاية:

ولأنَّ الأهداف يتمّ تحقّقها؛ فالغايات البعيدة يتمّ بلوغها، ذلك لأنَّ الغايات هي المقصد البعيد المترتّب على تحقيق أهداف وإنجاز أغراض، ممّا يجعل الغايات مكمن الحلّ الذي يأمله الإنسان عن إرادة وقصد.

### معرفة الصلاحيات:

الصلاحيات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به للمسؤول الذي عندما يفعل يكون مسؤولا مُقدَّرا، وعلى الخصوص عندما تكون الصلاحيات شرعية مستمدّة من الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة، ومن يودّ أن يكون مسؤولا يجب أن يكون واعيا قبل أن يفعل وإلّا سيكون في دائرة الاستثناء ظالما، ممّا يستوجب رفض مظالمه ومواجهته عن إرادة من أجل الإصلاح، وإلّا الرّحيل.

### . معرفة الاختصاصات:

الاختصاصات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به؛ فعندما يلتزم المسؤول بالحركة داخل مجال الامتداد الموضوعي يعدّ متّزنا ومعتدلا في الحركة الموجبة، وعندما يخرج عن ذلك يقع في دائرة المحاسبة والمساءلة، حيث تعدّ أفعاله سالبة أو منحرفة أو متطرِّفة، ولكي تؤدّى المسؤولية بإرادة في دائرة الإيجابية ينبغي أن تتماثل الصلاحيات مع الاختصاصات، ومن يعمل بغير اختصاص لا يستغرب إن واجهه قَصَاص شديد في الوقت غير المتوقّع.

### التبيُّن عن وعي:

التبيُّن عن وعي نشاط ذهني فكري للعقل يدلّ على وجود علاقة بين الأنا والموضوع، وبه يتمكّن الإنسان من المعرفة والدّراية التّامة، كما أنّه يُمكِّن من التمييز والمقارنة وحُسن الاختيار بين الأفعال الموجبة والأخرى السّالبة، ومن لم يُميِّز بين هذا وذاك لا يظنّ أنَّ الآخرين لا يميِّزون، وعندما يبلغون التمييز الحقّ لن يتأخروا عن الإقدام على الإصلاح وقبول دفع الثّمن الذي لا يُخيفهم في شيء يقبلونه بإرادة حتَّى ولو كان ثمنه فقدان حياة.

**بلوغ الإدراك:**

الإدراك غاية الشّيء والإحاطة به هو كما هو، فمن بلغ الشّيء أدركه معرفة وحسّا، ومن بلغ ذلك وجب عليه حُسن التصرُّف فيما أدرك، ولا ينسى أنَّ غيره إن أدرك أنَّه أدرك ولم يتدارك الأمر إعمارا وإصلاحا أو تربية وإرشادا وحفظا من الفساد والإفساد، سيجد نفسه بداية ملوما، ووسطا مهملا، وفي النهاية يُحكم عليه بأنّه منحرف يستوجب التقويم بكلّ الوسائل إلى أن يشهد الحقّ أو أن يكون الحقّ شاهدا عليه.

ولهذا فمن يقبل التقييم لفكره وحاله وظرفه يتمكَّن من فهم الحقيقة وتفهَّم ما يحيط به من ملابسات وتأزّمات، وكذلك يتمكّن من التقويم الذي به يتمّ التصحيح وتغيير الأحوال إلى ما هو أفيد وانفع للجميع دون استثناء لأحدٍ على حساب آخر.

فالتقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة لزمنٍ وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمنٍ آخر، ومن يتّقِ الحقّ يتمكّن من معرفة الحلّ ويمكنه الإقدام عليه إرادة، ومن يقبل أن يُقيّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم.

وعليه:

الإرادة على المستوى الإنساني ذات علاقة بمراد (مطلبٍ أو هدفٍ أو غايةٍ أو مأمولٍ)، وهي لا تكون إلّا في دائرة الممكن. أمّا إرادة المطلق جلّ جلاله؛ فلا حدود لها، كونه خالقها، وهو المهيمن، وأمره لا يكون إلّا نافذا.

ولأنّ الإرادة على المستوى البشري هي قيد البحث؛ فلا شيء يكون مرضيا إلّا من خلالها، وبالتالي أيّ تجاوزا لها يعد عائقا أمام نفوذها، ولأنّها

كذلك؛ فلا تهيؤ بدونها، ولا استعداد بدونها، ولا تأهّب بدونها، ولا فعل مرضٍ بدونها. أي: فلا إمكانية لممارسة الحرية بدونها.

إذن الإرادة يمكن أن تكون:

. إرادة مطلقة وهذه إرادة الله تعالى. {اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}135، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}136.

. إرادة اتباع، وهي المأمور بها من عند الله لتكون في مرضاته طاعة، والقيام بها قياما بفرائض، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ}137.

. إرادة اختيار وبها الإنسان قد تميّز تدبّر وتفكّر وتذكّر، {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}138، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}139.

. إرادة دستورية وقانونية، تعطي صلاحيات واختصاصات مقيدة لمن يتولى منصبا مسؤولا في إدارة دولة، أو شركة، أو مؤسّسة وما يشابهها. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}140. هذه الآية الكريمة تستوجب ألا يغفل الإنسان الإرادة عن طاعات ثلاث:

. طاعة الله.

. طاعة الرّسول.

---

135 البقرة 253.

136 البقرة 117.

137 الحشر 7.

138 آل عمران 152.

139 هود 118، 119.

140 النساء 59.

ـ طاعة أولي الأمر من النَّاس (منكم)، وهم الذين يتمّ اختيارهم أرادة تامّة ليكونوا أولي أمر، فتكون طاعتهم هي طاعة الأمر الذي أقرّه النَّاس، ثمّ انتخبوا أو اختاروا له من يتولى إدارته؛ فتكون طاعته مرتبطة بالتزامه بالأمر الذي هو من عند النَّاس، أي من الأمر الذي كلفوه به وكلفوه إليه، ليكون مسؤولا، ولهذا فلن تكون له طاعة إذا خرج عن الأمر الذي هو من عند النَّاس.

وهنا وجب التمييز بين أولي الأمر وهم الوالدين أو من يتولى الأمر بعدهما من الإخوة، وبين أولي الأمر منك وهم الذي يتمّ انتخابهم بإرادة.

وعليه:

ـ قوِّ إرادتك.

ـ امتلك إرادتك لتتمكّن من الإقدام.

ـ امتلك إرادتك تزدد قوّة.

ـ امتلك إرادتك تتمكّن من الاستيعاب.

ـ حفّز على ممارسة الحرّية حتى يتمّ التمسّك بالإرادة.

ـ استثمر الإمكانات المتاحة عن إرادة حتى يقوى رأس المال الاجتماعي.

ـ استثمر الطّاقات البشرية عن إرادة تمتلك قلوب النَّاس.

ولأن الفرد قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة. لذا فمن يريد أن يكون قويّا فعليه:

1 ـ أن يقوّي الإرادة.

2 . أن يصمّم عن وعي على ما يجب بلا تردّد.

3 . أن يبادر إرادة وتهيؤا واستعدادا وتأهّبا للإقدام على إنجاز الفعل.

4 . أن يخطط علميّا؛ فالتخطيط العلمي يبعد عن العشوائية.

5 . أن يتحدّى الصّعاب؛ فتحديها يرسّخ قيمة الإرادة.

6 . أن ينتزع الخوف من نفسه؛ فانتزاعه يحرّر الإرادة.

7 . أن يتفاعل مع الجماعة على كلّ موجب حتى تترسّخ الإرادة.

8 . الإرادة تمكّن من المشاركة متى ما تهيأ واستعدّ وتأهّب النَّاس إليها.

9 . التطلّع مع المتطلعين لكلّ مفيد نافع يفتح آفاق التقدّم أمام الارتقاء الإرادي.

10 . اتخاذ القرار عن إرادة يستوجب تنفيذه عن إرادة وإلّا ستكون الانتكاسة.

.

## إعداد العُدّة

الإعداد جهد يبذل بعد تهيئة لأدائه رغبة وإرادة، وهو المهيّأ للمادّة المراد إعدادها وتوفّرها وعرضها منتظمة ومصنّفة وفقًا للنّوع والجنس والجودة والفاعليّة والعطاء المؤثّر إيجابيا على أرض الواقع، ولذا فالإعداد للملائمة المناسبة للمطلب والحاجة من أجل تحقيق الأهداف المرجوّة وبلوغ الغايات المأمولة.

إمَّا إعداد العُدّة فهو ما يُبذل من جهد فكري وعقلي وتدبُّر من أجل العمل على توفير المال والعتاد والوسائل الممكِّنة من أداء الفعل وحصر البشر القادرين على تحمُّل الأعباء وفقًا للقدرة والاستطاعة، ثمّ تدريبهم وتعليمهم وتأهيلهم لاستيعاب العُدّة المتنوّعة والمتجدّدة والمتطوِّرة.

إذن: العُدّة هي تلك الوسائل المتطوِّرة عبر الزَّمن، التي يُعتمد عليها مادّيًا في إدارة القتال أو الحرب، وهي التي تولّد في أنفُس الأعداء الرَّهب، بها ينال التقدم وتخاض المعَارك ويتحقّق النصر، وكلّما كانت عالية التقنية وعالية الجودة كانت فعّالة في الميدان، وذات أثرٍ بالغ الأهميَّة في الخصم وفي الإعمار والبناء والإصلاح، ولذا فكلّما أُعدت وتمّ إظهارها استعراضا أمام العدو أرهبته وحقّقت الهيبة لمالكيها ومستخدميها والمرابطين بها على جبهات المواجهة وحدود البلاد.

ولذا؛ فالإعِداد ليس التهيئة، بل الإعداد سلوكي فعلي مادي، أمّا التهيُّؤ فليس بمادّي، الإعداد ترتيب متكامل لِما يجب إظهاره أو الإقدام عليه؛ فالإعِداد يحتوي على الترتيب والتنظيم والتجهيز، قال تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}[141].

ولأنَّه إعداد؛ فهو يحتوي على التنظيم والتدريب والتمرُّن على استخدامات العُدّة والتمرّس عليها بما يُمكّن المقاتلين في ميادين المعَارك القتاليّة من حُسن الأداء مع النيل من الخصم وإجباره على الاستسلام أو التفاوض الذي يمكِّن كلّ صاحب حقّ من حقّه ويعيد الحقوق المسلوبة لأصحابها بالقوَّة.

إذن: هناك تلازم علائقي بين إعداد العُدّة، وبين التمرّن والتدريب عليها، ومن يغفل عن ذلك، عندما تُكتب الحرب عليه سيفاجأ بأنَّ العُدّة فاقدة للمقدرة على حسم الصراع؛ فالصراع والقتال لا تحسمه العُدّة وإن تطوّرت، بل يحسمه من يدير العُدّة بجدارة وتفوّق يُمكِّن من الفوز ويُحقِّق النصر ويُرهب الأعداء، ولذا فالتمرّن والمراس ضرورة لإدارة المعَارك بتفنّن ومهارات عالية.

إنَّ درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ تقوى بقوّتهما وتضعف بضعفهما، فإنْ قويت حقّقت نصرا، وإن ضعفت أدّت إلى هزيمةً على المستوى الفردي أو الجماعي، مع أنَّ نتائجها على المستوى الفردي والجماعي قد ترتبط بأمرٍ خاص، ولكن على المستوى المجتمعي نتائجها تكون من أجل الجميع وبها تتحقّق الآمال ويُصنع المستقبل المشترك الذي به تصان حدود الوطن وتُرسَّخ الهوية العامَّة للأمّة.

ولأنّ الإرهاب مأمور به من الله تعالى، لذا يُعدّ الإقدام عليه فعل مرضٍ لمن آمن وأسلم وجهه لله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

[141] يوسف 70.

الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[142].

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جاءت أمرُ من الله تعالى للعباد، ولذا فإنَّ إعداد العُدّة لمواجهة من يشكّل خطرًا على الذين أمنوا غايتها تحقيق السَّلام الذي به تطمئن الأنفس، وتصان البلاد وأعراض العباد؛ فقوله: (وَأَعِدُّوا) هي: أمرُ مطلق مع وجوب السرعة في الأخذ به وتنفيذه، ولذلك فإنّ الأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكِّلون خطرًا على حياة النَّاس وممتلكاتهم وعلاقاتهم وفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة اجتماعيا وإنسانيا.

وقوله: (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدّ ما يُمكن أن يُعدُّ من عُدّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولهذا يجب العمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل الممكِنة من امتلاك القوّة وتوفّرها والتدرُّب عليها والمران من أجل إدارتها حتى تتيسّر استخداما إذا ما كُتبت الحرب أو أُقدت نار الاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة فإنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: إلى النهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النهاية التي تتجدّد في كلِّ عصر إلى النهاية.

وقوله: (مِنْ قوَّة) مع أنَّ (مِن) بعضيّة إلَّا أنَّ ورودها هنا جاء للتنوُّع أي: تنوّع القوَّة الواجب تنوّعها وإعدادها لإرهاب العدو، ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدّدة، وكذلك القوّة غير محدّدة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة) أيَّة قوَّة.

---

[142] الأنفال 60.

وعليه: فإنَّ تنوُّع الصناعات الحربيّة وتطوّرها وتحسين جودتها والتدريب عليها ضرورة لإرهاب الذين يُخِفون العباد تهديدا ووعيدا وظلمًا وعدوانا.

إنَّ معظم شعوب العالم الضعيف تمَّ احتلال أراضيهم وتمَّ تقتيل وتهجير الملايين منهم بغير حقّ، ومع ذلك استشهد أكثرهم في سبيل الحريّة وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة خوفًا ورعبا من أوَّلئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتّلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرّدوا من أخوتهم، وهتكوا أعراضهم، وشوهوا ثقافاتهم، ودنسوا معتقداتهم؛ فكيف لهم أن لا يعدُّوا العدّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقتتال والاستعمار مرة ثالثة ورابعة وخامسة وإلى النهاية!

لذا فالعالم الإسلامي هو أكثر من دفع الثمن ولا زال معرّض لأن يدفع الثمن أضعاف مضاعفة؛ فما يجري اليوم في أفغانستان والعراق والصومال ألا يكون قد جرى من قبل احتلالا ورعبا وتدميرا وتقتيلا؟ وها هو اليوم يتكرّر، لذا لا يمكن أن يقف احتلال الأوطان واستعمار الأمم والشعوب ما لم تمتلك الأمم والشعوب أدوات القوَّة المتنوِّعة والمتطوِّرة التي بها تتمكّن من أنْ تُرهب من كان سببًا في تخويفها وتجويعها واحتلال بلادها.

وقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوَّة التي نزلت في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة)، في هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدِّ ذاتها هي قوَّة من مجموع القوى المتعدِّدة التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة).

أمّا الرباط؛ فهو الذي به يطوّق من يريد قيده أو محاصرته، ولأنَّ الخيل لوحدها لا تستطيع أداء هذه المهمة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل وهم معدّون ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرها.

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاثة مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيّزَ الرباط عن القوَّة، أي أنَّ الرباط هو الذي لا يتمّ إلا بخطة وقرار وتدبّر وكيفية مناسبة، بها يتمّ استعراض القوَّة المحمولة على ظهور الفرسان الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود، وهؤلاء الفرسان هم (المعدّون والمدرَّبون والمتأهبون للإقدام متى ما صدر أمر التقدّم إليهم).

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كل القوَّة، بل تدل على القوَّة المعدَّة والمستعدّة للاستخدام وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينية والملاحظة العقليَّة والمعرفيّة التي بها يُدرك ويُميّز ما يُرهِب عمّا لا يُرهِب.

ولذا؛ فإنَّ إعداد العُدّة المستطاعة يجب أن لا يفهم منه بشكل خاطئ أو منحرف دعوة إلى رفع العتب وإبعاد اللوم، كما فُهم الإرهاب من البعض على أنّه الاعتداء لنشر الخوف والرّعب دون النظر إلى حقيقة مفهوم الإرهاب، فيسوق حجّة أخرى بفهم خاطئ أيضًا، كمن فهم قوله تعالى: {لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها} على أنّها دعوة للاستكان والتواكل، فالله تعالى دعا إلى التوكّل ولم يدعُ إلى التواكل، وعلى هذا يجب أن يَسَع النَّفس ما وسع الأنفس الأخرى في بذل أقصى طاقة في إعداد العدّة المستطاعة باستنفاذ الجهود والطرق والوسائل والأدوات، ومن هنا يكون إعداد العدّة لمنع العدوان بما تحقق العدّة والاستعداد من إرهاب، والذي يأخذ بالأسباب فقد وصل إلى الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يعدّ العدة الكاملة التي توازي الآخر بعد الأخذ بجميع الأسباب، فقد أدرك رفع التكليف بما بذل من جهد دخل ضمن

الاستطاعة التي تتكلفها النَّفس، وإن كانت هذه العدّة الإرهابيَّة بما يرضي طموح الاستعداد، فهي من أجل دفع العدوان ومنعه، لا من أجل المبادءة والمبادرة بالعدوان.

وعليه نتساءل:

هل العدّة هي التي ترهب أم الإعداد؟

إنّ العدّة تُعدّ من قبل الإنسان، وإن كانت العدّة والإعداد يجب أن يكونا متلازمين ليصل المجتمع إلى المرحلة الإرهابيَّة، إلاّ أنّ العدّة وإن توفّرت فإنّها تبقى في حيّز الموجودات المادية، ذلك أنّ العدّة مادية بأي شكل كان، فلو كان هناك أكداس من الحديد بشكله المعروف كمادة أوَّلية، فإنّها لا تدخل الرَّهبة على أحد مهما تعاظمت، كمن يمتلك أموالا طائلة يلهو بها في صالات القمار، فمن أين تأتي الرَّهبة لهذا المال!

ولذا فإنّ إعداد الحديد والمال والمياه والأرض والإنسان هو الذي يمنحه الجانب الإرهابي؛ وذلك عندما تحوّل المادَّة بإعدادها إلى استخداماتها بقرار عقلي نابع عن فكر، لا نقصد الأسلحة فقط، وإن كانت جزءًا من الصناعة والزراعة والتنمية والخدمات التي لا تصل إلى مقاصدها الإرهابيَّة إلاّ عن طريق التعليم والتدريب والتنظيم والتأهيل، ولذا (فأعدّوا) تبدأ من التهيؤ مرورا بالإعداد والاستعداد والتأهب، وكلّ ذلك مرتبط بالإنسان الذي ليس له غنى عن العدّة المحققة للغاية.

والإعداد لا يكون إلاّ بما يبذل من جهود يُحقِّق أهدافا فكريَّة وعقليَّة ونفسيَّة ومعرفية وتنظيمية تجسّد قوله تعالى: (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوَّة).

فالأخذ بهذه المعطيات الإعدادية وتجسيدها إنسانيا، في الارتقاء بالإنسان إلى هذا المستوى، يجعله على قدر المسؤوليَّة، وبذلك يقضي الإعداد

على الوهن والضعف والتخاذل، ممّا يفضي إلى رفع الهمم والارتقاء بالنَّفس، وبذلك تنزاح عن النَّفس المذلة والهزيمة والخنوع، وتتجاوز الأسف والندم الذي يستحكم فيها؛ فالذي كان يحيلها إلى نفوس هامدة تتحوّل بالإعداد إلى قدرة قابلة على مواجهة التحدّيات، ولا نقصد بالمواجهة ساحة القتال أو الحرب، وإنّما مواجهة الواقع بما يحمل من مفاجآت حربية وسلمية واقتصادية وسياسيَّة واجتماعيَّة، حيث أنّ تمكّن الإيمان بالإعداد يقينا يخلق إنسانا له القدرة على التصرّف حيال الأحداث ليصل إلى درجة: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[143] التي تعزّز الثقة بالنَّفس؛ فتأخذ بأسباب التغيير التي تنعكس على الواقع بمعطيات إرهابيَّة تثبت حقّ الأنا أمام الآخر، وتعترف للآخر بحقوقه.

فالإعداد على مستوى الذات الإنسانيَّة بهذه الجوانب، يدفع إلى الصحوة من غفلة الانكفاء على الذات والانفتاح على الآخر بما لا يمسّ الأصول والثوابت ضمن المنطلقات الإرهابيَّة المشروعة في التأهّب لمواجهة العدوان حال وقوعه بكلّ قوّة متاحة، ذلك أنّ الإعداد والعدَّة لمواجهة الأخطار المحتملة يتمّ به استيعاب الواقع والمحيط الخارجي، ثمّ الصحوة والانتباه إلى أنّ أقوياء العالم الذين سيطر الظُّلم عليهم لا يرحمون الضعفاء، وأنّ المراهنة على جمعيات حقوق الإنسان والهيئات الدولية، مجازفة لا تُمكّن من بلوغ الحلّ.

إذن: الإعداد دعوة أخلاقيَّة في تحقيق الإنصاف الذي يؤمّن التوازن بين الأفراد أو المجتمعات، ومن ثَمّ يكون الإعداد في هذه الجوانب دافعا للصحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقَّع، ولذا فإنّ: (أعدّوا) تشمل الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولما كانت العدّة من الأشياء المادية؛ فنادرا ما تحقّق المفاجآت، لأنّها ضمن مجال الإحصاء والعَدّ، لأنّها أشياء حسيّة

[143] آل عمران 139.

ومدركات مادية يمكن لأيّ أحد أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم أنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة سواءً أكانت مشروعة أم أنّها غير مشروعة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة المادية المعدّة والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها أو منع مفاجأتها. أمّا الجانب الآخر من (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي ليشمل الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط الذي يخرج عن الحيّز المادي ويكمن بين العقل والشعور وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصعب إحصاؤه أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلاّ بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

ولذا؛ فالإعداد الجيد على المستوى الفكري والنَّفسي هو الذي يحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شمولية لا تقتصر على السلاح ورباط الخيل، وأخذت البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) ليس بمعنى التكليف التواكلي، وإنّما التكليف التوكّلي، فسيدخل في الاستطاعة الخزين الاستراتيجي من الطعام والشراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ليس على المواجهة فحسب، وإنَّما الاستمرار على إدامة الزخم في التحكّم بدورة عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، لأنّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال والمواقع البديلة والتمويه وحفر الخنادق والأنفاق، كي يصبح من السهل تحقيق المفاجأة، وبالتالي التمكّن من تحقيق الأهداف.

فهذا الإعداد هو مرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحال من الأحوال، بل يجعله في موضع حدوده التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء

أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السلاح والعتاد الحربي توهن الخصم قبل أن ينفِّذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النوع من الإرهاب داعيا إلى السلم ومانعا للقتل والتدمير، والدعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابا للعدو في مواضع كثيرة من الذكر الحكيم؛ فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة لاختلاف الأديان والقيم والأعراف والمعتقدات، وكذلك اختلاف البيئة والجغرافيا والموارد الطبيعية والتفاوت بين الغنى والفقر، ونقص الحاجات والسعي إلى إشباعها، كلّ ذلك يؤدّي إلى نشوء صراعات تدفع بعض المقتدرين إلى مباشرة العدوان ليستولوا على ما ليس لهم به حقّ، ولذا يجب أن لا يختلف اثنان على مشروعية العدّة والإعداد إرهابا لا عدوانا؛ ولذا فإنَّ ذلك هو موضع اتفاق لجميع البشر؛ فمن حقّ كلّ أمَّة أن تمتلك القوَّة لتدفع عن نفسها الخطر إن هي تعرضت للخطر أو التهديد، ولذلك فالدِّفاع عن النَّفس يقتضي إعداد العدّة.

وهنا يتّضح الإرهاب بمفهومه الردعي، وأنّه لا علاقة له بالعدوان إلاّ من خلال منع وقوعه.

أمَّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدّماء باسم الإسلام أو ما يُرمى به ومن ثمّ وصفه بالإرهاب؛ فهو تصرُّف إمّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبيء عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه يكون نتاجا لفكر يتستَّر بالإسلام، وإمّا بدفع من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات، ولذا وجب التمييز بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء.

وعليه: فإنّ إعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها وتقديم الخدمات والنهوض

بالصناعة، لا أن تمدّ الأيدي للآخرين وإن كان استيرادا بمقابل سابق الدفع، ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم ويتطفّلوا على موائدهم، على الرغم من وجود القوّة المادية والأرض المهيأة والعقل المستقبل للفكرة التي تتبنى الإعداد وتنهض به، بحيث تُمكِّنَ الأفراد من أن يكونوا قادة بدلا من كونهم عالة، وأن يكونوا صنّاعا للحضارة وليسوا قرّاءً عنها، وطالما أنّ الأمر كان ممكنا لغيرك؛ فبالضرورة لن يكون مستحيلا لك، ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة الحضارة، لحجم المشقة وبُعد المسافة وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العدّة وغفلوا عن أهميتها.

**إعداد العُدّة يُرهب المُخِيفين ويقضي على الخوف:**

المخيف هو الذي يمتلك مقاليد القوّة وأدواتها، والخائف هو الذي يَفتقد مقاليد القوّة وأدواتها، ولذا فالذي يمتلك أدوات القوّة المتنوّعة والمتطوِّرة ويجتهد في تطويرها إضافة وتنوعا سيضل دائمًا مخيفًا لمن لم يمتلكها أو من لم يواكب حركة تطوّرها، والذي لم يسع لذلك سيظل دائمًا خائفًا حتى يبلغ امتلاكها ويواكب حركة تطويرها وتطوُّرها.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف لإعداد العُدَّة أن يُرهب المخيفين ويقضي على الخوف؟

نقول:

بما أنَّ المخِيف هو من سبق بإعداد العُدّة المخيفة استخداما؛ فهو بدون شكّ هو من غرس الخوف في نفوس من لم يعدِّوها ودفعوا الثمن غاليا بأسباب عدم تملُّكها، لذا فإنَّ الخائف بأسباب ضعفه عندما يمتلك مُعدّات القوّة ويستعدَّ بها ويتأهب، يتحرّر من الخوف، ويصبح مرهبًا لمن كان مخيفًا له، وإذا ما تحقّق ذلك، تصبح نفسه مطمئنة آمنة حيث لا مكان للخوف

فيها بعد إعداد العُدّة وامتلاك القوّة الماديّة والمعنويّة، والتمرّن على إدارتها متى ما وجب ذلك دون مظالم.

إذن: بإعداد العدّة المتكافئة مع الذي كان متفرّدًا بامتلاكها تتعادل كفتا الميزان، ويُلغى من القاموس الحربي الخوف الذي فيه غالب ومغلوب على أمره، ليحلَّ محلّه الإرهاب الذي لا عدوان فيه ولا مظالم، بل هو مجرّد إعداد عدّة في مقابل عُدّة كانت لوحدها السائدة في الميدان.

وعليه: يصبح المخيف لا يُخيف، ويصبح الخائفُ غير خائفٍ، ممّا يجعل كلّ منهما قادر على تقديم التنازلات تجاه الآخر بلا خوف، ذلك بما للعدّة من قوّة مُرهبة تؤدّي إلى تحقيق الآتي:

1 ـ نيل الاعتراف:

بعد أن يمتلك الضعيف مقاليد وأدوات القوّة يصبح نائلا للاعتراف من قِبل الذي لم يكن من قَبل معترفا به وبحقوقه وحريّته وحدود وطنه ودين أمّته.

2 ـ نيل التقدير:

بعد أن كان الضعيف غير مقدَّرٍ بأسباب ضعفه، أصبح مقدَّرا بما يمتلكه من قوّة مُرهبة للذي لم يكن مقدِّرا له، وأصبح يُحسب للعدّة التي تمَّ إعدادها من قِبله ألف حساب، فعلى سبيل المثال: بعدما امتلكت الهند السلاح النووي أصبحت الباكستان خائفة ومرتعبة ممّا تمتلكه الجارة من أسلحة الدمار الشامل، وبعد أن عملت الباكستان ما استطاعت إلى أن استطاعت أن تمتلك هي الأخرى أسلحة نووية زاحت عن نفسها غمّت الخوف وتحرّرت منه، وأصبحت الهند مرتهبة ممّا امتلكته الجارة اللدود من أسلحة الدمار الشامل، وهنا أصبح إعداد العدّة وكأنّه كلمت (قفّ) عندما تكون نافذة

الفعل والتحقّق، قف عند حدِّك وإلّا ستكون الخسارة على الجميع متساوية على كفتي الميزان العدل، ولهذا لن تعتدي الهند على الباكستان بما هو مخيف، ولن تعتدي الباكستان على الهند بما هو مخيف، ويقف كلٌّ منهما عند الحدود مرتهبا ممّا أعدّه الآخر من عُدّة دون مخافة منه، وتصبح اللغة السائدة بينهما: (ما تمتلكه نمتلكه) و(إن فعلتها سنفعل ما هو أعظم)، ولهذا (قفّ عند حدّك وقدّر الظرف كما أنا واقف عنده ومقدِّرا له، وإلّا).

3 . نيل الاعتبار:

من يتبوأ مكانة رفيعة بما يمتلكه ويعدّه من عُدّة (قوَّة) ينال الاعتبار من قِبل الآخرين حتى وإن لم يكونوا من قَبل معتبرين له، ولذا فمن يعتبر نفسه بامتلاك مقاليد القوَّة ينال الاعتبار من الآخرين، ومن لم يعتبر بذلك لا يعبأ على نيله.

4 . نيل الاحترام:

إنَّ الذي كان فاقدا لمقاليد وأدوات القوَّة وإعداد العُدّة وكان عصامي النضال حتى أصبح قويا، بدون شكّ سينال الاحترام؛ فما وصلت إليه كوريا الشمالية من إعداد عُدّة وفقًا لإمكاناتها المتواضعة يستدعي الاحترام ويمكِّن من نيل الاعتراف والتقدير حتى وإن كان الاختلاف معها سائدًا في الزَّمن الآن، وهكذا إيران الخائفة من الذين يمتلكون الأسلحة النوويّة هي الأخرى إن امتلكت القوَّة بما تعدّ له من عُدّة ستنال الاعتراف والاحترام، وتكسر حاجز الخوف عنها وستُرهب الآخرين الذين يتوعدونها ويهدّدون، وإن لم تمتلك؛ فلن تنال ما ناله من أمتلك القوَّة وأعدّ لها عدّتها، وستكون إيران معرّضة لِما هو أخطر كما تعرّضت العراق لِما تعرّضت له من رعب ودمار وتخريب وتطرّف واحتلال وتشريد وتقتيل بغير حقّ، ولذلك لا حلّ لمشكلة الخوف إلا بإعداد العدّة التي ترهب المخِيف وتقضي على الخوف.

وعليه: إعداد العدّة عمل إصلاحي كما تُصلح الأرض بعد إعدادها للزراعة، وكما تُهيأ الأشياء إلى أشياء أعظم حتى تصبح صالحة لِما يجب أن تكون عليه؛ ولذا في الإعداد تجهيز مادّي بما يجب وفقًا للإمكانات المتاحة والتي يجب أن تتاح وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

أمّا قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) أي بعد أن تعدّوا العُدّة القتاليّة وتستعدّوا بها وتتأهّبوا ستلفتون انتباه أعدائكم لأنفسهم بأنَّ الأمر تجاهكم لم يعدّ كما كانوا يعتقدون، بل أنَّه تغيّر إلى ما هو أخطر وأفضل، (تغيّر من حالة الخوف منهم إلى حالة استمداد الثقة بالأنفس)؛ فقوله: (تُرْهِبُونَ) تفاجئون أعدائكم بالقوَّة التي أعديتموها للمواجهة إذا ما كُتبت عليكم، وهذه العُدّة أعدائكم لم يكونوا قد أعدّوا لها حِساب من قبل، ولذا فالإرهاب بالنسبة لمن كان خائفًا أصبح مبعث ثقة وطمأنة في النَّفس، وبالنسبة لمن كان مخيفًا لغيره، أصبح الإرهاب ناقوس خطرٍ يدقُّ في آذانه لينتبه إلى أنَّ الأمر لم يعدّ كما كان يتوقّع.

وقد يتساءل سائلًا:

. من هو عدو الله؟ من خلال ما جاء في قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ).

أقول:

بالمطلق أعداء الله هم المفسدون في الأرض، وسافكي الدّماء فيها بغير حقّ.

وفي مقابل ذلك فإنَّ أحباء الله هم المصلحون فيها وغير سافكي الدّماء بغير حقّ.

وعليه: يترتّب على إعداد العدّة أمرين:

الأمر الأوّل: تخلّص الخائف من الخوف.

الأمر الثاني: إحساس المخيف بالإرهاب.

ويترتّب على هذين الأمرين أمورٍ منها:

. الاعتراف بالآخر.

. المصالحة مع الآخر.

. التفاوض مع الآخر.

. أخذ الحيطة والحذر من الآخر.

. التفاهم مع الآخر.

. التسامح مع الآخر.

ولذا؛ فإنَّ إعداد العدّة والاستعداد بها والتأهُّب للإقدام على خوض المعركة بإرادة يجعل الذين كانوا يشكِّلون خطرًا على العباد يعيدون حِساباتهم تجاه الآخرين، وبدل أن كانوا يقدموا على أفعال الحرب والاقتتال يصبحوا يقدمون على كلِّ ما من شأنه أن يلغي تلك المبررات التي كانوا بها يبرِّرون اعتداءاتهم ومظالمهم.

وعليه: فالفرق كبير بين الخائف وبين المرتهب من حيث:

. الخائف يستطيع أن يتدبّر أمره وقد يقبل بالمخاطرة ودخول القتال خاصة إذا عرف أنَّ القبول بالمخاطرة والقتال هو مكمن الحلّ، أي: أنَّ الخائف يستطيع أن يُقرّر وإن كانت الظروف حرجة.

. المرتَهِب هو الذي لا يستطيع أن يَقْدِم على أفعال القتال بوجه السرعة حتى وإن راء ذلك أمرا ممكنا؛ ولذا فالخائف يستطيع أن يَقدِم على تنفيذ

الفعل بأسباب الخوف ذاته، أمّا المرتهب فهو الذي لا يستطيع أن يُجمِّع قواه العقليَّة بنفس واثقة في مواجهة ما يُرهبه، ولهذا هو في حاجة للتدبّر قبل أن يتخذ قراره.

إذن: الإرهاب إن تحقّق في الأنفس أدّى إلى التفاوض والحوار والنقاش من أجل التفاهم وتفّهم الظروف وما يترتّب عليها من مخاطر، والتحكّم في كلِّ ما من شأنه أن يُرهب الجميع (الأنا والآخر)، ولذا فالإرهاب يستدعي من الأنا والآخر أن يُفكِّرِان جيدا قبل أن يتكلّمان، وأن يتذكّران حتى لا يغفل أحدهم عن أهميّة التَّاريخ في اتخاذ القرار وصناعة المستقبل.

## الاستعداد

بعد مرحلّة التهيّؤ والإرادة يأتي الاستعداد مرحلّة لاحقة لهما ومعتمدة عليهما؛ فالاستعداد تجميع للقوَّة الممكِّنة من تنفيذ الفعل مع أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلا من أجل أهداف يُراد لها أن تتحقّق بما أُسِّست عليه من تهيّؤ وإرادة. إنَّه استمداد للقوَّة المعنوية والمادّيَّة من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظرف الزماني والمكاني والتوقيت المناسب.

فالاستعداد يكون لأداء الفعل من الفاعل المتهيّئ الذي امتلك الإرادة وجمَّع متطلبات الاستعداد المحقّقة للأهداف، وهو المرحلّة التي يتمّ فيها إعداد العُدَّة وحصر الإمكانيات بعد دراسة وافية وخطة مُحكَّمة لتنفيذ الفعل؛ ولهذا فالاستعداد لم يكن العُدَّة ولا الإعداد بل هو الجهد المبذول تخطيطا وتجهيزا من أجل توفير ما يستلزم لتنفيذ الفعل أو خوض المعركة قبل أن تشتعل نيرانها وتشبّ ممّا يجعل العُدّة والإعداد جزءا من الاستعداد وليس متطابقتان معه في الدلالة والمعنى.

فالعُدّة هي استحضار وسائل القوَّة المادية بأدواتها التي تُمكِّن من أداء الفعل، وهي مجموعة الوسائل التي يستعين بها الإنسان ليتوجَّه إلى ما يُمكن أن يحدث في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولذا فما يعدّه الإنسان لحوادث الدهر من مال وسلاح لمواجهة ما يهدّده يجلب له نفعا أو يدفع عنه ضررا يسمى العُدّة.

أمَّا الإعداد؛ فهو الذي يُمكِّن من ممارسة الفعل بنجاح ويمنح المستعدّ الكفاية، وهو تدريب عملي على استخدام ما يمتلكه المستعدّ من عُدَّة تعينه على جلب نفع أو دفع ضرر.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والفعل، فلا يقدِم على الفعل إلا المستعدّ بإعدادٍ جيدٍ.

وعلى كلٍّ فالاستعداد يستوجب اجتماع النيّة وتمام القصد في أداء الفعل مع تحمُّل نتائجه سلبًا وإيجابًا، وهذا يجعل (الاستعداد) من الرسوخ في القلب بمكان، فإذا امتلك المرء أدوات الاستعداد أقدم على فعل يُنجز عنده، وقد يكون غير متوقّع الانجاز عند غيره؛ فالفشل مفردة منزوعة من قلب من تهيّأ للنجاح بإرادة.

ولهذا فالاستعداد هو أخذ الحيطة والحذر واستحضار القوَّة العقليَّة والفكريَّة والنفسيَّة والمادّيَّة التي تؤدّي إلى الإقدام على تنفيذ الفعل دون تردّد بعد اتخاذ الإرادة قرارها؛ فالأفراح والأحزان والحرب والسَّلام والأعياد والمناسبات، كلّها مواقف ومناسبات يتمّ الاستعداد لها باستمداد القوَّة المادّية والمعنوية التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يسيطر على تلك المواقف، ويُسخِّرها وفقًا لإرادته كما يشاء ويرغب أو كما يفضل ويستحسن.

## أنواع الاستعداد

. استعداد ذهني.

. استعداد بدني.

. استعداد نفسي.

## 1 . الاستعداد الذهني:

الانتباه لا يكون إلا بعد فطنة واستعداد وإلا سيجد الإنسان نفسه غافلًا وسارحًا وهو لا يدري عمّا هو غافل وفيما هو سارح الذهن؛ ولذا فالاستعداد الذهني هو المؤسّس للقناعات التي لا تكون إلا مع الإرادة أو بها، ولا يتمّ هذا الاستعداد إلّا بالانتباه والفطنة والوعي بمعطيات الأمور في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولهذا يحتوي الاستعداد الذهني على الإلمام الفكري والثقافي وفقًا للمدركات العقليَّة، ممّا جعل العقل البشري يختزن معلومات شتى من العقائد والعلوم والفنون والمهارات والبيئة والحياة العامَّة وكلّ ما له علاقة بحياة الإنسان وما يتعلّق بهذه الحياة، خاصّة أنَّ الجانب الفكري هو عماد الأمور في جميع المسائل التي تصبّ في مصلحة الإنسان أفرادا وجماعات.

إنَّ القضايا المكوِّنة لمخزون الوعي الجمعي لمجتمع معين، إن تمّ تناسيها عند البعض فإنّ البعض ستظل عنده مركَّزة ومتمركزة في الوعي الشخصي على مستوى الأفراد في ذلك المجتمع، وهذا الوعي هو سلسلة من الأفكار، وهذه الأفكار تُسخَّر استعدادا لما ترغب الإرادة وتفضّل القيام به من عملٍ في مواجهة حدث أو موقف أو ظاهرة أو مجموعة قضايا.

إنَّ الاستعداد الذهني لا يُكتسب لحظة الحاجة إليه، وإنَّما هو ذلك الموجّه من قِبل الملكات العقليَّة، ينمو ويتطوَّر من التجارب والعلوم والمعارف والمشاهدات والخبرات والتَّاريخ الذي به تترسَّخ الهويّة التي بها تتوحّد الأمّة حتى يصبح كلّ فردٍ فيها وكأنّه أمّة بكاملها.

وهذا ما يُعبَّر عنه بسلسلة الأفكار التي أصبحت خاضعة للإرادة التي تخرجها إلى الاستعداد، بحيث يكون التركيز الذهني منصبّ على استحضار الأفكار والمعلومات ذات العلاقة في المواقف أو الأحداث التي تخدم الإرادة في قضيَّة ما.

إنَّ الاستعداد لأجل حلّ أي قضيَّة هو دائمًا موجود في الفكر الإنساني قبل استدعاء تلك الحلّول، ولكن الذي يستدعيه ويستحضره طلب أو موقف خارجي، ولذا لا توجد قضيَّة منطقيَّة غير قابلة للحلّ؛ فالاستعداد لحلّ أيِّ قضيَّة أو مواجهتها أو الحصول على الأسباب المؤدّية إلى نتائج إيجابيَّة فيها، متوفّر دائمًا في العقل الإنساني المدرك للحقيقة هي كما هي إن أراد حلّا لا ظلم فيه.

## 2 . الاستعداد النَّفسي:

ومع أنَّ الاستعداد الذهني ضرورة فإنَّه لم يكن كلّ شيء في معطيات الاستعداد؛ فالاستعداد النَّفسي والمعنوي من أكبر الضرورات والمعطيات قبل الإقدام على الفعل، ولهذا الهزائم في الحروب والمواجهات تلحق أوَّل من تلحق المنهزمين نفسيا ومعنويا؛ فمهما توفَّرت للجيوش من عتاد وعدّة لن يحققوا النصر المنتظر ما لم يكن المقاتلون على درجة عالية من الاستعداد النَّفسي والمعنوي الذي لا يبلغ أشدّه إلا عن إرادة ووعي بالمسؤوليَّات الجسام الواجب حمْلها كلّما اشتدّت شدّة.

ومع أنّ الاستعداد النَّفسي غير الاستعداد الذهني فإنَّهما يتداخلان كما تتداخل متغيرات القضيَّة الواحدة التي تؤثِّر متغيراتها على بعضها البعض؛ فالإنسان العاقل هو الذي يتأثّر نفسيا سلبًا وإيجابًا، ومن يحسن التفكير يحسن التدبُّر، ومن يحسن التدبُّر يدرك الحقّ ويلتزم بمعطياته، ويدرك الباطل ويخشاه ويجتنبه ويبتعد عنه دون خوف ولا تردّد، بل قد يصاحبه الخوف إن لم يجتنبه ويخشاه، وعنه يبتعد. ولذلك يكون الاستعداد النَّفسي والمعنوي رافدا مهما للاستعداد الذهني. إنَّه المحفِّز من حيث اجتماع قوى النَّفس استعدادا لمواجهة الحدث.

إنَّ هذا الاستعداد لا يمكن أن يكون له صورة في الخارج، لأنّه لا يُستمد من الأشياء الحسية الواقعية وإنْ كانت مؤثّرة فيه، وليس له صورة في الداخل، ولهذا فالعقل لا يستطيع أن يرسم له صورة متخيِّلة، علما بأنَّنا نستطيع أن نقف على هذا الشعور عندما ينعكس تأثيره على صفات المستعدّ؛ فالغضب والحذر والابتسامة والخجل والتعرُّق والعزم والحزم والهمَّة والخوف، إنما هي انعكاسات قوى النَّفس المعنوية على الجانب العضوي استعدادا للحدث، فهذا الاستعداد إنّما هو صورة مجرَّدة، فالإنسان يُدرك أثر الانفعال من تلك الصورة على المستعدّ، وهو يدرك شعورا لا يستطيع أن يصفه أو يعبِّر عنه إلّا بانعكاسات الانفعال المولِّدة للاستعداد.

ولهذا فالقوىَ النفسيَّة الكامنة في الإنسان تُستنهض استعدادا للحدث عن طريق تداعي أفكار معيِّنة في موضوع محدِّد أو مشاهدة بصريّة، ممّا يجعل بعض الغُدد تفرز عصارات مختلفة تجعل الإنسان على غير اتزان ولا توازن.

إنَّ سيلان الدموع فرحًا أو حزنًا وحسب الموقف ودرجة تأثيره سلبًا أم إيجابًا، هو نتاج تأثُّرات النَّفس الداخليّة، وإن أثّر ذلك تأثرًا خارجيًّا كما حال احمرار الوجه أو اصفراره عند ما يلمّ بالإنسان خوفًا أو مرضًا وكذلك في حالة الخشية والاحتشام، وما تتركه من أثرٍ على اللسان وما يلمّ به من تلعثم عند الحديث، وارتعاش اليدين عند الحركة والسكون وغيرها كثير؛ فكل هذه الظواهر بأسباب الاستثارة الداخلية والفزع لا تتحقّق عند من تهيّأ واستعدّ عن إرادة وقصد وإيمان ووعي بأهمية القضيَّة التي لها تهيّأ واستعدَّ بإرادة، ولذا فالمرتعشةُ أيديهم والطامعون والضعفاء لا يصنعون التَّاريخ ولا يسهمون في صناعته، الواثقون وحدهم هم القادرون على صناعته، وأين ما يحلّون تكون لهم الأمجاد؛ فمن يطلب الموت تُكتب له الحياة، ومن يطلب الحياة عليه بقبول المفاجئة في الوقت غير المتوقَّع.

### 3. الاستعداد البدني:

مهما استعدَّ الإنسان معنويًّا (ذهنيًّا ونفسيًّا) لن يحقِّق النصر المؤزّر إلّا بإضافة الاستعداد البدني وإعداد العُدّة إلى ذلك الاستعداد المعنوي؛ ولذا ينبغي ألّا يغفل الإنسان عن أهميّة المران والتمرّن والتدريب والتأهيل واكتساب الخبرة والتعلّم حتى يكتسب لياقة ومهارة وفنًّا بها يتمكّن من خوض المعركة إن كُتبت عليه كرها.

ولأنّ أفضل الأفكار والنظريات ما كان قابلا للتطبيق على أرض الواقع لذلك فالعقل والفكر الذي يسعى لتوافر أدوات الاستعداد المادية مع تقدير الإنسان قيمة عالية هو الفكر الذي يدفع النَّاس إلى الإنتاج والعمل، دون أن يتركهم يجترُّونَ الكلمات التي لا تُغني ولا تشبع من جوع؛ فالفكر المنتج هو الفكر المبدع الذي من خلاله يتهيّأ الأفراد بإرادة إلى العمل الذي يُحدث النُقلة من الواقع الذي هم فيه إلى ما هو أفضل وأجود وأعظم، ولهذا جاءت الأديان السماوية عقيدةً وعملًا متلازمين (معنويا وماديًّا).

وعليه:

مهما كانت الأفكار النظرية إن لم تتجسّد في أفعال وسلوكيَّات وانعكست في مهارات وخبرات ومران وفنّ وحركة وصورة؛ فهي لن تُحقّق للإنسان غاياته في الحياة ولا يمكن أن تصنع له مستقبل.

ولذلك؛ فالاستعداد البدني ضرورة لمن أراد أن يكون مرابطا على ظهور الخيل أو مرابطا على معدات التقنية الحديثة المتطوِّرة التي تُرهب الأعداء وتواجه عُدَّتهم إن كُتبت المواجهة.

**الاستعداد تنوُّع:**

التنوّع يوفّر الاختيارات من المتعدّد وفقًا للقدرة والحاجة ومتطلباتها ومشبعاتها؛ ولذلك العُدّة المتنوّعة هي التي تُحدث التماثل مع الظروف والحاجات والقدرات والخبرات، ممّا يجعل الاختيارات متوّفرة حسب الطلب وهذه من محفِّزات المرابطين على المرابطة والمقاتلين على خوض المعَارك في حلة ما كُتبت عليهم كرهًا.

الاستعداد كلمة جامعة لا مانعة في بوتقتها تنصهر معطيات القوَّة ووسائلها الممكِّنة من التأهُّب ومن بعده تنفيذ الفعل؛ ولذلك فالاستعداد جُهد يُبذل بعد تهيّؤ من أجل حصر وسائل القوّة وتجميعها وتحشيدها ومراجعتها وتقييمها وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فبالاستعداد الذهني يتمّ الاستقصاء والتفحُّصَ، وبالقراءة الوافرة يتمّ الوعي، وبالتفكُّر فيما يجب يُتّخذ القرار، وبالتذكُّر لما كان تُستمدّ العبر ويتمّ الاتعاظ، وبالتدبُّر في الأمر قيد الانشغال الذهني يُصنع المستقبل بعد الإقدام على الفعل المناسب لصناعته.

وبالاستعداد النَّفسي تتجلَّى النَّفس وتستنير بالحقائق من خلال وضوح الأهداف والأغراض والغايات، حتى يتمّ القبول وتطمئن النَّفس بما سيترتّب على الموضوع من كسب أو خسارة.

أمَّا الاستعداد البدني فبه يتحقّق التمرُّن على الحركة المناسبة لأداء الفعل عند الإقدام على أدائه، كتمرُّن الرياضيين على ممارسة التمارين المناسبة لكلِّ رياضة من الرياضات المتعدّدة والمتنوعة وتمرُّن المجنَّدين لأداء المهام القتالية، إنّه الاستعداد الذي به تُصقل الشخصية بُنية ومظهرا. وهذا النّوع من الاستعداد يتشكَّل مع حركات الجسم وهيئاته ليكون الجسم متهيِّئ ومستعدًّا للفعل، ومنتظرًا الزَّمن المناسب للتنفيذ.

وللاستعداد نماذج وصور متعددة ومتنوِّعة نأخذ منها على سبيل المثال: استعداد المنحرفين لفعل السرقة، ولتوضيح ذلك اقتبس قصة صغيرة من كتابنا (سيادة البشر) بعنوان (سُرِقت الليمونة مع أنَّها لازالت في الشجرة).

قرّر مجموعة من اللصوص سرقة الليمونة من الشجرة، كلّ وفق الفرصة التي تُمكِّنه من النجاة بها.

فالأوَّل قرَّرَ السرقة ونفَّذَ قراره. وقُبِضَ عليه متلبِّسا في حالة سرقة وجُرِّمَ وفق القانون.

والثاني قرَّر السرقة ولكنَّه لم ينفِّذ قراره، وبالتالي لم يُتَّهم بالسرقة. ولكن بما أنَّه قرَّر سرقة الليمونة وهو عاقل، ألا يُعدُّ بالنسبة للمدركات العقليَّة سارقا؟

مضمون القصّة هنا تأثَّر بالزَّمن وحدوث المتغيرات؛ فالسّارق قرَّر السّرقة والوقت كان منتصف النهار تقريبا، وفي قراره أنّه سيسرق الليمونة عندما يأتي الليل، وعندما جاء المساء علم بأنَّ السارق الأوَّل قد قُبض عليه أثناء قيامه بسرقة الليمونة المستهدفة، وبالتالي الليمونة التي يودّ سرقتها قد سُرِقت، ممّا جعله لا يُنفِّذ قراره. أنَّه في هذه الحالة ووفق المدركات العقليَّة مثله مثل السارق الذي قُبض عليه، مع أنّه لم يُتّهم بالسرقة لعدم قيامه بها. ولا فرق في هذه الحالة بين السارق الأوَّل والثاني، إلّا أنّ الأوَّل قد نفَّذ قراره ولم ينجُ، والثاني لم تُتَحْ له فرصة التنفيذ فنجا من القبض، وقد يعتقد البعض أنّه خالٍ من عيوب السرقة. ولكن لو لم ينفِّذ الأوَّل قراره في ذلك اليوم، يجوز أن يكون الثاني هو السّارق الذي قُبض عليه.

أمَّا الثالث فهو الذي قرَّر سرقة الليمونة من شجرة الجيران، وفق خطة تتضمّن بدائل استعدادا لتنفيذ عمليَّة السّرقة.

الخطوة الأوَّلى: يقوم بسرقة الليمونة عندما يكون جيرانه خارج المنزل، وهذه تتطلّب منه مراقبة الجيران عند خروجهم من المنزل.

والبديل الاستعدادي الثاني: إذا لم يخرج الجيران جميعهم من المنزل قرَّر أن يكوِّن علاقة مع الحارس والكلب الذي قد يعيقه أثناء تنفيذه قرار السرقة.

والبديل الثالث: أن يقتل الحارس والكلب.

كلّ هذه العمليَّة الحسابية عمليَّة عقليَّة، وغير عفويّة، لأنَّها وفق خطة وإصرار؛ فهي الاستعداد لدخول المخاطرة، وبعقل مدبّر، وما التنفيذ إلا خطوة من خطوات الخطة، ولهذا لم تكن المشكلة في فعل السّرقة، بل المشكلة في العقل الذي قرَّر السرقة ووضع لها خطّة استعدادا لفعلها.

وعليه: إن أردنا علاجًا لمشكلة السّرقة؛ فينبغي أن يكون المستهدف بالعلاج هو العقل، ولأنَّه العقل، فينبغي مراعاة علاجه معلومة بمعلومة وحُجَّة بحجَّة.

والرّابع قرَّر سرقة الليمونة، ولكنَّه تراجع نتيجة خوفه من أن يُقبض عليه لصًّا. في هذه الحالة لا يختلف عن سابقيه. أنَّه سارق، ولكن الخوف حال بينه وبين ارتكاب فعل السّرقة، لم تمنعه الأخلاق، ولا القيم ولا الأعراف، ولا الدين، بل شيء أخر أنتج الخوف. إنَّه العقل المدبِّر الذي يقرِّر، ويخطّط، ويغيِّر قراراته وخططه وفق المواقف، والظروف، والمتغيّرات.

وعليه: تعدّ الليمونة في كلّ الحالات مسروقة، وتعتبر سُرِقت من الجميع منذ أن اتخذ كلٌّ منهم قرار سرقتها، وما التنفيذ إلا خطوة لاحقة لذلك.

ومن المهم بعد هذا كلّه الوقوف أمام تساؤلات هي:

- هل يمكن تخطّي الاستعداد في أداء الفعل؟

- وهل ينجح الفعل بدون الاستعداد؟

- وما مؤشر وجود الاستعداد؟

نقول: لا نجاح إلّا بتهيّؤ وإرادة وإعداد، ولا فشل بالمطلق إلّا بالقفز على مرحلّة من هذه المراحلّ، أمَّا الفشل النسبي فهو الذي يقوَّم بتأهّبٍ جديد وإرادة واستعداد جديدين لتكون العودة مؤسَّسة على درسٍ مفيد يتمكَّن من خلاله النَّاس من إعادة النظر في نفس الأنا والآخر المقيَّم والمشكوك فيه سواء أكان الآخر موضوعا أم قضيَّة أم كان هدفا بشريا أم ماديا، ولكلٍّ حساباته في دائرة الموضوعيَّة والممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فالذين سرقوا الليمونة سواء عن نيةٍ أم بفعلٍ هُمْ في حاجة لمن يتولى حالاتهم بالإصلاح معلومة بمعلومة وحُجَّة بحُجَّة، إلى أن يتبيَّنوا الحقّ من الباطل حتى يُرشدوا إلى اتباع ما يجب أن يُتبع، وإن لم يتمّ ذلك فالأمر سيعود على المجتمع في دائرة التأزُّمات والشدائد. ولذا ينبغي ألا يغفل المجتمع عن أهمية الإصلاح وفقًا لقاعدتي:

. (المعلومة الصائبة تصحح المعلومة الخاطئة وإن كان أصحابها متطرِّفين).

. (الحُجَّة بالحُجَّة تجعل النَّاس في مركزٍ يتسع والوطن مِلكُ للجميع).

وعندما تؤسّس العلاقات بين الأنا والآخر على هاتين القاعدتين يتمّ التفاهم ويصبح التفهُّم قيمة رائجة بالتقدير والتقبُّل والاستيعاب دون أنّ يرهب أحدٍ من احدٍ.

لذا فالاستعداد عندما يؤسَّس على المعلومة الصائبة والحُجَّة الوافية يصبح النَّاس متأهّبين لأن يَقدِموا على ما يشاؤون من أجل أن يصنعوا مستقبلا يجد الجميع فيه أنفسهم مركزا. أمَّا إذا كان التخطيط للمستقبل من أجل أن يكون النَّاس تُبَّع فالانتكاسة لا محالة هي مفسدة لِما تمَّ التخطيط له ويصبح

الزَّمن كفيلا بترويض الطغاة وإن ولَّد الزَّمن مخيفين ومُرهبين متأهّبين لتنفيذ الفعل.

## التأهّبُ

التأهّب لا يكون إلّا بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد، وهو مرحلة متقدّمة من أجل تنفيذ الفعل والإقدام عليه في الوقت المناسب، وهو السّاكن في كمون الحركة الظّاهرة للامتداد.

والتأهّب فطنة، هو: حسابات عقلية وبصريّة مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فلتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

فالتأهُّب فطنة ووعي وإلمام بما يجب في الوقت الذي يجب أن يكون فيه، والمكان المخصّص له، مع مراعاة الظرف الموضوعي من أجل سلامة التنفيذ، وسلامة المنفّذ.

للتأهُّب مفهوم لفظي علائقي مكوّن من المجموع القيمي لكلِّ من:

ـ الانتباه، لِما يجب.

ـ الدراية، كيف يجب.

ـ اليقظة، حول ما يجب.

ـ الفطنة، لأخذ ما يجب.

ـ التحفُّز، تجاه ما يجب.

ـ الإصرار، عزم على ما يجب.

. الرّغبة، في ما يجب.

. الحِرص، على سلامة ما يجب.

. الوعي، بما يجب.

. التيقُّن، تمسّك بما يجب.

يُعدّ التأهُب مرحلة ما قَبل الفعل (أيّ فعل)، وهو مرحلة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة؛ فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فعلى سبيل المثال: عندما تستوجب المواجهة مع الخصوم يصبح التأهّب هو الذي يستوجب مرابطةً تستدعي أن يضع المرابط أُصبعه على الزّناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال، وذلك بهدف ألا تشتعل، لأنَّ المتأهّب حريص على ألا يكون سببا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}144، تحرّض هذه الآية على التأهّب وفقا للاستطاعة، ولهذا جاء قوله (ومن رباط الخيل) أي ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدُّوه، ولا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت؛ فبما أنّكم تستطيعون إعداد أعدادٍ أكثر أعدّوا دون تردّد، وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عُدّة وتهديدا ووعيدا، تصريحا وتلميحا.

وعليه: فالرِّباط هو الملازمة والمداومة التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبا لخوض المعركة إن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلا أم أنّها آلات حديثة ومتطوِّرة، ولذا فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع

144 الأنفال 60.

والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمَّ التفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام وساد السّلام بين النَّاس أقارب على الحدود، وأباعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}145 آية كريمة تدلُّ على أهمّيّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النَّاس، ولذلك أمر الله عباده بالصبر والمصابرة، أي: اصبروا على ما أنتم عليه حتَّى تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل خيّرة، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقوله: (وَرَابِطُوا) تواجدوا متأهّبين مرابطين بعزمٍ وحرزٍ على صون الحدود وأمن البلاد أرضا وشعبا من الذين يهدّدون ويتوعَّدون ويشكِّلون خطرا عليكم في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا لا ينبغي أن تغفلوا عن تأهّبكم وأعملوا على إظهار قوّتكم متأهّبين أمام مشاهدة وملاحظة عدوّكم لقواتكم التي أعددتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه، مصداقا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}146.

الاعتداء بدون شكٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على النَّاس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن اعتدي عليكم؛ فعليكم بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلا لِمَا اعتُدى به عليكم: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}147.

145 آل عمران 200.

146 البقرة 190.

147 البقرة 194.

ولذا فإنَّ إظهار القوّة والمتأهِّبين بها على ظهور الخيل أو الدبابات والطائرات والعربات والمعدَّات المتطوّرة ضرورة استعراضية أمام مشاهدات وملاحظات الأعداء والأصدقاء، وذلك لأجل أن يُرهَب بها الأعداء؛ فيحسبوا حِساباتهم إن فكّروا في الاعتداءِ ظلما، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئنَّ قلوب الذين أمنوا من الأصدقاء فتزداد إيما مع إيمانهم.

وعليه: فإنَّ إعداد العدّة مع وافر الاستعداد والتأهّب استعراضا بمقاليد القوّة يُرهب بدون شكٍّ كلٍّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي ظلما.

إذن (رابطوا) تحتوي في مضمونها ومفهومها ضرورة استمرار التأهُّب دون انفكاك عن المرابطة حتَّى ينتهي من أذهانكم كلّ ما يخيفكم من أعدائكم.

وبعد أن يرى العدوّ تأهّبكم بالعُدّة الحربيّة والقتاليّة والخيل التي قد تأهَّبتم عليها ورابطتم بها، ثمّ بعد ذلك اعتدى عليكم بالمقاتلة؛ فعليكم مقاتلته، ولكن إن جنح للسّلم فاجنحوا لها: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}[148]، أي وأنتم أقوياء، وأراضيكم غير محتلّة، ولا مهجّرون؛ فإن جنح المعتدون للسّلم فاجنحوا لها إرادة وتهيؤا واستعدادا وإعداد عدّة وتأهّبوا بالقوّة، ومن لا يمتلك القوّة يجد نفسه غير مقدّرٍ ولا معتبر، وهو معرّض للقتل أمام المتوقّع وغير المتوقّع بين صدمة ورُعبة.

ومع أنَّ التأهّب يؤدّي إلى المرابطة واستعراض القوّة التي تمّ إعدادها والاستعداد بها، ولكن من حيث المفهوم هناك فرق دلالي بين إعداد القوَّة، وإعداد رباط الخيل من حيث:

. قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) إنَّ القوّة قد يتمّ إعدادها، ولكنَّها قد لا تُحقّق إرهابا للعدو إذا لم يعلم العدو بها ويشاهدها بأمّ

[148] الأنفال 61.

عينيه؛ فعندما تُخزّن الأسلحة والعتاد المتنوّع والمتعدّد ولا يتمّ إظهاره، قد يظنّ البعض أنّك لم تمتلك القوّة التي تُرهبه؛ فيعتدي عليك ظلما وطمعا ويفاجئك بالقتال ويُجبرك على مقاتلته.

. أمّا قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) إظهار القوّة عُدّة وعتادا وفرسانا وخيلا وتنظيما وتأهُّبا، ولهذا رباط الخيل هي التي لولاها لكان السّلاح مخفيّا في المخازن، ولكن بها ظهر أمام الملأ لتؤدَّى به رسالة مفادها (لقد أعددنا العُدّة، وامتلكنا القوَّة، ونحن الآن مستعدّون عن إرادة، ومتأهِّبون لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنَّنا لا نرغب قتالكم ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر).

إذن التأهُّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعد هيِّنا؛ فخذوا حذركم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[149] أي: تأهّبوا تيقّظًا وانتبهوا واحترزوا العدوَّ كي لا ينال منكم شيئًا؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدُر بكم أو يتمّ الاعتداء عليكم ظلمًا؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جديّة؛ فالأمر لم يعد هيّنا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ سيأخذه مأخذ الجدّ أيضا، وإن أخذه مأخذ الجدِّ جعل لكم اعتبارا يدفعه إليكم جانحا للسّلم الذي يستوجب منكم الجنوح إليه وفقا لقاعدة قبول التحدّي وقبول السّلام.

وكما أنَّ إعداد العُدّة حقّ لمن هو خائف من المخيف المرهب وهو الذي لا يُقدِّر ولا يَعتبر الآخرين؛ فكذلك التأهّب بالمرابطة هو استعراض قوّة، وغايته نيل التقدير والاحترام. والتأهّب هنا هو تَوفُّر العزم مع وافر الإصرار

[149] النساء 71.

على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون ممّا يجعل الأصبع على الزّناد استعدادا للرّمي في زمن الانقضاض.

فالتأهّب يؤجّج في النّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع بلاءٍ واستماتة على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ خوفا من التأخير الذي فيه تكمن المفاجئات، ولذلك دائما لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

التأهُّب الموجب يملؤه اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ فالرّامي عندما يكون متأهّبا تكون مشاعره وأحاسيسه منصهرة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل والشّك من ملكاته منتزع انتزاعا.

فذلك الصّحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد في 14 سبتمبر 2008م، لو لم يكن متأهِّبا للرّمي ما رماه أمام أعين النَّاس وعلى شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصّحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصّحفي الموقَّر.

ولذا؛ فمن يتأهّب للشّيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّد ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أو بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد أو أن يبصق على من يشاء، دون أن ينتظر رأيا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالتأهّب يعدّ منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ وتهيأ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيوية الأمل.

فالنَّاس على مستوى المسؤولية هم يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقّع حيال إنجاح مهمة من مهامهم المكلَّفين بها أو المنوطة بهم، ولكنَّهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقّع ممّا يجعل المفاجئات تتكرّر أمامهم رغم الاستعداد والعُدّة والعتاد.

الاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنا ومحقِّقا للفوز والانتصارات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهمية وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يعتدي ظلما أو يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

ولذا فالتأهُّب قرار في زمن الأخذ به يُعدّ ساري المفعول في جعل العُدّة تحت أمر المتأهّب غير منقوصة، بل مُفعّلة للاستخدام متى ما شائها أن تكون متلازمة الحركة والوظيفة مع حركته أثناء المرابطة الميدانيّة. وبأسباب التأهّب الإرادي يصبح المتأهّب متحمّلا للمسؤوليّة وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنّ التأهّب سلوك ظاهر؛ فهو القابل للمشاهدة والملاحظة، ولهذا جاءت المرابطة أمرا ظاهرا فيها تتوحّد العُدّة والخيل والمرابطة بها ليكون التأهّب الظاهر إنذارا وتحذيرا بالعُدّة والعتاد والإرادة والاستعداد والخيل والفرسان، وهذا الأمر في زمنه، أمّا اليوم فالقوّة متطوّرة ومتنوّعة ولكلّ عصر قوّته وفرسانه، وفي جميع الأزمان الغرض هو إرهاب العدوّ كي لا يعتدي وليقف عند حدّه، وفي حالة اعتدائه تكون المواجهة بالنّسبة له قاسية والخسارة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع متماثلة؛ ممّا يجعل النّهاية بين الأطراف تفاوضا ومصالحة وتفاهما بالقوّة.

وفي كلتا الحالتين يُعدُّ إعداد العدّة إرهابا من أجل القضاء على الخوف وأسبابه المخيفة.

ويُفهم من قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) أنَّ (العدّة والخيل والمرابطة) معطيات مُرهبة، ولكنّها لا تخيف، بل الذي يُخيف هو (الإنسان) الذي يُفسد في الأرض ويسفك الدّماء فيها بغير حقّ.

ومن ثمَّ فالمرابطة هي إعلان حُسن النيّة من قِبل الذي يمتلك القوَّة، والغاية من ورائها تحقيق السّلام، وليس الإفساد في الأرض وسفك الدّماء فيها بغير حقّ. إنَّها إعلان قبول التحدّي من أجل التخلّص من الخوف إلى الأبد، ولكن إن كان هناك إصرار وعدم تقدير للموقف وظنُّ الخصم أنَّ المغلوب على أمره لا يستطيع النّهوض والتحدّي؛ فقد تكون المواجهة ضرورة لقياس القوّة غير المتوقّعة، ممّا يجعل للمقاتلين في الميدان الكلمة الفاصلة في تحقيق معادلة فرض مبدأ التقبُّل بين الأنا والآخر، ويكون الحلّ هو الاعتراف المتبادل.

وعليه: فإنَّ النّصر لا تُحقّقه المعدّات الحربيّة مهما تطوّرت، بل النّصر عبر التاريخ يحقّقه من يقرّر مع التنفيذ أنّ قبول الموت في الميدان هو المطلب الرّئيس، ولهذا الشعوب التي حرّرت أراضيها حرّرتها بهذا القرار حتَّى ولو اتخذت سلاحها الحجارة.

التأهّب استجماع قوّة مع وافر الانتباه وأخذ الحيطة والحذر من المفاجآت في سبيل تحقيق النّجاح أو الفوز عند القيام بأداء واجب، ويعدّ التأهّب حيويّة الإقدام على الفعل والوقوف على أعتاب ما ينبغي القيام به عملا أو سلوكا. إنّه الأخذ بأسباب القوّة مع وافر التهيّؤ والاستعداد لما يمكن أنّ ينجز. وهو إصرار مع حرارة الأمل في سبيل بلوغ الغاية ونيل المأمول ولو كان سالبا، وهو لا يكون إلّا:

. عن رغبة

. عن معرفة.

. عن وعي.

. عن الحاجة.

. عن إرادة.

. بقبول المتوقّع وغير المتوقّع.

. بعد تهيؤ.

. بعد استعداد وإعداد عدّة.

ولهذا؛ فالتأهّب نتاج الفكرة مع اختيار ورغبة تُحفّز على الإقدام (الموجب أو السّالب) متى ما تهيأت للإقدام ظروفه، ومن ثمّ؛ فهو ولادة الحيويّة تجاه إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات، أو نيل المأمولات. أي: إنّه استجماع القوّة لمواجهة المحيّر أو المستفزّ، أو من أجل إيجاد ما يشبع الحاجة ويطمئن النّفس.

فالتأهّب التفات إلى ما يجب، واهتمام بما يجب، مع أخذ الحيطة والحذر، بغاية النّجاح، وهو يدل على:

. تنفيذ قرار قد اتخذ مع معرفة تامّة بالمترتّب على تنفيذه.

. قبول تحدّي الصّعاب حتى وإن كان التأهّب انسحابا.

. قبول المواجهة مع المؤلم.

. إصرار وعزيمة في دائرة الممكن.

. خوف من المخيف؛ ممّا يستوجب مواجهته بدلا من تجنّبه أو الابتعاد عنه.

. يقظة تامّة بما يجب والأخذ به، وبما لا يجب وتفاديه، وهنا قد يكون ما يجب من أجل تنفيذ الفعل السّالب وقد يكون لتنفيذ الفعل الموجب ولكلّ حساباته.

**المتأهّب على الدّراية:**

الإنسان عندما يتأهّب لفعل ما يكون قد ألمّ به إلماما تاما، أي أنّ المتأهب يدري بما عليه من واجبات وما له من حقوق؛ فلا يتأخّر عن أداء واجب ولا عن ممارسة حقّ عندما يكون موجبا، ولهذا فحالة التأهّب لا تبلغ إلّا عن إرادة ورغبة، ثمّ بعد تهيؤ واستعداد ودراية بأسرار وعلل المتأهب له تفاديا للوقوع في الفشل أو الخسارة حتى وإن كان المقصد أنانيا.

ولا يمكن أن تُبلغ مرحلة التأهّب إلّا إذا توافرت المعلومات الكافية لأداء الفعل أو القيام بالواجب، أو لمواجهة ما يشكّل خطرا، ولذلك يجب أن يكون الإنسان على الدّراية المعرفية في كلّ ما يتعلق بالموضوع المتأهّب من أجله، وإلّا سيفاجأ؛ فالتأهّب يستوجب دراية بالمتأهّب من أجله كي تُحمل المسؤولية وما يترتّب عليها من أعباء.

وهنا؛ فالتأهّب يؤدّي إلى:

. التمكّن من الوقوف على أعتاب الفعل.

. التحفّز على الانقضاض متى ما جاءت ساعة الصّفر.

. التمكّن من المستهدف دون تردّد.

ولأنّ للمتأهّب دراية بالموضوع أو المشكل؛ فهو يعرف متى يتقدّم ومتى ينسحب، ومتى يفاوض، ومتى يقف على الحياد.

**المتأهّب والقلق:**

زمن الانتظار دائما مقلق للمتأهّبين والمتحفّزين إلى تحقيق الأشياء أو بلوغها، حتى وإن كان لإجراء مقابلة بهدف الحصول على فرصة عمل، أو حتى وإن كان لسفرٍ وفي جيب المتأهّب للسّفر كرت الصّعود، أو حتى إن كان أمام سلّم الطّائرة؛ فما بالك إن كان لمتأهّب ينتظر خوض معركة نصر أو خسارة (حياة أو موت)؟

وهنا أقول:

هناك فرق بين التأهّب الذي لا يطيق أصحابه زمن الانتظار، وبين التأهّب الذي يتجاوز القلق، شريطة أن يكون التأهب عن إرادة ورغبة وقناعة، ومع ذلك فلكلّ قاعدة استثناء؛ فالانتظار مقلق عندما يكون وقته على حساب الرّغبة والحماس الذي يحفّز النّفس على قبول التحدّي، وقد يكون على حساب أداء الفعل؛ فالمتأهّب لابدّ وأن يكون قد نسف جسور العودة، طال الزّمن أم قصر، وإلّا سيكون التراجع متيسرا كلّما طال زمن الانتظار؛ فخذوا حذركم أيّها المخططون وارسموا السّياسات والعاملون على إحداث النُقلة وصُنع المستقبل.

ولذلك ينبغي أن يلحق التأهّب نفس المتأهّب ويغوص فيها عمقا حتى يرى المتأهّب نفسه جبلا لا تهزّه الرّياح، وأن يقبل شراب المرّ وهو على ثقة أنّه لا حلوٍ إلّا من بعده، وأن يثق أنّه كلّما ازدادت المرارة اقترب من ذلك المأمول حلاوة.

فالمتأهّب إيجابا لا يدخل في قاموسه القلق ولا يجب، فإن كان قد دخل؛ فلا يعدّ متأهّبا حتى وإن عدّه البعض متأهبا، وإذا ما دخل ميادين المنافسة فلا فوز، ومن هنا تلد الخسارة خسارة، وهنا يُفقد الرّجال في غير وجهة حقّ، لأنّهم لم ينسفوا جسور العودة، ولم يكونوا قد تهيأوا لمواجهة القلق؛ فالقلق يجب أن يواجه قبل أيّ رحلة، وقبل أيّ مواجهة، وقبل أيّ إقدام على الفعل أو العمل.

وعليه: القلقون لا يصنعون تاريخا، ولا يسهمون في صناعة التقدّم، ولا يحقّقون نصرا، ولا مقدرة لهم على دخول ميادين المنافسة الحرّة. عقولهم يملؤها القلق؛ فلا حيز للتفكير، يبدؤون حديثا ولا يتمون حديثهم، ويبدأون عملا ولا يلتفتوا إلى تجويده، يقلقهم زمن التعليم فلا يتمون تعليمهم، ويقلقهم زمن التدريب فلا يتمون تدريبهم؛ فهؤلاء ومن على غرارهم لا يعدّون من المتأهبين في شيء.

فالتأهّب مرحلة متقدّمة من الثّقة في النّفس، والثّقة بالموضوع المتهيأ من أجله، مع وافر الرّغبة والاشتياق للإقدام، وهنا نلاحظ الفارق بين قلق المتأهّب، وبين قلق من حُسب متأهبا؛ فقلق المتأهّب يعكس الرّغبة في دخول الميدان عملا أو مواجهة، أمّا قلق غير المتأهّب فيعكس الرّغبة في التخلّي والخيانة والانسحاب بدلا من الإقدام ودخول الميدان، ولكن استثناء يجوز أن يكون للانسحاب تأهّب.

إذن القلق حالة نفسية إن سيطرت على الإنسان؛ فلا توازن، وهو من أمر الحياة الاعتيادية ويواجه الجميع، ويصعب تحدّيه، ولكن المتأهّبين متى ما تحدّوا فهم قادرون.

إنَّ البقاء على حالة القلق من عدمه يترتّب على المراحل السّابقة للتأهّب، وهنا إذا حدث القلق وأفسد صمود المتأهبين؛ فعلى الباحثين أو

المسؤولين الذين أعدّوا الخطط ورسموا السياسات أن يقوموا بمراجعة تلك المراحل التي سبقت التأهب، وهي:

. الإرادة: هل هي السّبب في تحفيز الإنسان إلى المشاركة أم أنّ ضغوطا كانت مختفية من ورائها، أم أنّ المشارك كان مجاملا لرغبة الوالدين أو رغبة من تربطه بهم علاقات خاصّة؟ فإذا كان هناك شيء من هذا؛ فلا استغراب أن يخيّب القلق أمل المخططين وراسمي السياسات.

. التهيّؤ: كونه نفسيّا عقليّا بدنيّا لا يكون إلّا عن فطنة ومعرفة بالمستهدف، مع إحساس بالأهمية النافعة لمن أصبح متهيئا للقيام بما يجب، وهنا؛ فإن كان الإنسان قد تجاوز هذه المحطات بحيوية الرّغبة وقبول التحدّي مع وافر الإرادة والمقدرة، بلغ حالة التأهّب الذي لا عودة عنه بأيّ علّة من العلل، ممّا لا يجعل للقلق مؤثرا سالبا.

. الاستعداد: وهو الذي يمكّن من أخذ الحيطة والحذر بتوفير ما يمكن أن يُعد ويوفّر لإنجاز الفعل أو العمل، ولكن إن لم يتمّ الاستعداد لما هو متوقّع وغير متوقّع فلا شك أن المفاجأة والاستغراب ستكونان علامات في أنفس الغافلين، وهنا تكمن العلّة.

**التأهب استبصار:**

الاستبصار قيمة تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصُّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانية من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلا وإدراكا وما يستمدّه استقراءً واستنباطا، {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}150.

مضمون هذه الآيات الكريمة يتعلّق بسيدنا يونس كما يتعلّق بغيره من الأنبياء الكرام صلى الله عليهم وسلّم، وهذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهمية الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبا من قبل يونس لقومه (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدل على تولي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبا، ثمّ جاء قوله تعالى (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالا على أهمية ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة، وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}151.

وعليه لقد كان يونس بصيرا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم، ولأنّه رسول مُرسل لقد كان طائعا لأمر ربّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيا ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابيّا ليقدم عليه متأهّبا.

[150] الصافات 174 . 179.

[151] الصافات 181، 182.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}152، أمّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينية، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}153، ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفية التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنا بأنَّ من ورائها خالقا عظيما يملك قوّة الخلق كلّه ويؤمن إدراكا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيئًا لمعرفة الكيفية التي عليها المشاهد، لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرد، ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلا والمعجز معجزا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبا لمزيد من المعارف والعلوم، {وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}154 الضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها، ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيء.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السّابقة يجد التاريخ مليئا بالعبر والمواعظ والحِكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ

---

152 الأنعام 103.

153 الغاشية، 17 . 22.

154 يونس 43.

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}155، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}156.

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ، وهم كذلك متهيئون لمعرفة الكيفية التي عليها المخلوقات، ومتهيئون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسّلوكيات التي ترتكب سواء أكانت انحرافا أم صلاحا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم، وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}157. ومع أنّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنّ نّظر الكثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّما، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد) ولهذا وجب التأهّب فكرا حتى تصبح الثقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرا.

وعليه: فالإنسان المتأهّب بصرا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهو الذي يتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرَّف، ثمّ يَقدم ويفعل؛ فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئا ولا يتعجّب من شيء لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

---

[155] الأنعام 11.

[156] النمل 69.

[157] البقرة 69.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصلاة وقوفا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصلاة عمل يُقام به) إقامة وركوعا وسجودا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسؤولياتك؛ فالمسؤوليات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات تُنال.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة ألا تكون متسرّعا.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهورا.

. تأهّب لكلّ شيء هو جزاء منك، ولكن لا تبالغ.

إذن فمن هو المتأهّب إيجابًا؟

أقول:

هو الذي تيقّن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب على تساؤلاته وافتراضاته وما يشبع حاجاته أو يمكّنه من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأ إراديّا وأعدّ العدّة لذلك ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به؛ فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، وكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا؛ يجب أن يكون متأهّب متأهّبا في ذاته ولا ينتظر من أحدٍ أن يؤهّبه؛ فالتأهّب يرتبط بنظرة ومعتقد وخبرة ومعرفة وتعلّم المتأهّب في ذاته، أمّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارا واحدا، التقدّم الذي من بعده فرص التقدّم أعظم[158].

والحمد لله ربِّ العالمين

[158] عقيل حسين عقيل، الفاعلون من الإرادة إلى التأهّب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 220 – 242.

## صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (139) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعية (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

## المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (139) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.